المجلد الحادي عشر مسالك الأبصار
عدد ٢٥

صحيح

الجزء الحادي عشر من مسالك الابصار

في ممالك الامصار

للعلامة شهاب الدين

ابن فضل الله العمري

1

الجزء العاشر من المسالك

الجزء الحادي عشر



2444

ملكه

العبد الفقير ... عفا الله عنه

الحمد لله

نظر فيه ... ...

... على ... ... الفقير ...

في شهور سنة ...

... ...



بسم الله الرحمن الرحيم • وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

واذ قد انتهينا الى ذكر الادبا وانتهينا لنعارك بهم عيون الانبا، فسنذكرهم على ما قدمنا به القول من ذكر اعيان الوزرا وطوايف الكتاب والخطبا والشعرا ونبدا بالوزرا، ثم بالكتاب لا بغضهم منهم ولكنهم هم وان نا وافي القسمة عنهم ولهذا ياتي بهم لقيبقا ونلقي منهم قولا خفيفا ونذكر ما لو التفت الاماق من اما بلها مثل احد ذهبا ما ادركت لاحد منهم مدا ولا الهلاك نصيفا لنميط عن محاسنهم قناع الترب وتخرج دفاينهم وتداعبت مطالبها اطماع الورى ونطلع لهم نجوما ما تزينت بمثلها السما ونعاطي مكد اما ما تنح شبيهها الما، **وها انا اذكر** من كل من الوزرا والكتاب من القطرين اناسا هم زينة ذلك القطر وانواره وثمره المطعم وقراره وانبه على شي من حاله بما اذكره عنه اوله والا استوعب اجزا متره واوله وانما امثله عنوانا واشكله في درج ذلك القطر صنوانا **واول ما نقول** انه لم يكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني امية وصدرا من دولة ابي العباس السفاح بل كان من اعان الخلفا على امرهم يقال فلان وزير فلان يعني انه موازرله لا انه متولي رتبة خاصة تجري بها قوانين وتنتظم لها دواوين **فاما وزير ال محمد** ابو سلمة الخلال فانه كان راسا من روس الشيعة الهاشمية وكان ذا الراي فيهم فقيل وزير ال محمد وكان من اكبر الدعاة للدولة واعظم السعاة في استتباب الامر فلما ولي العباس السفاح قدمه وكبره واورد رايه وصدره وطاعره واستخرج دره محسد تمكنه وعمل على ما حاده من ما منه ثم كان السفاح لا يري افساد صنيعته ولا يامن تكدير بواطن شيعته وكان يلبسه على علله ويسدده على خلله وابو سلمة مع هذا البين مع هذا بوزيرله قلم مبسوط ولا بد امر منوط ثم انه وزره على باطن يكنه له ليتخذ بالوزارة اليه سبله ويتوجه له عليه شبهه نغلب بها وجهه حتى اخذه تلك الاخذه الفذه **فاما** من بعده من وزرا المشرق قديما وحديثا فسنذكرامن لدن عبد الملك ابن مروان لانه اول من حمد في هذه الامة قواعد الملك وعظم عوايد السلطان ان لم يسب الامر لاحد بعد عثمان

بن عفان رضي الله عنه كما استتب له اذ كان زمنه الى معوية خيط عشوا وليل لم يبلغ بالاضواء فاما معوية فانه وان كان زند لم الشعب وازال الشغب واستقل بالاعبار واصطلع بالملك فانه كان زند يحلق بالمداهنة ايام محادثته علي عليه السلام لا سما له الاهوا اليه وجمع وجمع القلوب عليه نضار ذلك له تخلفا لما سلم اليه وسلم من التنازع ثم استمر عليه حتى مضى به زمانه وانقضت عليه ايامه وكان عمرو بن العاص اجل قدرا واعظم امرا من ان يجري معه مجرى الوزرا وان كان له ودا ورد اذ كان لا يزال كالممتن عليه الاحياره الحجه مع ما مالته له في شرفه في قريش وسابقته في الاسلام طابا انه لولا لما نال الملك ولا قدر على منازعة علي كرم الله وجهه في حق الخلافه وكان لا يزال حاله معه شبيها بحال ابي مسلم الخراساني مع ابي العباس السفاح فاما من تقدم معويه من الخلفا الراشدين الى عهد النبوه فاوليك ما واذروا الا من كانوا امسا لرايهم لما فيها استشار وافيه من مفرد الامر لا في الامر المطلق فلهذا ابدانا بالوزرا من لدن عبد الملك بن مروان

فمنهم

روح ابن زنباع كتب لعبد الملك ابن مروان وكان مجراه في الوزاره مجرى الاعانه لا مجرى الولايه وكان كانه اجل الملوك لمكانته من الخلفا وكثره اتبا وعظم اشياعه وعجز السيوف عن قراعه وذكر صاحب كتاب الوزرا والكتاب انه قد كلم يزيد بن معويه له ولقومه ان يلحقهم في العطا باخوانهم فقال له انا اجمع على ذلك قومك فنحن جا علوك حيث شيت فبلغت الدعوى عدي ابن الرقاع فقال

انا رضينا وان غابت جماعتنا ما قال سيدنا روح بن زنباع

يرعى ثمانين الفا كان مثلهم مما يخالف احيانا على الرا • عي

ثم كان روح بن زنباع من عبد الملك بن مروان كالقسم في ملكه ولما قلد عبد الملك اخاه بشرا العراق ضم اليه روح بن زنباع فثقلت وطاته على بشر فلم يقدر على صرفه عنه الا بان تحيل بادخال رجل الى بيته وكان لا يدخله احد سواه

فكتب على حايطه

يا روح من لبنا سير محرسته اذا نفاك لاهل المغرب الناعي
ان الخليفه قد سالت نعامته فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

فلما راه روح اتى بشرا فاستاذنه في الرجوع الى الشام فجعل بشر يحبسه ويساله ان يقيم فابى فاذن له فلما دخل على عبد الملك قال الحمد لله على سلامتك يا امير المومنين قال وما ذاك فاخبره الخبر فقال له ثقلت والله على بشر واهل العراق فاحتاجوا الى الراحه منك وذكر الحافظ ابو عبد الله الذهبي في تاريخ الاسلام قال كان روح ابن زنباع اذا خرج من الحمام اعتق رقبة وامره يزيد على جند فلسطين وشهد يوم راهط مع مروان وكانت له دار بدمشق عند طرف البزوريين وقال مسلم رحمه الله له صحبه ولم يتابع مسلما احد وابوه زنباع بن روح بن سلامه له صحبه

ومنهم

نصر بن سيار وكان يتقلد ديوان خراسان ثم انتهى الى ان كتب الى الوليد ابن يزيد يعلمه بطهور المسودة فكتب اليه اني قد اقطعتك خراسان فافعل فيها ما شيته وتوفي سنه احدى وثلثين ومايه بساوه قرب الري وعمره خمس وثمانون سنه وكان مسرفيا مرهفا وسهريا مشفقا واسدا عزا ودطلا لو قيل رايه ردا بجمع صاعزا بلي يحسوله بني العباس واختلاف ذات بين بني مروان لم يسبق به القدر وكانت البدره فيه لمن بدر كان ذلك في الكتاب مسطورا وكان امر الله قدرا مقدورا ومن كتاب كتبه الى مروان اما بعد يا امير المومنين فانها قد شرعت ولم يبين ومبادره الدوا في اول الدا انجح وانه الراي التردد السلام

ومنهم

عبد الحميد بن يحيى وهو امام المتقدمين ورسايله كافيه للمتعلمين وكتب هشام ابن عبد الملك واستمر حتى كتب لمروان بن محمد وهو القدوه وبه الاسوه ورسايله مشهوره يتداولها الكتاب ويتداولها جيلا بعد جيل ومن كلامه

الناس رجلان رجل دق خطره وحسنت معاملته فعامله السفله فسفل ورجل وضيع عامل اهل الدين والادب فتادب ومنه يعزي هشاما بامراة من نسايه ان خير ما انعم الله على خلفايه ما رزقهم الشكر عليه والدنيا دار متاع وبلغه وما فيها عواري اهلها ثم منقولك عنهم وان الله تعالى متع امير المومنين من مونسته وقرينته متاعا الى اجل مسمى ثم قبض القادبه وليها واعطى عليها في المنقلب وارجح في الميزان واكفى في العوض فانا لله وانا اليه راجعون احتسب مصيبتك يا امير المومنين على الله فان مواهب الله اجزل وثوابه افضل فامض على رويتك في الخير فان ما عند الله لا يبلغه كتاب ولا يحصيه حساب ومنه اما بعد فان امير المومنين استخلصك لنفسه بعد ان غلب رايه على هواه فيك وبعد ان ماثل بينك وبين القربا فاسقطهم مضمارك وزنفهم اختيارك فجعلك عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها فما زادك تقريبا الا ازددت الى الناس قربا ولا زادك بسطا وايناسا الا ازددت هيبة واجلالا ولا زادك تمكينا الا ازددت في الرعيه عدلا لا يحملك النصيحة له على ظلم رعيته ولا يحملك العدل في رعيته على اهمال حقوقه ولا يستخفك الفرح ولا يكمدك الحزن يجري الامور على السداد لا يمنعك ان تذهب بها في مذاهبها استشعار الحذر لعواقبها ومنه الناس اصناف متخلفون منهم علق مضنه لا يباع ومنهم غل مطيه لا يبتاع وساير يوما مروان على دابه فقال له كيف سيرها فقال له همها امامها وسوطها عنانها ما ونت قط الا حلما ولا ضربت قط الا ظلما ومن شعره

ابكي على ذا وابكي لذا ابكا الموطه الناكل
فتبكي من ابن لها قاطع وتبكي من ابن لها واصل

وكان المنصور يقول غلبنا بنو مروان بثلاثه اشيا بالحجاج بن يوسف وعبد الحميد ابن يحيى والموذن البعلبكي

ومنهم

طلحه ابن زريق كان يكتب الامام ابرهيم بن محمد الى الدعاه ويقرا كتبهم
اليه وهو اخو مصعب ابن زريق جد طاهر ابن الحسين وقد كانت لهم
دوله ملك وصوله سلطان وامتدت لهم ايام موصوفه واقلام تمري
الرماح وقضبانها المخيفه ثم كانت اواخرهم سيوف ذلك الدول ومفرق
البطل ومما كتبه عن الامام في جواب الى بعض روس الشيعه لسا
ذنه في من قدر عليه من عمال بني اميه اما بعد فلا تمر بشجرة يمكنك
ان تحها الا فعلت واياك ان لهيك الثمر والسلام

ومنهم

ابو ايوب المورياني وكان وزيرا متقلدا لابي جعفر المنصور بتقلد
تفويض وتقدم له اصطناع لابي جعفر المنصور في اخر ايام بني اميه حين
جرد للسباط على ما كان انكسر عليه من ضمان كان ضمنه منهم
ففداه ابو ايوب بنفسه وبذل ماله دونه حتى خلص منهم بمحنته ووقع
لمرعه محنته فكان يعرفها له يدا ويشكرها له الى ان بدا له ما بدا وكان
لابي ايوب كاتب خاص به اسمه محمد بن الوليد وكان كاتبه هذا حريصا
على اخذ الرشا فكتب الى طريف على لسان ابي ايوب بحمل ماية الف دينار
اليه فحملها اليه ولم يعلم بها ابو ايوب ثم اتفق ان ابا ايوب اشار على المنصور
بصرف طريف وتوليه غيره ففعل ذلك ثم ان ابا ايوب اخذ في محاسبه
طريف والتضييق عليه فحقق عليه طريف وفي ظنه ان ذلك المال
وصل اليه فلما وصل الى المنصور اخرج اليه الكتاب الوارد عليه
بطلب ذلك المال فقراه ثم دفعه الى ابي ايوب فقال هذا خط كاتبي
وخاتمي ولا علم لي بشي من امره فقال له ابو جعفر هذا اشد لامرنا ان يكون
مايه الف دينار ياخذها كاتبك من رجل واحد

ومنهم

عبد الجبار بن عدي كان نغمه سهام ولمعه برق يدل على ضرام

وقد

وقد كان يكتب لخلفا بني اميه ثم كتب للمنصور ثم لما مات
قال المنصور ما اختلفنا ان تكون قد دننا الكلام مع عبد الجبار
لا نجد احدا يقوم مقامه ولا يسد مسده ومن كلامه واياك ان
تعود جوابك دون بلوغ الارب وحصول الطلب ولا تقلهم كثيرون
فاعارز لا تهوله كثيره المفهم الغنم

ومنهم

عبد الله بن المقفع وهو الغايه في البلاغه وهو اشهر من ان يوصف
وبها وصف به لا ينصف وبه يضرب المثل وكان من كتاب دولة
المنصور ثم استاثر به علي بن عبد الله فكان معه فلما خرج علي بن عبد
الله على المنصور وكان ابن المقفع هو المقترح على المنصور ما يكتبه
لعلي بن عبد الله في الامان فحقدها عليه وقال سوا لدي ابن المقفع
وعلي بن عبد الله ووجه مولى لسفيان بن معويه ثم كان منه ما
كان وقال ابن المقفع وهو في تلك الحال يخاطبه

اذا ما مات مثلي مات شخص يموت لموته خلق كثير
وانت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير

ومنهم

ابو عبيد الله معويه بن عبيد الله بن يسار وزير المهدي وكاتبه
وموضع انسه وصاحبه ومرائيه واحد لا يقاربه ولما وفد عبد الله
ابن الحسن على المهدي معزيا عن المنصور ومهنيا بالخلافه فتكلم بكلام اعل
اعجب الناس به واستحسنوه فبلغه ذلك فقال لشبيب بن
شيبه اي والله ما التفت الى هولا ولكن سل ابا عبيد الله عما تكلمت به
فساله شبيب فقال له ما احسن ما تكلم ولكنه لم يبعد بكلامه ان
اخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فنقح منها كلاما فاخبر شبيب
عبد الله بذلك فقال لبوه فوالله ما اخطا حرفا ولا تجاوزت ما
قال واعتذر الى عبد الله رجل فاطال فقال ما رايت عذرا هو

اشبه باستنا ف ذنب من هذا وكان يقول الياس حر والرجا
عبد وكان يقول اني لا سكر حسن الخلطه ولين اللفظه وهو الذي لا يخوض
البحار في ضحضاحه ولا يشبه ما وها الاجن بسماحه لولا لبسه يكسر
اثقل عطفه وحلقه منه شمر انفه لكان الذي يقطع به المثل ولا
يشتغل باحد قبله ولا بعده وقد كان رفع عليه الى المهدي ان له الف
دواج سمور سوى بقيه الاوبار وسوى ما لاوبر له وسوى غيرها
من الاصناف التي بيديها وحكى ان الفضل بن يحيى كان يشديد الكبر
فعوتب في ذلك فقال هذا شي حملت نفسي عليه لما رايته من عماره
ابن حمزه فان ابي كان يضمن فارس من المهدي فحل عليه الف الف درهم فاخرج
ذلك كاتب الديوان عليه فامر المهدي ابا عون عبد الله ابن يزيد بمطالبته
وقال له ان ادى المال قبل المغرب من يومنا هذا والا فاتني براسه
فكان المهدي مغضبا عليه وكانت حيلتنا لا تبلغ عشر المال فقال
يا بني ان كانت لنا حيله من قبل عماره بن حمزه والا فانا ميت فامض اليه
فمضيت اليه فلم يعرني الطرف ثم تقدم من ساعته بحمل المال فحمل فاديناه
فلما مضى لنا شهران جمعنا المال فقال لي ابي امض به الى الشريف
الحر الكريم فمضيت اليه فلما عرفته خبر المال غضب ثم قال
اكنت قسطارا لابيك فقلت لا ولكنك احييته ومننت عليه بهذا
المال وقد استغنى فقال هو لك فعدت الى ابي فقال لا والله ما
تطيب نفسي لك به ولكن لك منه مايتا الف درهم فتشبهت به حتى صار
لي خلقا لا يتهيا لي مفارقته

ومنهم

ابن طهمان يعقوب ابن داود وكان يحمود الباطن بالورع والزهد المنيع
ولم يكن ذا خارف الانام تطبيه ولا عروس الدنيا تصبيه كتب اولا
لنصر بن سيار ثم بقي بطلا ووزر للمهدي وبلغ منه ما لم يبلغه وزير حتى كان
يقال يعقوب ابن داود اخي في الله ووزيري وفي ذلك يقول

سلم الخاسر

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود
نعم المعين على التقوى اعنت به اخوك في الله يعقوب بن داود

ونجح يعقوب بن داود في صحبه المهدي في احد منها انا الحسن بن ابرهيم
ابن عبد الله بن الحسن واحضره اياه فاحسن اليه المهدي ووصله بمال
كثير واقطعه ارضا من الصوافي بالحجاز واحمد الناس فعل يعقوب
في ذلك وانفذ يعقوب بن داود الامنا الى العمال في جميع
الافاق فلم يكن ينفذ شي من كتب المهدي حتى يرد كتاب من يعقوب
ابن داود الى امينه بانفاذه وغلب يعقوب ابن داود على امر المهدي
كله واقتصر المهدي على ملاذه حتى قال بشار بن برد

بني اميه هبوا طال نومكم ان الخليفه يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفه الله بين الناي والعود

وكان يعقوب بن داود جوادا كريما معطاوا اتت اليه امراة
من اليمامه قد كاتبت على نفسها وولدها واهل بيتها على الف دينار
فلما مثلت بين يديه قالت

وباعث احد فينا رسولا يعلمنا الحرام من الحلال
لشهر انحو يعقوب سرينا فادينا الى وقت الهلال
اعني يا فداك ابي وامي وعمي لا احاشيه وخالي
يبشرني بنجح كل طير جرت لي عن يمين او شمال

فقال لنا صدقت طيرك واعطاها الف دينار وامرها ان توفي
مال كتابتها وان تقدم عليه باهلها ففعلت ذلك فاجرى عليها
وعليهم الرزق وما زالت في عياله الى ان مات وذكر المفضل العمري
ان المهدي حج في بعض السنين فمر بميل وعليه كتاب فوقف
فقراه فاذا هو

لله درك يا مهدي من رجل لولا اتخاذك يعقوب بن داود

ماذا الذي يا امير المومنين به نعت او ما الذي يبقى من الجود
فقال لبعض من كان معه البت بحته على رغم انف الكاتب لهذا
وتعسا لجلوم كان يعقوب ابن داود وقد صحر موضعه فكان يقول
للمهدي والله يا امير المومنين لشربه خمر اشربها اتوب الى الله منها احب
الي مما انا فيه وانى لاركب اليك واتمنى يدا خاطيه تصيبني في طريقي فاعفني
وول من شيت فلسر دناك بعوض سامن اخرى فيقول له المهدي اللهم
غفرا اللهم اصلح له قلبه ثم ال امره معه الى ما ال ولما وقع به المهدي
ادخل عليه وقال له يا يعقوب قال لبيك يا امير المومنين تلبيه
مكروب بغضبك فقال له الم ارفع من قدرك وانت خامل واعلي
من قدرك وانت غافل والبسك من نعم الله ما لم اصر للحمله بدني من
الشكر فكيف رايت الله اظهر عليك ورد كيدك اليك فقال
يا امير المومنين ان كان بعلمك فتصديق معترف مذنب وان كان
بما كسبته نمايم الباغين واقوال الحاسدين فعايذ بفضلك فقال
والله لالبسنك من الموت قميصا لا يخلق الدهر جدته باعلام المطبق
فولي وهو يقول الموله رحم والوفا كرم وانت بهما جدير وليعقوب
ابن داود شعر ضمنه ما قاله وهو مقيم بمكه بعد اخراج الرشيد له

طلق الدنيا ثلاثا واتخذ زوجا سواها
انها زوجة سوء لا تبالي من اتاها

ومنهم

الفيض بن ابي صالح وزير للمهدي وقال الكندي سمعت يحيى بن خالد يقول
كان الفيض بن ابي صالح يعلم الناس الكرم وكان يحيى يهضم نفسه اذا
ذكر الفيض بن ابي صالح ويقول كيف لو رايتم الفيض بن ابي صالح
قلت كان يعلم بكرمه اخواطر المنى ويحقر بنعمه مواهب
الغنى انه مثلوه رغابه موجوه لا يكسب المال الا لينفقه ولا يجمعه
الا ليفرقه ولا يستجد الثوب الا ليهبه لا ليخلعه لا يستكثر عليه

نعمه وان جلت ولا يمتلي له سها خزاين الا لفت ما فيها وتحلت كرما
خلق له طباعا وجودا يدعه يبيت يطوي حشاه جوعا والناس
شباعا وفيه يقول ابي الاسد التميمي

ولايمة لامتك يا فيض في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في
البحر
ارادوا ليثنوا الفيض عن عادة الندى ومن ذا الذي يثني السحاب
عن القطر
مواقع جود الفيض في كل بلده مواقع ماء المزن في البلد القفر
كان وفود الفيض حين تحملوا الى الفيض وافوا عنده ليله القدر

وحكي ان الفيض ابن ابي صالح واحمد بن الجنيد وجماعه من الكتاب
والعمال خرجوا من دار الخليفه فتقدم الفيض وتلاه احمد بن الجنيد
فنضحت دابه الفيض على ثياب احمد بن الجنيد من الوحل فقال
احمد الفيض هذه والله دابه بغيضه ولا ادري باي حق وجب لك التقدم
علينا فلم يجبه الفيض عن ذلك بشي ووجه اليه عند مصيره
الى منزله ثيابه تخت في كل تخت قميص وسراويل ودراعه ومبطنه
وطيلسان وعمامه وشاشيه وقال لرسوله قل له اوجب لنا التقدم
عليك ان لنا مثل هذا نوجه به اليك عوضا مما افسدناه من ثيابك
وحكي ان داود كاتب زبيده حبس وكيلا لها على مايتي الف درهم
تاخرت لها عنده فكتب الوكيل الى صهره يقرن له بسالها في الحديث
له فركبا الى كاتب زبيده بسببه فلقيا الفيض بن ابي صالح مصادفه
في الطريق فسالهما الى اين ركبا فحدثاه بحديث الرجل فسار معهما
وهو لا يعرف ذلك الرجل حتى اتوا كاتب زبيده فحدثوه فكتب
اليها بخبرهم فبعثت تقول انه لا سبيل الى اطلاقه الا باداء المال
فاعتذر اليهم فقام الرجلان لينصرفا فقال لهما الفيض ويحكما من
رجلين كانا ما جينا الا لنوكد حبس الرجل لا والله ولكن

يودي عنه المال ثم اخذ الدواه وكتب الى وكيله بالمال ودفع
الورقه الى كاتب زبيده ثم قال له هاقد اعطيناك المال فسلم
الناصا حبنا فكتب الى زبيده بالخبر فبعثت يقول انا اولى بهذه المكرمه
من الغضب فارددما كان منه فابرح الغيظ حتى اخذ الرجل ثم دفع اليه
المال وقال شي خرجت لك عنه اعود فيه ٥

ومنهم

عمرو بن بزيع وكان من كتاب الهادي وكان صاحب فكر غواص
وفهم ثاقب مراد حاضر وجواب حاضر حكي مخارق انه كان
مع الهادي يوما وهو يتصيد فرمى فاصاب سبعه اطلاق ثم رمى الثامن
فاصاب الصيد وانقطع الوتر فاغتم لذلك وتطير منه وضجر فنزل
عمرو بن بزيع فوقف بين يديه ثم قبل الارض وحمد الله فقال له الهادي
اي موضع حمد هذا فقال له الحمد لله على ان كانت العين بالقوس
ولم تكن بك يا امير المومنين فسري عنه واستحسن بن بزيع ووصله
بجمله من المال وكتب الى صديق اليه يوصيه كل ما لك قبل
ان توكل به واياك وسرعه البادره وبطو الفكر فذاك يورطك وذاك
يوديك منه زياده الحذر الى ما يسخطك والسلام ٥

ومنهم

البرامكه وكانوا رحمهم الله البحور الزواخر والغيوث السواكب
والسحاب المخصب والربيع الممرع والجبال الشواهق والنجوم
اللوامع والبدور الكوامل وكانوا امه كرم وملة فضل وكعبه
جود وقبله امل ومحل قصد ومحط وفد وصفا صفا ومروه مروه
وركن لايذ ومقام عايذ لم يفقد مثلهم ولا جاد بعدهم من اشبههم
ولا اظن الدهر يجي بمثلهم ولا الايام تظفر بنظيرهم وقد قال
ابن سعيد وهو المتعصب للمغاربه فاما اذا انتحوا اهل المشرق البرامكه
مددنا لهم الاعناق خضوعا واغضينا العيون حيا وسلمنا اليهم وقلنا

هذا

هذا ما لا يدفع قلت ولم يكن منهم كبير ولا صغير ولا
حفي ولا شهير الا وهو يتسامى الى الغايات ولا يقنع الا بالنهايات
حتى قيل فيهم ٥ ٥ ٥

اذا ما البرمكي اناف عشرا فهمته وزيرا وامير

وكانوا يتنافسون في الصنايع ويتهافتون على المعروف ويتقاسمون
على العفاه ويتساهمون على الوفود ويسابقون الامال ويبادرون
السوال ويواثبون البحر ويطاولون السحاب لا يغيض لهم ندى
ولا يجف لهم جود ولا يذوي لهم معروف ولا يهوي لهم معلم ولا تبلى
لهم ثوب صنيع اغتنموا للناس هبوب ريحهم وانتهزوا لهم فرصة
امكانهم وتنعوا بعرفهم خلل الاخوان وداووا بوجودهم سقم الزمان
لا يقنعون لمن املهم بالقليل ولا يرضون له باليسير يبسطون ايديهم
بالعطا ويتوسطون له الى الخلفا وحكى ان بعض الوزرا راى في
يد جليس له كتابا فيه اخبار البرامكه فقال له ما في الخلف
هذا الكتاب فقال له اخبار البرامكه فقال له اقرا على
منها فقرا اشيا من مكارمهم فقال له الوزير هذا ما كذبه الورا قون
فقال له الرجل فهل لا كذبوا عليكم بمثل الوزير واستحيا ولم يكن منهم
الا من يجمع المكارم ويدب له الشرق مجللا في وجوه الغمايم وكانوا
كما قال فيهم ابن مناذر ٥ ٥ ٥

٥ اتانا بنو الاملاك من آل برمك فيا طيب اخبار ويا حسن منظر ٥ ٥ ٥
٥ اذا نزلوا بطحا مكة اشرقت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلوا لنا الدجى بمكة ما حجوا ثلاثه اقمر ٥
فما خلقت الا لجود اكفهم وارجلهم الا لاعواد منبر ٥

ومهما قيل في وصفهم فهو اكثر منه ومن ذا يعد الرمل ويحصر الحصا
ويذكرهم تضوع الند في كل محفل ويتعطر الاندية في المشرق

والمغروب وما محاسن شي كله حسن

ومنهم

خالد بن برمك وهو اساس هذا البيت ومعدن هذا الذهب وبحر هذه
الدرر ومطلع هذه الانجم ومنزع هذه الاسهم وكلهم حذوا حذوه
ونحوا نحوه واسهموا منه اباهم فاطلعوا وعلموا منه ما علموا وهو ممن
تقدمت له رياسه في زمان بني مروان ويقال انه ولي على عهد عبد
الملك شيا من امور الديوان ثم كان له من الشيعة الهاشمية مكان منيف
وكان له على عهد السفاح سعد مقبل وكان نامه يقول كان اصحابنا
يقولون لم يكن ترى عين بحليس خالد دارا الا وخالد بناها ولا صنيعه
الا وخالد ابتاعها له ولا ولدا الا وخالد ابتاع له امه ان كانت امة او حرة
الا وخالد ادى مهرها عنه ولا دابه الا وخالد حمله عليها او من نتاج دابه
حمله عليها وكان ابو حبش النمري عند خالد بن برمك في يوم نيروز
وهو على فارس وقد جاته هدايا فيها جامات ذهب وفضه فانشد

لیت شعری اما لنا فيك حظ يا هذا يا الامير في النوروز
ما على خالد بن برمك في الجود نوال ينيله بعزيز
ليت لي جام فضه من هدايا يستوي ما به الامير بجيزي
انما ابتغيه للعسل الممزوج بالماء او لشرب النجوز

فامر له بما كان بين يديه من جامات الفضه فبلغت اربع ماية
الف درهم

فمنهم

يحيى بن خالد وهو علمهم والفرد واسدهم الورد وفردهم الذي لا يعقد
له في السرد وواحدهم القايم مقام الكل ولا مردا لزوامر مناسبه
على كنز وحصلوا من فرصه على ما اثر انل المجد وبناه والمحامد
كان كل ناطق انما عناه دو الحلم الا انه الذي في زياده لا يقدح
نطق بالحكمه في مقاله وتعق غراب البين في ماله وكرم شمايل

وعظم الرزايا ما تعلق بما اسفه بحامل وكان قد استوزره المهدي
لابنه هرون الرشيد فكان يقوم بامره فلما صارت الخلافه الى
الهادي اراد خلع اخيه الرشيد العهد الى ابنه جعفر فدعى
يحيى فلما وصل اليه اكرمه ورفق به وقال له انت
الذي يقول فيك القايل

لو عسر التجميل راحه يحيى لسخت كفه ببذل النوال
لست يحيى مصافحا حين القى انني ان فعلت اتلفت مالي

فقال له تلك راحتك يا امير المومنين وقبل يده ورجله فامر
له باقطاع بمصر ووجه له بعشرين الف دينار ثم ناظره في خلع هرون
فقال له يا امير المومنين انك ان حملت الناس على نكث الايمان هانت
عليهم ايمانهم وجراتهم على حل العقود التي تعقد عليهم ولو تركت
الامر على بيعة اخيك بحاله وبويع لجعفر من بعد لكان اوكد لبيعته
فقال له صدقت ونصحت وانا انظر في هذا ثم صرفه ثم لم تطب
نفسه ودعى بيحيى لمجلسه فتلطف لان يدعو به ويخليه ففعل به
ذلك فلما خلا به قال يا امير المومنين ارايت ان كان ما نعوذ
بالله منه قبل بلوغ جعفر وقد خلعت هرون هل يتم الخلافه
لمن لم يبلغ الحلم قال لا قال فدع هرون حتى يبايعه عفوا
فالله الله يا امير المومنين فانك ان فعلت هذا وحدث ما نعوذ
بالله منه وثبت على هذا الامر اكابر اهلك وخرج الامر
عن ولد ابيك ووالله لو لم يكتب المهدي عقدا لهرون لوجب
ان يعقد له ليكون الامر في بني ابيك فسكن فيه بهذا الامر واطلقه
وحكي ان خالد بن برمك لما انصرف من فارس قصد باب المهدي
ومعه ابنه يحيى والحاجب اذ ذاك معاذ بن مسلم فسلم خالد على
معاذ فصافحه ثم مد يحيى يده اليه ليصافحه فقبض معاذ يده فقال
له خالد لم قبضت يدك يا ابا الحسين عن ابن اخيك فقال

الملف

الوه ان الحسن بالي العس قاله ابو حبيش لست يحيى مصافحا حين التقي البيت
المقدم مذكرتم ثم لما صار الامر الى الرشيد كانت الدواوين كلها الى
يحيى بن خالد مع الوزاره خلا ديوان الخاتم فانه كان الى العباس الطوسى
ثم ولاه جعفر بن محمد بن الاشعث ثم دفع الخاتم الى يحيى بن خالد فقلده
الفضل ابنه ثم احب الرشيد تقليد جعفر بن يحيى الخاتم فقال
ليحيى اني اريد ان اوقع اليه توقيعا لا يجري مجرى العزل للفضل فكتب
عنه يحيى ان امير المومنين راى ان ينقل الخاتم الخلافه من يمينك الى شمالك
وكان الرسم في الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج ان يكون باسم الخليفه
فلما ولي يحيى بن خالد صارت باسمه وتقلد اسمعيل بن صبيح ديوان السر
لما تقلد هرون الخلافه دعى يحيى بن خالد وكان يخاطبه بالابوه
وعلى ذلك اجراه في خلافته وقال له يا ابت اجلسني هذا المجلس
بركه رايك وحسن تدبيرك وقد قلدتك امر الرعيه واخرجته
من عنقي اليك فاحكم بما ترى واستعمل من رايت واسقط من رايت
فاني غير ناظر في شي معك وكان يحيى والفضل وجعفر ينظرون
في امور المسلمين وحوايجهم لا يحجب عنهم احد ولا يلقي لهم ستر يجلسون
في كل يوم لا يركبون منه جلوسا عاما الى انتصاف النهار
وفي هرون ويحيى يقول ابرهيم الموصلي ○ ○
الم تر ان الشمس كانت سقيمه فلما ولي هرون اسفر نورها ○
بيمن امين الله هرون ذي الندا فهرون واليها ويحيى وزيرها
فامر يحيى بن خالد يوسف بن القسم ابن صبيح الكاتب فانشا الكتب
الى العمال بولايه الرشيد الخلافه واقرارهم على اعمالهم بكتب
في ذلك كتبا مشهوره اجادها وقام يحيى بالامور وكان
يعرض على الخيزران ويورد ويصدر عن امرها ونظر يحيى في امور
السجون فاطلق بشرا كثيرا واحتفر القاطول فاستخرج نهرا
سماه ابا الجند وانفق عليه عشرين الف الف درهم واقطع

سدنه

سدنه الكعبه على ذلك النهر لكل رجل مايه وعشرون
جريبا واخرج توقيعه الى الديوان باثبات كل من بلغ الحلم
من اهل خراسان بغير امر مجدد وكان يحيى اول من امر من الوزرا وكان
اول من زاد في الكتب واسله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم وانشا في ذلك كتابا ذكر فيه فضل الانبيا عليهم السلام
واختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم من بينهم بالتفضيل والكرامه واضافه
اسمه عليه السلام الى اسمه عز وجل في الصلوات والاذان وامره تعالى
العباد بالصلاه عليه وذكره في خطب اعيادهم ومفترض صلواتهم التي
هي قوام دينهم ورؤس اعمالهم وانه احب ان يسن سننه الله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم بان يفترق بذكره في كتبه مقرونا بحمد الله تعالى
وذكره وكان ذلك في سنه ثلثين ومايه وكان الرشيد ساخطا على
ابرهيم بن ذكوان الحراني فامر بحبسه وقبض امواله فحبسه يحيى عنده في داره
ونفقه عنه ولم يزل يلطف له الى ان استكتبه محمد بن سليمان بن ابي جعفر
وكان يلي البصره فاشخصه معه وامرت الخيزران ان يقتل من كان
يتسرع الى خلع الرشيد ودعى لبيعه جعفر بن موسى الهادي فقال
يحيى او خير من ذلك قالت وما هو قال تزمى بهم في نحور الاعدا فان دفعوا
عن انفسهم كان لهم في الدفع عنها شغل وان اصابهم العدو كنت قد استرحت
منهم فاذنت له في ذلك فتخلص القوم جميعا وفي يحيى يقول مروان ابن ابي حفصه
اذا بلغتنا العيس يحيى بن خالد اخذنا بحبل اليسر وانقطع العسر ○
سمت نحوه الابصار منا ودونه مفاوز تعتال البطان بها السفر ○
فان نشكر النعمى التي عمنا بها فحق علينا ما بقينا له الشكر ○
وفيه يقول ابو قابوس عمرو بن سليم الحيري ○ ○ ○
رايت يحيى اتم الله نعمته عليه ياتي الذي لم ياته احد ○
ينسى الذي كان من معروفه ابدا الى الرجال ولا ينسى الذي يعد ○
وكان يحيى احسن الى روح بن معمر المطلي وتلقى انا وايل حتى

حضر به فقال روح

ورثى يحيى الى نفسه وليس له منه مكان قريب

فقلت للنفس صلي شكرهم بالشكر لله فنعم المجيب

فلما سمعها قال والله لاملان برك كما اوصلت شكرك ثم اضعف ما كان يجريه عليه وكان يحيى يقول لولده لا بد لكم من كتاب وعمال واعوان فاستعينوا بالاشراف واياكم وسفلة الناس فان النعمة على الاشراف ابقى وهي بهم احسن والمعروف عندهم اشهر والشكر منهم اكثر وكان ليحيى ابن يقال له ابرهيم وكان جميلا وكان يقال له جمالة دينار آل برمك فتوفي وسنه تسع عشرة سنة ويحيى غايب في بعض اسفاره فصلى عليه عبد الصمد بن علي ووجد عليه يحيى واغتم به فقال ابو المنذر العروضي يرثيه

ما ترى حاجة ملوه حين اقلو نعشه للثواء اوللقاء

فليقل فيك باكياتك ما شين صباحا وعند كل مساء

لا يعفونه المقال ولكن مسعرات بذاك غير خفاء

كل حي رهن المنون ولكن ليس من مات منهم بسواء

وكان يحيى احضر موذب ابنه هذا ومن كان يضم اليه من كتابه واصحابه فقال لهم ما حال ابرهيم قالوا قد بلغ من الادب كذا ونظر في كذا قال ليس عن هذا سالت قالوا نعد اتخذنا له من الضياع كذا وبلغت غلته كذا قال ولا عن هذا سالت هل اتخذتم له في عنق الرجال منا او حببتموه الى الناس قالوا لا فقال فبيس العشرا والاصحاب انتم وهو الى هذا احوج منه الى ما فعلتم وتقدم بحمل خمس مايه الف درهم وامر بتفرقتها عنه وفي ذلك يقول سلم الخاسر من قصيدة

وفتى خلا من ماله ومن المروة غير خالي

اعطاك قبل سوالم فكفاك مكروه السوال

كتب خالد بن يحيى المتولي على اذربيجان الى يحيى ابن خالد بن برمك

اما بعد فان بها حقوقا قد منعت واموالا قد بخست فان رسمت تتبع ذلك وكشفه بلغ ما يوفي على خراجها فلما وقف يحيى بن برمك على الرقعة كتب في ظاهرها وقفنا على هذه الرقعة المرمومة رسوق السعاة عندنا بحمد الله كاسده والسنتهم لدينا معقوله وما احتال الى الناحية لحسن العطاء بالنحره والا لتتبع الاثار المذمومة فخذ الناس على قانونهم وطالبهم بما في دواوينك ودع التكشف والتتبع فهذه مدة تمضي وايام تنقضي فاما ذكر جميل واما خزي طويل وحلى وعتب بول حزير

ونزكت اذا نزلت بدار قوم رحلت بخزيه عارا

وعن اسحق بن ابرهيم الموصلي عن ابيه قال كتب الي وكيلنا ان الضيعة الفلانية وكانت تجاور ضيعتي قد انقطع امرها على اربعة الاف دينار وقد سالت صاحبها الانظار علي الى ورود جواب كتابي فان انت وجهت المال والا خرجت الضيعة عن يدك وورد علي الكتاب في الليلة التي صبيحتها نوبتي في بيتي وكانت نوبة يحيى ابن خالد في بيته الا انه كانت عادتي الا ابرح في ذلك اليوم من بيتي فورد علي ما اسهرني لان المال لم يكن عندي ولم اكن اقدر على احتيال له في ذلك الوقت القريب فضربت الامر ظهرا لبطن فلم اجد غير يحيى بن خالد فبكرت اليه فاستاذن لي الحاجب فدخلت وفي يده المسواك فلما راني سر وابتهج وقال احسنت والله احسنت بو بيتي وتوسلت فتاخذ في امرنا ولا تدخل غيرنا معنا فقلت له يا سيدي الحمد لله الذي وفقني لمحبتك ولكني والله بكرت لغير ذلك قال وما هو قلت كتب الي وكيلي البارحة بكذا وكذا ولا والله لا اقدر على المال ولم اجد من افزع اليه فبكرت اسلك استسلافه لي من بعض المعاملين ليرده من تحت يدك من رزقي قال دعنا الان من هذا وهات يا غلام ما حضر من الطعام وقد جئت وعلمت ان الحيلة قد فاتتني وانا احتاج ان احضر غدا الدار فقال لي يا ابرهيم عندك صبيه تغني قلت لا والله يا سيدي قال ولا لبعض الجواري والاهل فقلت لا ثم ذكرت صبيه ولا لبعض امهات اولادي كما وضعت يدها على العرد

الا انها مطبوعه ولها حلق فقلت صبيه دنفر ولسيت بشي قال لا يبالي
هو دا اشكو اليك من يطلبها منك واياك ان تنقص من مايه الف دينار قال
قلت يا سيدي انما تتمنيها مايتا دينار قال لو انها تساوي درهما لا انقصها
من مايه الف دينار واياك ان تنقص من ذلك شيا قال فقلت من يغنى هذا
رجل قد غلب عليه النبيد ولم يكن لحاجتي عنده موضع فهو يسخر مني فانصرفت
بكرا وبا وغلب علي السهر الى وقت السحر فهومت قليلا ثم قمت الى الصلاه
وقد كنت استظهرت بان ابعث الصبيه عند منصرفي من بولانها بابي
دينار وقلت للغلام هو دا انا انام فكل من جا انا اصرفه عني الا ان يجي رجل
من صفته كذا وكذا قال وكان عي وصفه فانبهني ولبست من الضيعه
واخرجتها من علي فما طلعت الشمس جيدا حتى انبهني الغلام قال وقد جا
الرجل فادنت له فطلب الصبيه فاخرجتها وساومني فاسمت مايه الف دينار
فاستكثر ذلك مني واعطاني ثلثين الفا وانا لست اصدق ثم لم يزل
يزيدني حتى بلغ خمسين الفا فقلت احضر المال فقال ها هو دا وحمله الي
وتسلم الجاريه فحللت من المال اربعه الاف دينار وجيت بها الي الوكيل
وركبته على حملته وقلت لا بد للرجل من ان يرجع يستزيده ويرد الجاريه
ولكن تحصل ثمن الضيعه وبعض النظر فيه وركبت الي دار السلطان واقمت
الى الليل وانصرفت وسالت عن الرجل فقيل لي لم يرجع فحمدت الله وبت وبكرت
الى عيسى فشكرته فلما راني قال هات حديثك فحدثته فقال انا الله اي
شي عملت ذهبت منك خمسون الف دينار ثم اسير الى الغلام بشي فمضى
وجا ومعه الجاريه فقال تعرف هذه قلت نعم يا سيدي هذه التي من الله
عز وجل بك علي في امرها فقال خذها فهو ذا يجيك من يطلبها فلا تنقصها
من خمسين الف دينار فاخذت بيدها وجاني من يطلبها فبعتها منه بثلثين
الف دينار وعدت الي عيسى فسالني وخبرته فلامني ايضا فشكرته وقلت
استحييت من الله ان اخذ اكثر من هذا واخرج الجاريه ومعها كسوه وطيب
بالوف دنانير وقال قد بيرت لك بها فاتخذها لنفسك ففعلت فهي والله

ام طباب ابني فقلت له ما قصته هولا مع هذه الجاريه فقال وعجايب اما
الاول فخليفته صاحب مصر وهو مقيم على بابي يندسه ليبتاع لي منسا لسة
حاجة بمايه الف دينار وانا لا اسله فلما شكوت الي ما شكوت قالت
له صبيه عند ابرهيم فاشترها لي ولو ثبت على مايه الف دينار لكونها
لك ولكنك ضيعت واما الثاني فخليفه صاحب فارس وقصته قصة
الاول فدعوت له وشكرته وانصرفت ٥ وتعرض ليحيى رجل من اهل
الشام من بني اميه فترجل له فراي شيخا وسيما له رواء وهيبه فلما عاد الى
مجلسه دعا به وساله عن سببه ونسبه فاخبره انه رجل من بني اميه وان
مسلته التي اليها يقصد وصوله الى امير المومنين فقلت يحيى القصد قاولي
بي وامير المومنين لسهل هذا السبب فانظر ما يلتمسه فان يكن يطلبه
دونها وان يكن حيله يدلنا ها وما بين ذلك من الحوايج فغير معتذر اليك
في شي منها فقال الذي سالت ما سمعت ايها الوزير وانا لا اعلم انكم يا ال
برمك معادن الخير فان سهل ان يدلني له فعلت وان رد فقد قضيت ايها
الوزير ما عليك واوجب على شكرك اخرى الليالي الغوابر فذكره
يحيى للرشيد وخبره بما دار بينهما فامره بايصاله اليه فلما وقفت عين الترب
عليه استاذن في الكلام فاذن له فتكلم واحسن وابلغ ثم انشده

يا امين الله اني قايل ٥ قول ذي راي ودين وحسب
لكم الفضل علينا ولنا ٥ بكم الفضل على كل العرب
عبد شمس كان يتلو هاشما ٥ وهما بعد لام ولاب
فصلوا الارحام منا انما ٥ عبد شمس عم عبد المطلب

فاحسن الرد عليه واسنى صلته ووصله يحيى ايضا واجرى له رزقا في بلده
ورده اليه وظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليه السلام بالديلم وقوي امره فشق ذلك على الرشيد واهتم به هما شديدا
واستشار يحيى بن خالد فاشار بتجهيز ابنه الفضل فانهض اليه الفضل بن
يحيى في خمسين الف وانهض معه وجوه القواد وولاه كور الجبال في سنة

ست وتسعين وثمانية ففيه يقول ابو قابوس الحميري

راى الله الفضل ابن يحيى بن خالد ففضله والله بالناس اعلم
له يوم بؤس فيه للناس ابؤس ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الغنى ويمطر يوم البؤس من كفه الدم

فجعل الفضل محمد بن منصور بن زياد خليفته بباب الرشيد ومضى نحوه وواصل كتبه الى يحيى بن عبد الله ورسله بالرفق والاستمالة والتحذير والترغيب والترهيب وبسط الامل الى ان اجاب يحيى الى الصلح والخروج على امان ياخذه له بخط الرشيد فوقعت نسخته الى الفضل وكتب بذلك الى الرشيد فسره وحسن موقعه منه وكتب الامان ليحيى واشهد على نفسه القضاة والعدول فانفذه الى الفضل وقدم عليه يحيى بن عبد الله فقدم به الى الرشيد معه فلقيه بكل ما احب واسنى جائزته واكثر بره وعطاوه وانزله منزلا سريا وبر الفضل بن يحيى وشكر فعله ففي ذلك يقول مروان بن ابي حفصه

ظفرت فلا شلت يد برمكية رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين اعيا الراتقين التئامه فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فاصبحت قد فازت يداك بخطة من المجد باق ذكرها في المواسم
وما زال قدح المجد يخرج فائزا للبرمكي كلما ضمت قداح المساهم

وفيه يقول ابو ثمامه الخطيب

سعى الناس في اصلاح ما بين هاشم فاعياهم الرتق الذي رتق الفضل
كان بني العباس في ذات بينهم وال علي لم يكن بينهم حبل

الفضل بن يحيى وكان منهم هو الجواد السمح الملاذ الجواد بالمنح الذي يستنزل الغيث منه نجلا بسحابه ويتطاول الحمد لبعد من يحيى انعامه مع قرطبته وكبر من عامر بابه وفيه يقول مروان بن ابي حفصه

الدنيا الفضل من كف ادم عد حتى صار في راحة الفضل
اذا ما ابو العباس راحت سماؤه فيا لك من هطل ويا لك من وبل

وقال فيه ايضا

وقال فيه ايضا

اذا ام طفل راعها جوع طفلها غذته بذكر الفضل فاستطعم الطفل
ليحيى بك الاسلام انك عزه وانك من قوم صغيرهم كهل

فوصله بمائة الف درهم وحمله وكساه ووهب له جارية يقال لها طيفور كاسية حالية فقيل انه حصل له سبع مائة الف درهم ما بين ورق وعروض ومدح ابو نواس الفضل بن يحيى

اربع البلى ان الخشوع لباد عليك واني لم اخنك ودادي

وفيها يقول

رايت لفضل في السماحة بدعة اطالت لعمري غيظ كل جواد
ترى الناس افواجا الى باب داره كانهم رجلا دبا وجراد
فيوما لالحاق الفقير بذي الغنى ويوما رقاب بوكرت بحصاد
سلام على الدنيا اذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد
بتدبير يحيى اشرقت سبل الهدى وامن ربي خوف كل بلاد

ومنها قصيده من اوايلها

سالوا الى الفضل بن يحيى بن خالد هوى الا لعل الفضل يجمع بيننا
وللفضل صولات على صلب ماله ترى المال منها للمكارم مذعنا
وللفضل اجرى مقدما من ضبا زمراد لبس الدرع الحصينة واكتنى
نفرنا فلم نخط البرامك معدنا من الجود اذ لم تلق للجود نعد منا

وفيه يقول اسحق بن ابرهيم الموصلي

لو كان بيني وبين الفضل معرفة الفضل بن يحيى لاعداني على الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره والمشترى الحمد بالغالي من الثمن

ولما وصل الفضل الى خراسان حين ولاه الرشيد امرها بسط بساط العدل وازال سيرة الجور وبنا الحياض والمساجد والرباطات واحرق دفاتر البواقي وزاد الجند عشر سنيات والقواد خمسينيات ووصل الزوار والقواد والكتاب بعشرة الاف الف درهم وامر بهدم بيت النوبهار فلم يقدر على

هدمه لونائته وعظم المؤنه عليه فهدم منه قطعة وبنا فيها مسجداً
واستخلف ـــ عمرو بن جميل على خراسان ثم انصرف الى العراق فتلقاه
الرشيد ببستان ابي جعفر وامر الشعراء بمدحه والخطباء بذكر فضله
وكان قد شخص مع الفضل ابرهيم ابن جبريل على شرطه فوجهه الى كابل
ففتحها وافاد مالاً عظيماً ثم ولاه سجستان ووصل اليه تسعة الاف الف
درهم وحصل في يده من خراجها اربعة الاف الف درهم فلما انصرف الفضل
الى العراق وعوّا ابرهيم بن جبريل وبنى داره وسال الفضل ان يزوره ليريه
نعمته عليه واحضر المال فلما قعد الفضل عرض عليه تحفاً لتبره وهذا بما
يقبله وذكر له حال المال فابى ان يقبل منه شيئاً وقال له لم اتك لاسلبك
النعمة فقال له ايها الوزير فحمك على طاهره فقال له والله منه يجد سوزيد
ولم يزل يسأله ان يكرمه بقبول شيء منه فقبل سوطاً سجزياً وقال
هذا يصلح للفرسان ثم ذكر له امر المال فقال له اما لك طالب بيت يسعه
ثم خلاه وانصرف وكان ابو الهول الحميري هجا الفضل بن يحيى ثم اتاه فيما
بعد راغباً اليه فقال له الفضل باي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي
القى الله عز وجل به وذنوبي اليه اكثر من ذنوبي اليك فضحك ووصله
وذكر الشيخ بن الحسن بن مصعب ان الفضل ابن يحيى لما صار الى خراسان
فرق فيهم اموالاً واخذ البيعة بالعهد لمحمد بن الرشيد وسماه الامين فماج
له الناس في ذلك يقول منصور النميري

امست ثمر وعلى التوفيق قد صفقت على يد الفضل اي العجم والعرب
بيعه لولي العهد احكمها بالنصح منه وبالاشفاق للدين
قد وكد الفضل عهداً لا انتقاض له لمصطفى من بني العباس منتخب

فاجازه ثلاثمائة الف درهم وكان الفضل بن يحيى لا يشرب النبيذ ويقول
لو علمت ان الماء ينقص من مروتي ما ذقته ابدا وقد حكى عبد الملك بن
مروان مثل هذا الكلام في مصعب بن الزبير لانه وصفه وفضله وقال
في كلامه كانت عنده عقيلتنا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت

صح

طلحة ثم هو اكثر الناس مالاً جعلت له الامان وضمنت له ان اوليه العراق
وقد علم اني شافي له لصداقة كانت بيني وبينه فابى وحمي انفاً وقاتل
حتى قتل فقال له بعض من حضره انه كان يصيب الشراب فقال ذاك قبل
ان يطلب المروه فاما اذ طلبها فلو ظن ان الماء ينقص من مروته ما ذاقه
وركب الفضل بن يحيى يوماً من منزل له بالخلد يريد منزله بباب الشماسيه
فتلقاه فتى من الانبار مملك ومعه جماعه من الناس ركبان قد عملوا الاملاكه
فلما راه الفتى نزل وقبل يده ولم يكن يعرفه فسال عنه ليعرف به فسال عن مبلغ
الصداق فعرف انه اربعة الف درهم فقال الفضل لقهرمانه اعطه اربعة
الاف درهم ليستعين بها على العقد الذي عقده على نفسه وكان محمد
بن ابرهيم الامام قد ركبه دين فركب الى الفضل بن يحيى ومعه حق فيه
جوهر وقال قصرت بنا غلاتنا واغفل امرنا خليفتنا وتزايدت
مؤنتنا ولزمنا دين احتجنا لادايه الف الف درهم وكرهت بذل
وجهي فان رايت ان تامر بعضهم بقبضه وحمل المال الينا فدعى الفضل بالحق
بالحق فراى ما فيه وختمه بخاتم محمد بن ابرهيم الامام ثم قال له نجح الحاجة ان
تقيم في منزلك اليوم عندنا فقال له ان في اليوم مشقة فقال وما يشق
عليك من ذلك ان رايت ان تلبس شيئاً من ثيابنا دعوت به والا امرت
باحضار ثياب من منزلك فاقام ونهض الفضل فدعى بوكيله وامره بحمل
المال وتسليمه الى خادم محمد بن ابرهيم وتسليم الحق الذي فيه الجوهر
اليه بخاتمه واخذ خطه بذلك ففعل الوكيل ذلك واقام محمد عنده الى
المغرب وليس عنده شيء من الخبر ثم انصرف الى منزله فراى المال واحضره الخادم
الحق فغدا على الفضل ليشكره فوجده قد سبقه بالركوب الى دار الرشيد فوقف
منتظراً له فقيل له قد خرج من الباب الاخر فاتبعه فوجده قد دخل دار ابيه فوقف
ينتظره فقيل له قد خرج من الباب الاخر قاصداً منزله فانصرف عنه فلما وصل
الى منزله فانصرف عنه فلما وصل الى منزله انفذ اليه الفضل الف الف درهم
اخرى فغدا عليه يشكره واطال فاعلمه انه بات ليلته وقد طالت عليه همّاً بما

شكاه الى ان لقي الرشيد فاعلمه حاله فامره بالتقدم اليه ولم يزل بها كسبه
حتى تقرر الامر معه على الف الف درهم وانه ذكر انه لم يتصل بمثلها قط
ولا زاد له عن عشرين الف دينار فشكرته وسالته ان يتصل بها مكانا
عطه وجعلني الرسول فقال له محمد صدق امير المومنين انه لم يتصل
قط باكثر من عشرين الف دينار وهذا انما يحتاج اليك ولك وعلى يديك وما اقدر
على شي اقضي به حقك ولا اشكر او ارى به معروفك غير ان علي وعلى ايمانا موكده
ان وقفت بباب احد سوالك ابدا ولا سالت غيرك حاجة ابدا ولو استففت
التراب وكان بعد ذلك لا يركب الى غير الفضل الى ان حدث من امرهم
ما حدث فصار لا يركب الى غير دار الخليفه ويعود الى منزله فعوتب بعد
تقضي ايامهم في اتيان الفضل بن الربيع فقال والله لو عمرت الف عام ثم
مصصت الثماد ما وقفت بباب احد بعد الفضل بن يحيى ولا سالت احدا
بعده حاجة حتى القى الله فلم يزل على ذلك حتى مات قال عبد الله
بن ياسين حدثني ابي قال كنا عند الفضل بن يحيى نخوضنا في الشعر ما ذا هو
ادوى في الناس له واجودهم طبعا فيه فقلت له اصلحك الله لو قلت شيا
من الشعر فانه يزيد في الذكر ومنه قال هيهات سلطان الشعر
احسن من ان اسلطه على عقلي قال ابو النجم الفايد اخذ الدعاه قلت لابرهيم
الموصلي صف لي ولد يحيى فقال لي اما الفضل فيرضيك بفعله واما جعفر
فيرضيك بقوله واما محمد فيفعل ما يجد واما موسى فيفعل حسب ما
يجد واما احمد فيفعل ما لا يجد وكان يلت ليحيى بن خالد عبد الله بن سوار بن
ميمون فقال دعاني يحيى يوما فقال لي اجلس فاكتب فقلت ليس معي دواه فقال
رايت صاحب صناعه تفارقه واغلظ في حرف اراد به حضي على الادب ثم
دعا بدواه وكتبت بين يديه كتابا الى الفضل في شي من اموره فظن اني
متثاقل عن الكتاب بسبب تلك المخاطبه واراد ازالة ذلك فقال لي
عليك دين قلت نعم قال كم هو قلت ثلاث مايه الف درهم فاخذ الكتاب
ووقع بخطه شعر وكلكم قد نال شبعا لبطنه وشبع الفتى لوم اذا جاع صاحبه

ان

ان عبد الله ذكر ان عليه دينا فخرجه منه ثلثماية الف درهم فقيل
ان تقنع كتابي هذا من يدك فاسمت عليك لما حملت ذلك الى منزله
من خاص مالك قبلك ان شا الله قال فحملها الى الفضل وما اعلم بها شيا غير
تلك الكلمه ودخل مروان بن زيد على الفضل بن يحيى فقال له الفضل
من الذي يقول

سار سيرا فقد وسمت حسبه قطع اعناق البيوت الشوارد
انا ام الندى والجود في كل اقام به الفضل بن يحيى بن خالد

فقال سلم الحاسد فقال لا تسمه حاسدا وسمه سلم الراح وامر له بالف
دينار ثم غلب سلم على الفضل بن يحيى وكثرت اباه وعظم احسان الفضل
اليه ما يكتبون ويتحدثون باحسن ما يحفظون باحسن ما يحفظون
وكان يقول التعزيه بعد ثلاث غدبه للمصيبه والتهنيه بعد ثلاث
استخفاف بالموده

ومنهم جعفر بن يحيى وكان الرشيد يسمي جعفرا اخي
ويدخله معه في ثوبه وقلده بريد الافاق ودور الضرب والطرز في جميع
الكور وكان جعفر بليغا كاتبا وكان اذا وقع نسخت توقيعاته وتدورست
بلاغته حكى علي بن عيسى بن يزدانيرد انه جلس للمظالم فوقع في الف
قصه ونيف ثم اخرجت فعرضت على العمال والقضاه وكتاب الدواوين
فما وجد فيها شي بتكرر ولا شي يخالف الحق قال محدث بهذا الحديث اسحق
بن ابرهيم فقال حدثني عمر بن مسعده بهذا الحديث قال ثمامه بن اشرس
كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الجد والهزل والجزاله والحلاوه
وابهاما يغنيه عن الاعاده ولو كان في الارض ناطق يستغني عن الاشاره لاستغنى جعفر
عن الاشاره كما استغنى عن الاعاده وقال ثمامه ما رايت احدا قط كان لا يتحبس
ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يرتقب لفظا استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى
قد تعاصى عليه بعد طلبه الا استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعاصى عليه
بعد طلبه الا جعفر بن يحيى وفيه تقول عنان جاريه الناطفي

بديهته وفكرته سوار اذا التبست عن الناس الامور
وصدر فيه للهم اتساع اذا ضاقت من الهم الصدور
واحزم ما يكون الدهر رايا اذا عجز المشاور والمشير
وقد ذكر محمد بن زائدة بن جعفر بن يحيى شعرا وانشدت منه بيتين
لم يبغ الى غيرهما وما فيهما طائل
نزفت دمعي ان كان الفراق غدا فكيف ابكي ودمع العين منزوف
واسوأنا من عيون العاشقين اذا اذا دخلت ودمع العين مذروف
قال ثمامة قلت لجعفر فقال ان يكون الكلام محيطا بمعناك مجليا
عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة ووقع جعفر بن
يحيى على رقعة لعمرو بن عبد العزيز بن مسعدة اذا كان الاكثار ابلغ كان
الايجاز تقصيرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا ورفع رجل
الى جعفر رقعة ذكر فيها قصيدة اياه باملٍ طويل ورجاءٍ فسيح فوقع على
ظهرها هذا بيت بحرمة الامل وهي اقرب الوسائل وانبت الوصائل فليعجل له
من ثمرة ذلك عشرون الف درهم وليختص ببعض الكفاية فان وجدت
عنده فقد ضم الى حقه حقا والى حرمته حرمة وان قصر عن ذلك فعلينا معوله
والينا موئله وفي مالنا سعة له ورفع الى عامل له يامره بالعقطه والحذر لئن سمي
على شل ليلة البيات ورفع في رقعة لاهل فارس وقد رفعوا يشكون حوائجهم
صمت للبلدان لم تنقى عوائق بان بهما الجور عنهم مستقلع ورفع رجل الى جعفر بن
يحيى يساله الاستغاثة وكان يعرفه ويخبره فوقع على ظهر رقعته
قد رايناك فما اعجبتنا وبلوناك فلم نرض الخبر
وكان جعفر بن يحيى يقول الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم
منثورها ورفع على كتاب لعلي بن عيسى بن هامان وقد كتب اليه معتذرا
من اشيا بلغت عنه
كانا وقد كنا صديقا موافيا تباعد بينانا قدام الى الحشر
وقد رفع على كتاب اخر لعلي بن عيسى حبب الله اليك الوفا الذي ابغضته وبغض اليك

العذر الذي احببته فما جزاء الايام ان عجبن طناء بها وقد رايت غدرانها
وقعانها عيانا واخبارا والسلام ووقع على رقعة لمحبوس العدوان
او نفقه والتوبه نطلقه وكان الاصمعي يالف جعفر بن يحيى وبا نسريه
ويختص بقربه وله فيه مدائح كثيره وحكايات توصف ويفرط
وتفضيل فمن شعره فيه
اذا قيل من للندى والعلى من الناس قيل الفتى جعفر
وما ان مدحت فتى مثله ولكن بنوا برمك جوهر
قال جعفر يوما لخادمه خذ معنا الف دينار فاني اريد ان امر
بالاصمعي وانزل عنده فاذا حدثني واضحكني فضع الكيس في حجره ثم
صار اليه ومعه انس بن ابي شيخ فحدثه الاصمعي بكل شيء فلم يضحك
وانصرف فقال له انس بن ابي شيخ انه قد اجهد جهده فلم تضحك ولبس من
عادتك ان ترد شيئا قد امرت باخراجه من بيتك فقال له جعفر ويلك
قد وصلنا هذا الرجل بخمس مائة الف درهم ولقد دخلت بيتا مثل هذا الفقر
ورايت حبه مكسورا وعليه شي كان منخرق عنه مصلى وشيخ وكل ما عنده
رث وانا ارى ان لسان النعمه انطق من لسانه وان ظهور الصنيعه امدح واهجا
من مدحه وهجائه فعلام اعطيه الاموال اذا لم تظهر الصنيعه عنده
ولم تنطق النعمه بالشكر عنه ثم بيت نصيب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
وكان جعفر نظر ما بعده فان الاصمعي قد هجا البرامكه فيما بعد ولغرضهم
وقال عند نكبتهم
اذا ذكر الشرك في مجلس اضاءت وجوه بني برمك
وان تليت عندهم اية اتوا بالاحاديث عن مزدك
ورد الرشيد الى هرثمه بن اعين الحرس وكان الى جعفر بن يحيى فقال له جعفر ما
انتقلت عني نعمه صارت اليك وقلد جعفر الى ما كان يتقلده من البلاد ومن التوقيع
والسر الحرير والشام وامره ان يتخذ خيلا يجريها في الحلبه فاجرى جعفر يوما

حبلة بالرقة خيل الرشيد فغضب الرشيد فقال العباس بن محمد الهاشمي
لجعفر يا ابا الفضل ما احسن الشكر وادعاه الى المزيد من ابن لك هذا الفرس
السابق فقال له انه من خيلك فقال له والله لا رضيتك ثم اقبل على الرشيد
فقال له لنت يا امير المومنين مع ابي العباس السفاح ونحن في الميدان وقد
ارسلت الخيل مدنا ننظر اذ طلع فرس سابق فقطاه القتام ثم انزى
علامته فقال عيسى بن علي لي ثمال غيره لي ثم طلع اخر على تلك الصفة ثم طلع
اخر على تلك الصفة فنظروا فاذا هي لخالد بن برمك وقد اخذ قصبات السبق
فقال خالد مرنا امير المومنين بقبضها فقال له هي لنا عندك فانك عده من
مدد نامسري عن الرشيد وزال الغضب عنه ثم استخلف الرشيد
جعفرا بالرقة خرج مجاورا فاعتمر عمره سهر رمضان وانام بالحرم حتى حج
وانصرف على طريق البصرة وخرج منها الى الجزيره يريد الرقة ثم هاجت
بالشام عصبية في سنه ثمانون ومايه فقال الرشيد لجعفر اما ان تخرج
انت اليها واما ان اخرج انا اليها فشخص جعفر من الرقة يريد الشام فشيعه
الرشيد وخرج معه جميع من حضرته من الاخوة والاشراف وفيهم عبد
الملك ابن صالح فلما ودعه عبد الملك قال له جعفر اذكر حاجتك
قال له حاجتي اعزك الله ان تكون كما قال الشاعر

فكوني على الواشين لداء شغبة ... كما انا للواشي الد شغوب

فقال له جعفر بل اكون كما قال الاخر

واذا الواشي اتى يسعى بها ... نفع الواشي بما جا يضر

وقال منصور النمري في ذلك قصيدة اخترت منها ابياتا وهي

لقد اوقدت بالشام نيران فتنة ... فهذا اوان الشام تخمد نارها
اذا جاش موج البحر من ال برمك ... عليها خبت شهبانها ونهارها
رماها امير المومنين بجعفر ... وفيه صدعها وانجبارها
رماها بميمون النقيبة ماجد ... تراضى بها قحطانها ونزارها

وفيها يقول ـــــــ

اذا ما ابن يحيى جعفر قصدت له ... ملمات خطب لم ترعه كبارها
لقد نشات بالشام منك غمامة ... يومل جدواها ويخشى دمارها
فطوبى لاهل الشام يا ويل امها ... اتاها حياها واتاها بوارها
غدا بنجوم السعد من حل رحله ... البلد وعزت عصبة انت جارها
فان سالموا كانت غمامة نايل ... وغيث والا فالدماء قطارها

ثم صار جعفر الى الشام فاصلحها وظفر بجماعة ممن سعى بالفساد وشرد اخرين
استقامت امورها وله خطبة خطبها ذكرتها من بين كلامه لسدادها
وهي الحمد لله لم يمنعه عناده من الخلق من العايده عليهم ولم يمنعه
اسايتهم من الرحمة لهم والرافة بهم دعاهم من طاعته بما يحبهم ردا لهم
عن معصيته عما يرد بهم كلفهم من العمل دون طاقتهم واعطاهم من النعم
فوق كفايتهم فهم فيما حملوا خفف عنهم وفيما خولوا موسع عليهم وصلى
الله على محمد نبي الرحمة والمبعوث الى كافة الامة وسلم تسليما اما
بعد ايها الناس فاني اوصيكم بالالفة واحذركم الفرقة وامركم بالاجتماع
وانهاكم عن الاختلاف قال الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا فامر بالجماعة في اول الاية ثم لم ينقض حتى نهى عن الفرقة توكيدا
للحجة وقطعا للمعذرة ان الفرقة تنشئ بينكم احنا يطلب بها بعضكم بعضا
وان الجماعة تعقد بينكم ودا يحمي بها بعضكم بعضا حتى يكون بها المكاثرة في احدكم
كالمكاثرة لجماعتكم فمتى يطمع عدو فيكم اذا كانت النية لكم ان عقل
بعضكم حرسه بقيتكم وان مرقت طايفة منكم شفعها بالعلم انه لم يجتمع ضعفا
فقط الا قووا حتى يمنعوا ولم يفترق اقويا قط الا ضعفوا حتى يخضعوا واجتماع الضعفين
قوة تدفع عنهما وافتراق القويين مهانة تمكن منهما فاهل الجماعة لا تنقص قلته
بكثرة من يحفظه وسقط الفراق لا ينفعه تيقظه لكثرة من يطلبه وصاحب
الجماعة يدرك لديه من الحرس والمنة وصاحب الفرقة يذهب حقه في النفس
والحرمة قال جعفر بن يحيى يقول مسلم بن الوليد في قصيدة طويلة غدا
نصرا نبه من الشام

استفسد الدهر اقواما فاصلحهم عمدًا لكتّاب الله محتمل

كانه قمرا وصمصام هصرا وحية ذكرا وعارض هطل

لا يضحك الدهر الا حين يسأله وليس يعبس الا حين لا يسل

شد الخليفة اطراف الثغور به وقد تفصّل واسترخى بها الطول

كل البرية ملق نحوه املا للرغب والرهب موصولا به امل

داوى فلسطين من داء بها رجل في صورة الموت الا انه رجل

سل المنون عليهم من مناصله سيل الحريق ترامى دونه الشعل

امنت بالشام ايامًا وافئدة قد حل مستوطنا او كادها الوجل

حدث سوز بن حرون قال قال في الحسن خالي قال ابي كان لجعفر بن يحيى كاتب فبلغته عنه خيانة فاراد ان يوقع به فقلت له انشدك الله ان تفعل فانه ان بلغ امير المومنين هذا ضيع امره وماله وكيف تراه يضبط مالي وامري ولكنه دعه الان ثم اعزله فيما بعد وتبعه في سير [illegible] راي ولم يعزله في ذلك الوقت. وقال ابن عبدوس في كتاب الوزرا والكتاب وجدت بخط احمد بن اسمعيل نطاحه حدثني يحيى بن يعقوب النصراني قال حدثني سعيد بن حميد قال لم تزل كتب الملوك تجري وتاخر الى التوقيعات على ان يوقع الرئيس في القصة بما يجب فيها ويذكر المعاني التي يامر بها ولم يكن للكتاب في ذلك الامر شي اكثر من ان يبسطوا تلك الجملة من التوقيع الفاظا يشرحها ويقرب من الخاصة مهمها ولا يخرجها عن معنى ما قصده الرئيس الى ايام الرشيد فان المتظلمين كثروا على باب جعفر بن يحيى وتاخر جلوسه اياما فبعث يحيى اليه ليسأله عما يمنعه ان يجلس لهم فجلس وكانت القصص قد كثرت فعض اكثرها وجاء رسول الرشيد يامره بالمصير اليه فقال للرسول قل له الساعة اجي ونظر في بقية وجاء رسول اخر يستحثه فقال له قل له يا سيدي قد بقي بين يدي شي يسير فجاء رسول اخر ثالث فقال يقول لك اني جايع وانا منتظر حضورك للطعام فدع كل ما بين يديك واقبل الي وانا منتظرك وكان في القصص قصة طويلة دقيقة الخط رديته وكان جعفر كلما وقعت عينه عليها عزلها لاستثقاله لها

وقد راد ان يكون نظره فيها بعد الفراغ فوافاه الرسول الثالث وهي في يده واعجله عن ان يستتمها وكان جناح في بقية الامده وكره ان يتاخر عن الرشيد وكره وقد رايت في يده ان يطرحها فيما لم ينظر فيه فوقع على ظهرها بما يجب في ذلك بما يعمل به في مثله على سنن الحق وقصده ووجه الانصاف وسبيله ايثارا لله تعالى فورد على الكتاب من هذا من التوقيع ما لم يرد مثله وصار ذلك رسما للرؤسا في التوقيع بالالفاظ الجميلة وكان عبد الله المامون في حجر محمد بن خالد بن برمك فنقله الشريف الى جعفر بن يحيى فاشار على الرشيد ببيعته للمامون بعد محمد وقام بالامر حتى عقده له وشخص معه من الرقة الى مدينة السلام حتى ولي البيعة له والاخذ للايمان على بني هاشم والوجوه بها وكاتب العمال في جميع النواحي بذلك ثم انصرف الى الرقة وتكلم سهل بن هرون بحضرة جعفر بن يحيى فاغرب واعرب فقال له جعفر اي شي هذا الكلام وانت من دهستان فقال له سهل هي اقرب الى البادية من بلخ وهذا الكلام قد روي ان المتكلم به ملك بن شاهي وان جعفر قال له انتكلم بهذا الكلام وانت من اهل نفر قال اقرب الى البادية من بلخ وصنع ابان بن عبد الحميد بن لاحق مولى الرقاشيين كتاب كليلة ودمنة شعرا واهداه الى جعفر بن يحيى فوهب له مائة الف. وذكر اسحق الموصلي قال قال لي ابرهيم بن المهدي خلا جعفر بن يحيى يوما في منزله وحضر ندماوه وكنت فيهم فتضمخ بالخلوق ولبس الحرير وفعلنا مثل ذلك وتقدم الى الحاجب بحفظ الباب الا من عبد الملك بن صالح [illegible] جعفر في منزله فركب اليه فوجه الحاجب الى جعفر قد حضر عبد الملك فقال يوذن له وهو يظنه ابن حران فدخل عبد الملك بن صالح في سواده وقلنسوته فلما راه جعفر اسود وجهه وراه على حالنا وكان لا يشرب النبيذ وكان ذلك سبب موجدة الرشيد عليه لانه كان يلتمس منادمته فيابى فوقف عبد الملك على ما راى من جعفر فراى غلامه فناوله سواده وقلنسوته واقبل حتى وقف على باب المجلس الذي نحن فيه فسلم وقال افعلوا بنا ما فعلتم بانفسكم فدنا منه خادم فالبسه حريرا

وجاء فجلس ودعا بطعام فاكل ودعا بنبيذ فاتوه برطل فشربه وقال
لجعفر ما شربته قبل اليوم فلتخفف عني فدعا له برطلية فجعلته بين يديه
وجعل كلما فعل من ذلك شيئا سري عن جعفر فلما اراد الانصراف
قال له جعفر سل حاجتك فيما احب ان تقدر في ممكنك فاه ماله زمنا فقال
ان في قلب امير المومنين مني احسنه فتسله الرضا عني قال قد رضي عنك
امير المومنين وقال وعلي اربعة الاف الف درهم يقضى عني قال انها لعندي
حاضرة ولكن جعلتها من مال امير المومنين فانها انبل لك واحب اليك
قال وابرهيم ابني احب ان اشد ظهره بظهر من اولاد الخلفا قال
قد زوجه امير المومنين ابنته العالية قال واحب ان اخفق لوار
على راسه فقال قد ولاه مصر وانصرف عبد الملك ونحن نتعجب
من اقدام جعفر على قضا الحوائج من غير استيذان وقلت لعله ان يجاب
الى ما سال من الحوائج فكيف بالتزويج ان يطلق لجعفر او غيره ذلك
فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم يلبث ان
دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وابرهيم بن عبد الملك وخرج
ابرهيم وقد خلع عليه وزوج وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج
جعفر فاشار علينا باتباعه الى منزله فلما صرنا اليه قال تعلقت قلوبكم
باول امر عبد الملك فاحببتم علم اخره واني لما دخلت على امير المومنين
قمت بين يديه ابتدات القصة كيف كانت من اولها الى اخرها فجعل يقول
والله احسنت حتى اتممت خبره ثم قال لي ما صنعت به فاخبرته بما سال وما
اجبت اليه فجعل يقول احسنت احسنت وقال حماد وغدوت يوما الى
ابرهيم بن ميمون الموصلي وكان يوم دجن فاصبت بين يديه مدورا مقرنوا باريق
موضوعة وهو كالمهموم فسالته عن حاله فقال لي ضيعة والى جانبها ضيعة ساع
ثمنها مائتا الف درهم وان دخل فيها غيري افسد علي ضيعتي وما اقول ان ثمنها
يملكني ولكني لست اسمح باخراج شي في منزلي قال فامسكت عنه واسمت يومي
عنده وغدوت على يحيى بن خالد فلقيته فسالته فسالني عن خبري في امر فخبرته

بخبر

فاضحكه ما قال ابرهيم والصرفت لابراهيم لاعرفه الخبر فوجدت
المال قد سبق اليه فقلت له اشتر الان الضيعة فقال لكل جديد لذه
وهذا مال له جديد ولست احب اخراجه قال فحدثت عيسى بن جعفر
بن يحيى الخبر فاضحك وتعجب بالمال اليه ثم صرت اليه فقلت اشتر
الان الضيعة فقال العجلة من عمل الشيطان دعني استمتع بهذا المال
مده ثم صرت الى الفضل بن يحيى فحدثته بالحديث فابتاع له الضيعة ووزن
ثمنها ووجه اليه مع الثمن ووجد اليه بالملك فصرت الى ابرهيم فو جدته
في حالة مسرور ابوصول المال وحصول الضيعة في ملكه فبلغ ذلك جعفر
فقال والله فقال والله لا نزيد على الفضل فامر له بمثلها مائتي الف درهم حملت اليه
من ساعتها وفي جعفر بن يحيى يقول اشجع السلمي

عجب الملوك مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس باوسعهم في الغنى ولكن معروفه اوسع

وحكي ان المامون قال يوما لمحمد بن عباد المهلبي بلغني انك تبذل سرفا
فقال يا امير المومنين منع الوجود سوء الظن بالمعبود واني لاهم بالامساك
فاذكر قول اشجع في جعفر وذكر هذه الابيات فذكر له هذه الابيات
فامر له المامون بمائة الف درهم وقال له استعن بها على مروتك
وحكي ان الرشيد قام من مجلسه يريد الدخول الى بعض حجره وان جعفرا
اسرع فرفع الستر وان الرشيد تامل عنقه تاملا شديدا فرآه جعفر وهو يتا مل
عنقه فقال له ما تتامل مني يا امير المومنين فقال حسن عنقك وحسن
موقع الهدايات عليه فقال لا والله ما تاملت الا موقع سيفك منها فقال له
اعيذك بالله من هذا القول واعتقه وقبله فلما قتله بعد ذلك قال
الفضل بن الربيع قاتل الله جعفرا وذكر هذا الخبر وقال ما تاملت عنقه
الا لموقع السيف منها وفي طول عنقه يقول ابو نواس يهجوه

قالوا مدحت فما ذا اعطت قلت طهرهم في النعال واخلاق السراويل
قالوا فشمل لنا المجد وحي قلت طهر وصفي يعدل التفسير في الفتيل
ذا الامير الذي طالت علاوته كانه ناظر في السيف بالطول

ولابي نواس في جعفر امداح كثيرة بلغته سمعها فجله وقابلها بفضله
واجازه عليها ووصله بسببها منها قوله ه

لقد غرني من جعفر حسن بابه ولم ادر ان اللوم حشو اهابه
ه ولست وان اخطات في مدح جعفر باول انسان خرى في ثيابه

فبعث اليه بعشرة الاف درهم وقال له اغسل ثيابك بهذه الدراهم
وقد كان جعفر بن يحيى كريما لا يستحق الهجو ولكن الشعر الامثل المستنهم
وما زالت الاشراف يهجوا ويمدح وادل دليل على كرمه ان ابا
نواس على حذقه وتقدمه في الصناعة وتقدمه في الصناعة لما اراد
هجاه لم يجد له ما يعيبه به الا طول عنقه ولو وجد غير هذا لقاله
والعيب في الخلق دون العيب في الخلق لما هجاه ثانيا بما ذكرناه لم يعيب
خلقا ولا خلقا غير انه عمل فيه قوله ان اللوم حشو اهابه ولو كان
ولو كان وجد خلقا ذميما لقاله في هجائه وذمه به ورماه بابده ولكن
لم يجد الا ما سمعه وبصره على انه قد كان يقال ان جعفر بن يحيى بخيل
وما زال كذلك وانما كان لحرابيه يحيى واخيه الفضل يعمران
التجار كثيرة وكان جعفر دونهما على كرمه المفرط وجوده الزائد
مع قربه من الخليفة اكثر من قربهما فلهذا البخل والا فهو كان السماح
وسيل البحر اذا سح والغمام اذا ساح وتنازع الفضل بن الربيع وجعفر
بن يحيى يوما بحضرة الرشيد فقال جعفر للفضل يا لقيط فقال الفضل
اشهد يا امير المومنين فقال جعفر للرشيد تراه عند نفسك هذا الجاهل
شاهدا يا امير وانت حاكم الحكام قال اسحق بن سعد القطربلي اخبرنا
ابو حفص عمر بن فرج قال انصرفت مع عمر بن مسعدة يوما من الشماسيه
والمامون بها في زلال لعمر بن مسعدة فلما مررنا بازا قصر جعفر بن يحيى قال لي

عمر يا ابا حفص مررت وجعفر يوما كمسيرنا هذا فلما نظر الى البناء قال
لي يا ابا الفضل والله لاني لاعلم ان هذا ليس من بناء مثلي ولكن ملت ان يبقى
لي فهو قصر جعفر وان صنعت عليه الايام فانما يقال قصر جعفر ويبقى لي
اسمه وذكره ولعل ان يمر به بعض من لنا عنده معروف فيترحم علينا
ثم قال عمر فوالله لكان جعفر كان ينظر الى ما الت اليه الحال فيه
وقد حكي ان السبب كان في بناء جعفر هذا القصر ان متظلما من اهل
اصبهان تظلم الى يحيى بن خالد من عامل بها وقال له انه ظلمني واساء معاملتي
واخذ ما لا يجب له مني وهدم سرابي فقال له يحيى قد جعلت على جميع ما
قطعت منه خلا قولك هدم سرابي فقسر ذلك فقال له المتظلم انا من ثم
رجل كان بنا قصرا جليلا وكان ينسب اليه فكان الرائي اذا راى القصر
وجلالته وعلم ان من ولد الباني له عرف بذلك تدبيره وجلالة اوله
فقصد انه ما ستحسن يحيى ذلك منه وقال الفضل ولجعفر لا شي ابقى ذكرا
من البناء فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكرا فاتخذ جعفر قصره وكذلك الفضل
وامر يحيى بانفاد كتب مع المتظلم يطالب العامل باعادة بناء قصره
وانصافه في ظلامته قال اسحق بن سعد وحدثني ابو جعفر محمد بن علي بن كاتب
عمر بن فرج عمن حدثه ممن ادرك البرامكة وكان يخبر كثيرا من امرهم
قال لما فرغ جعفر بن يحيى الفراغ من بناء قصره هذا صار اليه ومعه اصحابه
فيهم مونس بن عمران وكان عاقلا كاملا فطاف به واستحسنه وقال من
حضره من اصحابه واكثروا فيه القول ويونس بن عمران ساكت فقال جعفر
ما لك لا تتكلم فقال له فيما قال اصحابنا كفاية وتكرار القول فيما لا يحتاج اليه
وكان جعفر كيسا فعلم ان تحت قوله شيئا فقال له والله لتقولن فقال هو ما
قالوا قال اقسمت لتقولن ما عندك قال اما الان فلا الا ان اقول معتزلا فاصحبه
ففعل فقال له تصبر على الصدق فقال نعم قال بل تضجر قال اسالك بالله ان خرجت
من دارك هذه فمررت بدار لبعض اصحابك تشبهها او تقاربها ما انت قائل
فقلت ما اردت فما الراي قال هو راي واحد ان اخرته عن ساعتك هذه

فات ولم يلحقه قال وما هو قال لا شك ان امير المومنين قد طلبك وسال
من خبرك وضجر بتعطله فاطل اللبث ها هنا ثم امض اليه من فورك
فادخل عليه وعليك اثر الغبار فاذا سالك من خبرك فقل صرت الى الدار
التي بنيتها للمامون ثم اتبع ذلك من القول بما انت اعلم به وقد كان جعفر
اتخذ في هذا القصر ثلاث مايه وستين مقصوره وكتب الى كل ناحيه
يحمل فيها الفرش فامر ان يتخذ له ما يحتاج اليه لبنائه من الفرش على ذرعه
ومقاديره وكان قد كثر القول في البنا والفرش فاقام في الدار في النثار
مده ثم مضى من فوره فدخل على الرشيد فسال له عن خبره فدخل على الرشيد
فساله عن خبره فقال كنت في الدار التي اتخذتها للمامون على دجله وتفقدت
بعض ما احتجت الى تفقده فيها فقال اوللمامون بنيتها قال لما شرفني امير
المومنين بان جعله في حجري فاستخدمني له وعرفت محله من قلبك اردت بان
ابني له بنا يشبه هذا المحل ومع ذلك فاني كتبت بان يحمل لجميع البنا فرش
في جميع النواحي التي يستعمل فيها الفرش على مقاديره وبقي شي لم يتهيا
اتخاذه فقدرنا ان يعول فيه على خزاين امير المومنين اما عاريه واما
هبه فقال بل هبه وزال بذلك التشنيع الواقع عليه كله وامره بنزولها
راى ان يطاق للمامون الانتقال اليها فاستقل اليها جعفر بن يحيى ولما عزم جعفر
على بنا قصره هذا شاور اباه يحيى بن خالد فيه فقال له هو قميصك ان شئت
فوسعه وان شئت فضيقه واتاه وهو يبني داره هذه واذا الصناع يبيضون
حيطانها فقال اراك تغطي الذهب بالفضه فقال له جعفر في كل ان يكون
ظهور الذهب اصلح ولكن هل ترى عيبا قال نعم مخالطتها دور السفل
والسوقه ٥ وحكي ان جعفر بن يحيى لما عزم من الانتقال الى قصره
هذا جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه اليه فاختاروا له وقتا من الليل
فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي كان ينزله الى قصره والطرق
خاليه والناس هادون فلما صار الى سوق يحيى راى رجلا قايما وهو يقول
٥ تدبر بالنجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يريد ٥

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له اعد على ما قلت فاعاده له فقال
له ما اردت بهذا فقال والله ما اردت به معنى من المعاني لكنه شي عرض لي
وجا على لساني في هذا الوقت فامر له بدنانير ومضى لوجهه ومضى لوجهه وقد
تنغص عليه سروره قال له اسحق بن سعد قال سمعت عمر بن فرج الرخجي يقول
كانت الحال بين فرج وبين الحرث بن بسخنر حالا لطيفه جدا وانه وصف
حبلا له الحرث ونبله وفضله قال فقلد جعفر بن يحيى في بعض الاوقات الحرث
ضياعه بالاهواز وكان له حاسد رجل يسعى به اليه وقيل انه قد اقتطع من اموال
اموالا جليلة وان فرج الرخجي يعلم ذلك وانه ان سئل عما بلغه فاحضر فرجا
وساله واستحلفه صدقه عن ذلك فاحضر جعفر ابي وخلا به وساله عن امر الحرث
وما بلغه عنه فانكره فاستحلفه عليه بالطلاق فحلف له به فلما خرج من عنده
قال لي قل لفلانه الحره وكانت عنده تسمى فعلت لها ذلك وزال
عن الحرث ما كان اسرف عليه ثم حج الرشيد وحج معه يحيى بن خالد وابناه
الفضل وجعفر فلما صار بالمدينه جلس الرشيد ومعه يحيى بن خالد فاعطا
اهل العطا ثم جلس بعد محمد ومعه الفضل فاعطاهم العطا ثم جلس
عبد الله ومعه جعفر بن يحيى فاعطاهم العطايا فاعطوا في تلك السنه ثلثة
اعطيه وكانوا اهل المدينه يسمون ذلك العام عام الثلثة الاعطيه ولم
يروا مثل ذلك قط الا في ايام البرامكه وفي نحو ذلك يقول ابن مناذر
منتظم بغداد الابيات وقد تقدمت وكان جعفر بن يحيى طالب لما
حلف للمامون في بيت الله الحرام ان يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك
ثلث مرات فحكي عن الربيع بن الفضل فيما حدث ميمون بن هرون ان احمد
قال له يوما في ذلك الوقت عند خروجه من بيت يا ابا العباس هو ذا
اجد في نفسي ان امري لا يتم فقال له في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله
يا ابا العباس ان امري لا يتم فقال له ولم ذاك اعز الله الامير قال لاني كنت
احلف وانا انوي الغدر فقلت له سبحان الله في مثل هذا الموضع فقال لي هو
ما قلت لك ولما انفق الرشيد في تلك الحجه الاموال الجليله بعدما كان معه

فقال ليحيى بن خالد يا ابه اختل لي مالا فاخذه من التجار مالا فاستزاده فقال يا امير
المومنين انا ببركة وما نجد فلقي جعفر بن يحيى عمر بن حبيب القاضي وكان انقطاعه
الى يحيى فقال له ما صنع بنا صديقك يعني اباه فقال وكيف اعزك الله قال
طلب منه امير المومنين مالا فلم يحمل اليه حتى اتاه بعض خدمه بثمانية الف
دينار فنقضها بين يديه وقال له انصرف هذه يا امير المومنين في بعض ما
يحتاج فلما رآه استكثره واحب الرشيد جمع المال ووضع فكان
فقصد له من توكيد بيعة ابنيه واخذ الايمان لكل ولد منهما على صاحبه
وعلى الناس لهما قال موسى بن يحيى بن خالد فخرج ابي الى الطواف وانا معه
من بين ولده فجعل يتعلق باستار الكعبة ويردد هذا الدعا اللهم ان ذنوبي
جمة ولا يحصيها غيرك ولا يعرفها احد سواك اللهم ان كنت معاقبي فاجعل
عقوبتي في هذه الدنيا وان احاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي حتى يبلغ
رضاك مني قال وعلق الرشيد الكتب بالعقد لابنيه في البيت الحرام
وانصرف فنزل الانبار ودعا الرشيد صلحا صاحب المصلى حين تنكر البرامكة
فقال له اخرج الى منصور بن زياد فقل له قد صحت لي عليك عشرة
الاف الف درهم فاحملها الي في يومك هذا واطلق معه فان دفعها
اليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا والا فاحمل الي راسه
واياك ومراجعتي في امره قال صالح فخرجت الى منصور وهو في الدار
فعرفته الخبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف انه
لا يعرف موضع ثلاث مائة الف درهم فكيف بعشرة الاف الف فقال له صالح
خذ من عملك فقال له امض بي الى منزلي حتى اوصي واتقدم وامضي في امري
فمضى به فما هو الا ان دخل حتى ارتفع الصياح في منازله وحجر نسائه فاوصى
وخرج وما فيه لحم ولا دم فقال امض بنا الى ابي علي يحيى بن خالد لعل الله ان
ياتينا بفرج من جهته فمضى معه فدخل الى يحيى وهو يبكي فقال له يحيى وما
وراك فقص عليه القصة فقلق يحيى بامره واطلق مفكرا ثم دعا خازنه فقال
له كم عندك من المال فقال خمسة الاف الف درهم فقال له احضرني

منتهيا

21

منتهيا فاحضرها ثم وجه الى الفضل ابنه فقال له انك كنت اعلمتني ان
عندك فداك ابوك الفي الف درهم تدرت ان تشتري بها ضيعة وقد اصبت
لك ضيعة سيعي ذكرها وشكرها وتحمد ثمرتها فوجه الي بالمال ثم قال
للرسول امض الى جعفر فقل له فداك ابوك وجه الي الف الف درهم
لحق لزمني فوجه اليه به فقال لصالح هذه ثمانية الاف الف درهم
ثم اطرق اطراقة لانه لم يبق عنده شي ثم رفع راسه الى خادم له وهمس
على راسه فقال له امض الى دنانير وقل لها وجهي الي بالعقد الذي كان امير
المومنين الذي كان امير المومنين وهبه لك فجا به فاذا عقد لعظم الذراع
فقال له اشتريت هذا لامير المومنين بمائة وعشرين الف دينار فوهبه
لدنانير وقد حسبناه عليك بالفي الف درهم وهو تمام حقك فانصرف
وخل صاحبنا فلا سبيل لك عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت ت
منصورا معي فلما صرنا بالباب انشد منصور متمثلا ه

فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال ه

قال صالح فقلت ما على ظهر الارض كلها رجل اجل من رجل كنا
خرجنا من عنده ولا سمعت بمثله قط فيما مضى ولا يكون مثله فيما بقي
ولا على ظهر الارض رجل اخبث سريرة ولا اردي طبعا من هذا النبطي اذ لم يشكر
من احياه قال صالح وصرت الى الرشيد فقصصت عليه القصة
فقال لي الرشيد اما انني قد علمت انه ان نجا لم ينج الا باهل هذا البيت
قال لي اقبض المال واردد العقد فاني لم اكن لاهب هبة وترجع الي مالي
قال صالح ولم تطب نفسي بترك تعريف يحيى ما قاله منصور فقلت له
لما رايته بعد ان اطنبت في شكره ووصف ما كان منه ولقد نعمت على غير شا كر
قابلا كرم فعلك بالوم قول قال وكيف ذلك فاخبرته بما كان منه وقلت له لقد
انعمت على غير شاكر قابلا اكرم فعل بالام قول قال وكيف ذلك فاخبرته
بما كان منه وقلت بينه مجعل والله يطلب فعل والله يطلب المعاذير
ويقول يا ابا علي ان المحزون القلب ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره

وقد كان الرجل في حال عظيمة فقلت له والله ما ادري من اي امريك اعجب
من اوله ام من اخره ولكني اعلم ان الدهر لا يخلف مثلك ابدا ان لم
البث حتى بلغ جعفر الخبر فسالني فقصصت عليه ما كان فقال يا هذا لا
يشرع الى ملامة الرجل ولمناد لم يحمل المال له صلة وقدر امير المؤمنين
عنه فقد لوى راس دابته كابيا الى باب الرشيد وانا معه فتركني بالباب
ودخل فلم يلبث ان اسرع من عوده وبيده توقيع الرشيد باعادة المال
عليه ثم قال اذهب به الى الرجل وقل له خذ المال صلة لك بارك الله
لك فيه فقلت يابى الله الا ان يكونوا بني يحيى قلت والبيت الذي
يتمثل به منصور بن زياد من ابيات اللعين المنقري يهجو فيها جريرا وهي

سافضي بين كلب بني كليب وبين القين قين بني عقال
فان الكلب مطعمه خبيث وان القين يعمل في سفال
كلا العبدين قد علمت معد لئيم الاصل من عم وخال
فما قضا على تركتما بي ولكن خفتما صرد النبال

وكان ابو الشمقمق قد صار الى منصور بن زياد ليساله ان يبره وكان
منصور مشاغلا فوهب له عشرة دراهم وامره بالعود اليه ليبره
فاخذها وقام وهو يقول

لولا ابي منصور وافضاله سحت في لحية منصور

فبلغ ذلك محمدا فقال ان احسنا هذا وما املسا منه وانا حكيت هذه
الحكاية وان لم تكن موضع ذكرها ليعرف بها لؤم منصور وكرم البرامكة
العيوب البحور والضد يظهر حسنه الضد وحكي ان منصور بن زياد
افسد فيه جعفر بن محمد فقال له لا سعت علي بن يحيى بن خالد بن ضربه
عليه من كلمه جعفر بن محمد فقال له لا يحرجني ان تقول عنك وكان
جعفر ابن يحيى يساعد الرشيد على كل شي يطالبه وكان الفضل يشنع
عليه وكان لا يشرب النبيذ فظن الرشيد انه يسعه عليه وكان
يعتب عليه من ذلك وكان يحيى بن خالد ينكر على جعفر دخوله مع

الرشيد

الرشيد فيما يدخله فيه ويحرف عليه من هاتيه وذكر سعد بن هرمز
ان يحيى كتب الى جعفر يوما في شي عتب عليه منه من هذا الجنس انما
اهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها امرك وان كنت اخشى ان تكون
التي لا شوى لها وقال يحيى للرشيد غير مرة يا امير المؤمنين اني اكره
مداخلتك جعفر ولست آمن ان ترجع العاقبة علي في ذلك فلو اعفيته
واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم اعمالك كان ذلك احب الي
واولى بتفضلك عليه وامن عليه عندي فقال له الرشيد لست بك هذا
ولكنك تحب ان تقدم الفضل عليه وقال صاحب كتاب
الوزراء بختيشوع بن جبرئيل قال حدثني ابي وكان صنيعة البرامكة
انه دخل الى الرشيد يوما وهو جالس على بساط وكان على مشرعة باب
خراسان مما يلي الخلد والقرار وام جعفر تعني زبيدة حاضرة من وراء
ستر فقالت لي ام جعفر تجد شيئا فاشرت لها بما تحب فبينا انا انظر في ذلك
اذ ارتفعت ضجة عظيمة فسال عنها فقيل له جعفر بن يحيى ينظر في امور
المتظلمين فقال بارك الله عليه واحسن جزاءه فقد خفف عني وحمل الثقل
دوني وناب منابي وذكره بكل جميل وفعلت ام جعفر مثل ذلك ولم تدع
شيئا يذكر به احد من الجميل الا ذكرته به فامتلات سرورا وتلت
في ذلك ما املني وخرجت مبادرا الى يحيى بن خالد وكنت اتيه بالاخبار
فخبرته بذلك فسر به ومضت مدة ثم جاني رسول الرشيد يوما فصرت
اليه فوجدته جالسا في ذلك المجلس بعينه وام جعفر وراء الستر والفضل
بن الربيع بين يديه واذ جعفر قد وجد شيئا وامر فيها مثل حالها المتقدمة
عليها ما اراه فاني لفي ذلك اذ ارتفعت ضجة شديدة فقال الرشيد ما هذا
فقيل له جعفر بن يحيى بن خالد ينظر في حال المتظلمين فقال فعل الله به
وفعل بدمه ولبسه استبد شيئا استبد بالامور دوني وامضاها على
غير رايي وعمل بما احبه دون محبتي وتكلمت ام جعفر باغلظ من كلامه
وشتمته باكثر مما يكلمه به احد فورد علي من ذلك ما اذا هدوا فعد ثم انقل

على الرشيد فقال يا جبريل انه لم يسمع كلامي غيرك وغير الفضل وليس
الفضل ممن يحكي شيا منه وعلي وعليَّ لئن تجاوزك لاتلفن نفسك قالت
فبرئت اليه من ذكره والتزمت الاقدام على حكاية شي جرى في
مجلسه وانصرفت ولما صبر وقلت ان تلفت في الوفا فلم ابال وصرت
الى يحيى بن خالد فعرفته بما جرى فقال لي انك لم وقد حييتني في يوم كذا
من شهر كذا وانا في هذا الموضع تحكيت لي عن امير المومنين الاحماد
والثنا والشكر والدعا وعن جعفر مثل ذلك فقلت نعم وعجبت
من حفظه الوقت فقال انه لم يكن منه في تلك الحال الا احمد هارون
كان منه في تلك ثم لم يكن منه في هذه وذكر المدة اذا اذنت بالانقضا
جعلت المحاسن مساوي ومن اراد ان يدفع ما قدر ونسل الله حسن الاختيار
وكان صنعه البرامكه وكان يقول للمامون لسبب هذه النعمه لم
انزعها منك ولا من ابايك هذه اذ يعظها من يحيى بن خالد الرشيد بالتعرض
الى صديق له من الهاشميين ليشاوره في امره فقال له ان امير المومنين
قد احب جمع المال وقد كبر ولده واحب ان يعتقد لهم الضياع
وقد كثر على اصحابك عنده فلو نظرت الى ما بين ايديهم من ضياع واموال
فجعلتها لولد امير المومنين وتقربت بها اليه رجوت لك السلامة وهم
ذلك من ذكره فقال يحيى جعلني الله فداك لان نزول النعمة عني
احب الي من ان ازيلها عن قوم كنت سببها اليهم وسمع رجل ساب
يحيى بن خالد يحيى وهو يتضجر بالعمل ويستعفي منه فقال له رجل ان
يخفف به منهم اعيذك بالله ان يعلم امير المومنين انه يستغني عنك
طرفة عين ولا تفلح بعدها ابدا ودعه يظن ان هلكه بزوال سلطانه
وان صرفك مما لا يجوز ولا يكون فلم يقبل يحيى ذلك وواصل التضجر والا
فهلك هو وبنوه وكان اسرعهم هلكا واشنعهم صرعة جعفر
وحكي عن عبد الله بن زياد انه لما حسق يحيى بالنعبة من الرشيد
سار الي معاد بن مسلم فدخل على دابته الى باب مجلسه فقام اليه معاد
واكب

معاد
واكب عليه يحيى يكلمه فلما فرغ من حديثه ولى منصرفا وعاد الى مجلسه
فقال لما حضره انه دون ما كان لي يحيى قالوا لا قال حيث اسلموا البلد
امير المومنين فقلت فيها ما قال كان يسالني ان اصير له في السنة اربعة
الاف الف درهم لخاص نفقاته ليصرفها فيما احب ففعلت ثم سالني
ان ازيده فزدته فجعلتها ستة الاف الف درهم ثم استزادني في وقت
بعد اخر حتى صارت عشرة الاف الف درهم ثم استزادني في وقت
بعد اخر فزدته ثم سالني اليوم ان اصيرها عشرين الف الف درهم
فاي بيت مال يفي على هذا واي بيت مال يفي به وقد اشرت عليه بان
يداريه ويرفق به ولا يسخطه ودخل يحيى على الرشيد لما ابتدات
حاله في الفساد وهو خال فعرفته خبره ففرح وانصرف فقال الرشيد
لبعض الخدام الحق يحيى فقل له خنتني فاتهمتني فلحقه فقال له ذلك
فقال يحيى للرسول تقول له يا امير المومنين اذا انقضت المدة
كان الحتف في الحيلة ووالله ما انصرفت عنك في خلوتك الا خفيفا عنك
وهذا كلام لامير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام اذا انقضت
المده كان الهلاك في العده اي الاستعداد واخذ هذا الكلام ابن
الرومي الشاعر فقال

غلط الطبيب علي غلطة مورد عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما غلط الطبيب اصابة المقدار

وذكر محمد بن زكريا العلاني قال حدثني مهدي بن سابق قال راى
يحيى بن خالد في منامه قبل نكبته كان قايلا يقول له

انحوا البرمك وانظر وها منتهيه
يوشك الدهر ان يجلعليكم بداهيه

وكان الرشيد بعد صرف الدهر الفضل بن يحيى عن خراسان قلد علي
بن عيسى بن ماهان خراسان فنكب وقع عنده عن الفضل في الاموال
فقتل علي بن عيسى وجوه اهل خراسان وملوكها وجمع اموالا جليلة

يحمل الى الرشيد الف بدره معموله من الوان الحرير فيها عشرة الاف الف
درهم فلما وصلت اليه سر بها واحضر يحيى بن خالد فقال له يا ابت اين
كان هذا الفضل فقال له يا امير المومنين ان سبيل خراسان ان يحمل اليها المال
لا ان يحمد منها والفضل اصلح نيات روساها واستجلب طاعتهم وعلي بن
عيسى مثل ضاد بدا اهل خراسان وطراحيها وحمل اموالهم ولو قصدت
لدرب من دروب الصيارف بالكرج لوجدت فيه اضعاف هذه
وسيفوق امير المومنين ما كان كل درهم منها عشرة فتغلل هذا القول
منه على الرشيد فلما انتقض امر خراسان وخرج رافع بن الليث واحتاج
الرشيد الى النهوض اليها بنفسه فخرج حتى صار الى طوس وجعل يتذكر
هذا الحديث ويقول صدقني والله يحيى ونصح فاتهمته لقد انفقت مائة
الف الف درهم وما بلغت شيئا وكان يحيى بن خالد ولى رجلا بعض
اعمال الخراج فادخله الى الرشيد ليراه ويوصيه فقال الرشيد ليحيى
ولجعفر ولداه ارضيا فقال له يحيى وفروا عمره وقال له جعفر قال
انصف وانتصف فقال له الرشيد اعدل واحسن واستاذن جعفر بن
الرشيد في العمره في سنه خمس وثمانين ومايه فاذن له فشخص له في شعبان
واقام الى الحج وانصرف ولم يزل جعفر بن يحيى مع الرشيد على حاله في الانس
به والانبساط به الى ان ركب في يوم الجمعه مستهل صفر سنة سبع
وثمانين ومايه الى الصيد وجعفر معه ليسايره حال لبابه وانصرف ممسيا
على تلك الحال الى القصر الذي كان نزل له بالانبار وهو معه فضمه
اليه وقال لولا اني اريد الخلوه الليله مع النسا لما انا زلتك فصار جعفر
الى منزله وواصل الرشيد الرسل اليه بالالطاف الى وجه السحر ثم هجم
عليه مسرور الخادم ومعه نائلا ابو عصمه فحمله وضربت عنقه واتى الرشيد
براسه وكانت سنه سبعا وثلثين سنه وانفذ الرشيد جسمه الى مدينه
السلم مع هرثمه بن اعين ومسرور وسلام الخادمين فقطعت نصفين
وصلبا على الجسرين ونصب راسه بمدينه السلام وحبس الفضل ومحمد

وموسى بنو يحيى ووكل سلام الابرش بباب يحيى ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا
لاحد من اسبابه قال الجهشياري حدثني عبد الواحد بن
محمد الحصيبي قال حدثني ابو حازم القاضي قال قد صح عندي ان
ان جعفر بن يحيى كان مصلوبا وفي رجليه قيد وكنت اعجب من ذلك
حتى سالت علي بن عيسى بن ابي عباد عن السبب فذكر ان مسرورا لما هجم عليه
وعرفه ما امره به في امره قال له يا ابا هاشم الحرمه الموده فقال له ما لي
في امرك حيله فقال له جعفر فهذه خمسون الف دينار انتفع بها واحلني
معك غير مقتول واعلم امير المومنين انك قد امتثلت ما امرك به فان
امسك عني تركتني حتى يسال عني فتعلمه انك استبقيت من يلي خوفا
من ان يكون ما امر به من عمل النبيذ او بادره ندم عليها فاستظهرت
بي ومضى بعد ذلك ما يامر به وان يكون الاخرى فانت من المال في حل
ففعل مسرور ذلك وحمله الى مضرب الرشيد وهو جالس على كرسي ينتظره فلما
رآه قال ما فعلت فقال امتثلت امر امير المومنين قال فاين راسه يا
ابن اللخناء فرجع مسرور وتجلد وحتى اخذ راسه من بركه بابه فالقاه
بين يديه وحملت جثته والقيد في رجليه قال سلام
الابرش ولما دخلت على يحيى بن خالد في ذلك الوقت فهتكت الستور وجمعت
المتاع قال لي غير متغير ولا مضطرب يا ابا سلامه هكذا تقوم الساعه
ثم بلغه خبر قتل جعفر فقال الحمد لله فاني سعفضل ان اوثق وبالحبا ر
منه لي غالهم ولا يواخذ الله الحبا دالابذ نوبهم وما ربك بظلام للعبيد
وما يعفو الله اكثر ولله الحمد على كل حال وانفذ الرشيد مسرورا
الخادم ورشيد الخادم والحسين الخادم مرارا با صالح بن يحيى بن عبد الرحمن
الكاتب وابرهيم بن حميد الكاتب لقبض اموالهم وعقارهم وضياعهم
بالعراق وكانت مده نظرهم في الوزاره سبع عشر سنه وذكر مسرور الخادم
انه دخل على جعفر في الليله التي قتله فيها وبين يديه ابو زكار الاعمى
المغني وهو يغني

عداني ان ازورك غير بعض مقامك بين صفحة شكداد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق او يغادي

فقلت له يا ابا الفضل الذي جئت له والله من ذلك قد والله طرقك الامر صاحب امير المومنين قال دعني حتى اوصي فتركته فاوصى بما اراد وعتق مماليكه واتتني رسل امير المومنين تستحثني على قتله فحملته وقال الرقاشي في قتله

الان استرحنا واستراحت ركابنا وامسك من يحدي ومن كان يحتذي
فقل للمطايا قد امنت من السرى وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفا برمكيا مهندا اصيب بسيف هاشمي مهند

وقال فيه ايضا

على المعروف والدنيا جميعا بدولة آل برمك السلام
وما ابصرت قبلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام

وقال ابو حرزة

ما رعى الدهر آل برمك لما ان رمى ملكهم بامر بديع
ان دهرا لم يرع حقا ليحيى غير راع حقا لآل الربيع

وقال آخر

يا بني برمك واها لكم ولايامكم المقتبله
كانت الدنيا عروسا بكم فهي اليوم ثكلى ارمله

قال محمد بن الحسين الاهوازي كنا مع جعفر بن يحيى بالرقة ونحن بين يديه يوما وهو يامر وينهى اذ خلا بانس ابن ابي سحح ناحية ونحن نراه فدخل صاحب الشرطه ورجلان من اهل الذمة فوقفه من بعيد ودنا من جعفر فقال له قد احضرت الرجل الذي امرت باحضاره قال فقطع ما كان فيه مع انس والتفت فنظر اليه قال وكان الرشيد امر اهل الذمة بتغيير الملبوس والمركوب

فنظر اليه وهو رابع صفوته ما اسمك قال فلان قال ابن من قال فلان فقال انت الحراني قال نعم قال الرقعة التي رفعتها رفعتها قال نعم قال وما فيها عنك وانت تقوله قال نعم فاطرق جعفر ساعة ثم التفت الى صاحب الشرطه وقال خذه اليك فان امير المومنين قد امر ان تقتله وتصلبه قال فارتعنا لذلك القول ولم نعرف الرجل ولا ما في رقعته قال فاخذ صاحب الشرطه بيده فقال انس بن ابي سحح اصلبه على اطول عود بالرقة قال فالتفت الحراني وقال انشا على اطول عود قال وكان في الرقعة رفاعة عن البرامكه وقال ابو قابوس عمر بن سليمان الحميري يخاطب الرشيد ويرققه على الفضل بن يحيى بن خالد ويذكر مقتل جعفر

امين الله هب فضل بن يحيى لنفسك ايها الملك الهمام
وما طلبي اليك العفو عنه فقوبا على الله الزياده والتمام
اما والله لولا خوف واش وعين للخليفه لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
وما ابصرت قبلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام
عقاب خليفة الرحمن محرلمن بالسيف صححه الحمام

وكان مسرور رصد بقيا للبرامكة جميعا خلا جعفر فانه كان يعاديه وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة الرشيد فشتمه جعفر وقرفه بشي تبرا منه مسرور وحلف على بطلانه فقال له جعفر ان كنت كاذبا فقتلك الله بسيفي هذا فذكر الفضل ابن مروان ان مسرورا ضرب عنق جعفر بذلك السيف وحكى حمزة بن حنيفة قال كنا مع علي بن عيسى بن ماهان في الوقت الذي نزل فيه بالبرامكه وكان من معاديهم على ما لا غاية وراه وكان مسرور ابن كبيرهم نعدو ناله يوما من الايام فوجدنا على بضره بيتي شعر وهما

ان المساكين بني برمك صبت عليهم غير الدهر
وللورى في امرهم عبرة فليعتبر ساكن ذا القصر

قال ثم لم يلبث حتى نكبه الرشيد عقيب البرامكة ولم يزل في الحبس
الى ان اطلقه الامين وحكى الاصمعي انه لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى
ارسل الي ليلا فراعني واعجلني الرسل فزاد ذلك روعي فلما صرت اليه ثم سلمت
بين يديه اومى الي بالجلوس فجلست ثم قال

لو ان جعفر خاف اسباب الردى لنجا بمهجته طمر ملجم
ولكان من حذر المنون بحيث لا يرجو اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما تقرب يومه لم يدفع الحدثان عنه منجم

ثم قال الحق باهلك يا ابن قريب فنهضت ولم احر جوابا وفكرت فلم اعرف لما كان
منه معنى الا انه اراد ان يسمعني شعره واحكيه وحكى اسحق الموصلي قال
قال لي الرشيد بعد قتل جعفر بن يحيى وصلبه اخرج بنا ننظر الى جعفر فلما وصل
اليه جعل ينظره ويتأمله ثم انشد

تقاضاك دهرك ما اسلفا وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تعجبن فان الزمان رهين بتفريق ما الفا

قال اسحق فنظرت اليه ثم قلت يا جعفر اصبحت اية ولقد كنت
في الجود غاية فنظر الي الرشيد كالجمل الصؤول

ما يعجب العالم من جعفر ما عاينوه فبنا كانا
من جعفر او من ابوه ومن كانت بنو برمك لولانا

وكان جعفر قد اتخذ دنانير للصلات وزن كل دينار مائة دينار ودينار
وكتب على احد وجهيها

واصفر من دار ضرب الملوك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحدا اذا ناله معسر يوسر

ولما اوقع الرشيد بالبرامكة لم يجد لهم الا القليل فسأل عن اموالهم فقيل له
اذهبوها في المكرمات وقال اسمعيل بن صبيح كنت يوما اكتب بين
يدي يحيى بن خالد ايام دولتهم فدخل عليه ابنه جعفر فلما رآه اشاح بوجهه
عنه وقطب وتكره رؤيته فلما انصرف قلت اطال الله بقاك اتفعل هذا بابنك

وقال له

وقال له يا امير المؤمنين حاله لا تفقد منه عليه ولدا او لا وليا فقال اليك
عني ايها الرجل فوالله لا بد من زوال اهل هذا البيت الا بسببه فلما كان بعد
مدة اخرى دخل عليه جعفر وانا عنده ففعل مثل فعلته الاولى فاعدت
عليه القول فقال لي ادن مني الدواة فادنيتها فكتب الي كلمات يسيرة
في رقعة وختمها ودفعها الي وقال ليكن عندك فاذا دخلت سنة
سبع وثمانين ومضى المحرم فانظر فيها فلما كان في صفر اوقع الرشيد بهم
فنظرت في تلك الرقعة فكان الوقت الذي ذكره ثم تندم الرشيد
بهم فنظرت في تلك الرقعة فكان الوقت الذي ذكره ثم تندم الرشيد على
ما كان منه في امر البرامكة وتحسر على ما فرط منه في امرهم وقال
لخواصه لو نوصف بصفو نياتهم لاعقبتهم ثم كان كثيرا يقول
حملونا على نصحائنا وكفاتنا واوهمونا انهم يقومون مقامهم فلما صاروا
الى مكانهم لم يغنوا شيئا فهذه جملة من اخبار البرامكة وايامهم
وكانت دولة الكرم وصولة الجود على العدم فاضت بعدهم
بحور السماحة وغارت نجوم الفصاحة وخف وقار الكتاب
وجف ورق النبات واي ضرع اللوم ان يدر لحالب ودر الحمد
ان ينتقل لجالب وطمست انهار النادي وحبست امطار الوادي
وذهبت الايدي والايادي وسكنت فهما مهم الاسد العوادي
وعلى المعروف يده الى عنقه وغار الساري المدلج وصوح طرقه ونزلت
زفاه اسره وزلت وقاه مضره ولسفت اطواد الحجى وخسفت بدور
الدجى الا بقية ذكر تلا في ايامهم الذاهبة ورسم تخضاب البكا
عليهم لمم الدموع الشايبة فما ماتوا حتى ابقوا لهم ذكرا لا يموت
وشكرا غير موقوت حتى صار سمر الحاضري والبادي والرايح والغادي ولا
يجري لهم ذكر في محفل الا يثني عليهم كل من حضر ويصفهم ويبكي لهم عامة
الناس من يعرفهم ومن لا يعرفهم

فقل للشامتين بهم رويدا لهم لما انقضوا فكانهم ما كانوا

واما بقايا وزراء الشرق ○ فمنهم
الربيع بن العباس ولم يكن له رتبة وزارة ولا كتابة وانما كان حاجبا وهو دونا
في الوزراء لموازرته للخلفا ومشاورته لهم في كثير من الامور وكان من
الشيعة العباسيه واخباره معروفه وقد حلل في تضاعيف هذا
التصنيف ما هو حلله جيد وعليه صفات مجيده ○

ومنهم ابنه الفضل ابن الربيع ولي الوزاره لهرون
الرشيد بعد البرامكه وكان من اكبر الساعين في دمارهم والمساعدين على
خراب ديارهم ثم شدوا شدهم ولا بلغوا اشدهم وكان الرشيد
قد عزم على العصاد ثم قال لجلسائه اي شي تقدرون الي فقال كل
رجل منهم قد اعددت كذا وكذا واختار الفضل بن الربيع في التخلص
الى المشتري له فرهن حقه من قطيعة الربيع عند عون الجوهري على خمسة
سنيه وقال له اني اريد ان اهدي الى الخليفة فغيري لي منها عشرين
بدره حدداني اكياس ديباج مختمه بفضه وكان عون الجوهري
يحفظ للربيع يدا فقال للفضل اطابت نفسك ان تخرج عن جميع نعمتك
في هديه يوم فاعلمه انه عند الرشيد بمواعيد فقال عون ان عندي
عبدين روميين احدهما ناقد والاخر وزان حسنا الصور فاهتفون
وقد وهبتهما لك واحضره تابوت ابنوس محلى بفضه وصير البدر فيه
مع الطيارات والموازين والصنجات ثم اقفله بقفل فضه وغشاه بديباج
وكسى الغلامين من الديباج المذهب والبسهما المناطق الذهب المرصعه بالجوهر
والمناديل المصريه ووجه بهما وبالتابوت المملو بالبدر مع من يحمله الي دار النساء
فلما فرغ الرشيد من صياده قد احضروا اليه هدايا لم تعرض هديه يحيى بن خالد
واسمه من فاكهه ومشام وما اشبه ذلك وعرض غيرهم هداياهم فقال
الرشيد للفضل ابن الربيع اين هديتك يا عباسي ويلك كان يدعوه فقال
احضرها يا امير المومنين ثم قال للفراشين احملوها فحملوا الى
الرشيد لما راه وكشفوا عن التابوت استحسنه ثم حضر الغلامان

ففتح

ففتح احدهما القفل واخرج الموازين والصنجات واخرج الاخر
البدر وفتح بدره ووزنها وشرع الاخر ينقد فلم يبد الرشيد
ما يستحسن واستطار فرحا وامر بحمل المال وادخال الغلامين
الى دار النساء ليفرقا المال على ما يامرهما به ثم قال للفضل ويلك
يا عباسي من اين لك هذا قال ستعرفه يا امير المومنين فقال والله
لتقولن فقال بعت حقي من قطيعة الربيع لاشتري لك ما رايت وقد نفد ت
وانت مغموم فقال والله لا سرنك فقام الى دار النساء وانصرف
جعفر عن رجليه وحكي عن الفضل بن الربيع انه قال
مررت الى يحيى بن خالد فسالته حاجة فعز علي فيها فضمت وقلت

متى وعسى يثني الزمان عنانه ... بتصريف حال والزمان عثور
فتقضى لبانات وتسعى حسايف ... وتحدث من بعد الامور امور ○

قال فقال يحيى نعم يحدث الله من بعد الامور امورا فنبهت عليه
لم حيفني وهذه الحاجه على ما لي الي ان اكلم الخليفه فما بت حتى انفذ
ثم اخذ الفضل بن الربيع في السعي على البرامكه فلما ال امرهم الى ما ال
كان الفضل بن الربيع ممنوعا من الرشيد وسائر الناس وحضر يوما بعد
نكبة البرامكه جنازة ام جعفر وبه من علي يذكر البرامكه
فاطراهم ووصفهم ثم قال كنا نعيب عليهم فقد صرنا نتمناهم
ثم انشد متمثلا ○ ○

○ عتبت على سلم فلما فقدته ... وجربت اقواما بكيت على سلم ○

وكان الفضل بن الربيع رجلا سمحا كريما الا انه كره لو انفعه البرامكه
ولم يسلم اليه الرشيد خاتمه ولا سلمه لاحد بغير البرامكه بل كانت
تحضر الى بين يديه ويختمها وهي بيده وكان الفضل بن الربيع
محافظا على خدمه الرشيد وحضرته لا يبالي بما سوى ذلك فصار بما ورا
بابه واختلفت ثم كان هو القائم بسعه وتدبيره وسده حلله وترفيع
اموره وهو الذي اخذ له البيعه لما مات الرشيد بطوس واتاه ابوانوا س

فانشده

نعزّ ابا العباس عن خير هالك واكرم ميت كان وكائن

وفراجى بالميت الذي غيّب الثرى فلا انت مغبون ولا الدهر غابن

ولم يكن عند الامير الا حاجبا ولكنه دام بكل الامور وعبدت في سائر الملك وكان لابي نواس اليه ميل وفيه يقول

لقد نزلت ابا العباس منزلة ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا

وكلت بالدهر عينا غير غافلة من جود كفّك تاسوا كل ما جرحا

وفيه يقول ويذكر نكبته من الامين

تمرك ما غاب الامين محمد عن الامر تغنيه اذا شهد الفضل

ولولا مراتب النبوة انها له دونه ما كان بينهما فصل

ولهذا نقم المامون عليه ثم صلح امره معه فيما بعد وقد انشد القراطيسي هجاه

ومما قال فيه

لئن خطات في مدحه ما اخطات في منعي

لقد حللت حاجاتي بواد غير ذي زرع

ومنهم دوله السهليين

فمنهم الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المامون والقايم بامره حتى استخلف وثبتت قواعد ملكه وكان له مثل ابي مسلم السفاح ولم يلن في فتنة ابن عرسه بالخامسه وله فيها الاحكام العجيبه والمصادفات الموافقه فقل ان اخطا له حدس او كذب له قول معما كان له من وفور البلاغه وعظيم الشجاعه وسماح اليد وسعد الجد واضاه الري واصابة الانداد فقيل انه ند ولما قتل طاهر بن الحسين محمد الامين وانفذ راسه الى المامون قال الفضل بن سهل فاعل بنا طاهر سل علينا سيوف الناس والسنتهم امرنا ان يبعث به اسيرا فبعثت به عقيرة ثم امر المامون ان ينشى كتاب من طاهر يقرا على الناس فكتبت عدة كتب لم يرضها ذي الرياستين

فكتب احمد بن يوسف كتابا بنسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فان المخلوع وان كان قسيم امير المومنين في النسب واللحمة فقد فرق حكم الكتاب بينهما في الولاية والحرمة لمفارقة عصمة الدين وخروجه من الامر الجامع مع المسلمين يقول الله جل اسمه فيما اقتص علينا يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح ولا صلة لاحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله وسنته وقد قتل الله المخلوع ورداه رداء بغيه واحصد لامير المومنين امره وانجز له ما كان ينتظره من وعده والحمد لله الراجع الى امير المومنين امره والمنجز له ما كان ينتظره من وعده معلوم حقه المكايد له من خفر عهده ونقض عقده حتى رد الله به الالفه بعد فرقتها واحيا الاعلام بعد دروسها وجمع به الامه بعد شتاتها والسلام فلما عرضت النسخه على ذي الرياستين رجع نظره فيها ثم قال لاحمد بن يوسف ما انصفناك ثم اجزل له العطا وكان الفضل بن سهل سخيا سريا نبيل النفس كثير الافضال يذهب مذاهب البرامكه في ذلك وانما كان غليظ العقوبة مقداما اذا ذكر حسن الرجوع اذا استعطف وكان يبغض السعاة ويقصيهم واذا اتاه ساع قال له ان صدقتنا ابغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك

ومنهم اخوه الحسن بن سهل وتقلد الوزاره للمامون وكان كاتبا بليغا مفوها لسنا لسانه في عصبه وقلمه من نحبه لا تجري السيل الا على مدى قدمه ولا تمضي السيف الا بصاعقه من ذي المساح من كلامه الرفراق وبنيي لساعات محاضرته ايام الفراق وخطب المامون اليه ابنته بوران واسمها خديجه فقال يا امير المومنين اني وان كنت عبدك وكانت بوران امتك فانا لدها فبين لا بد وحوت بنا نضم الا في منا ذكرهم فان راي امير المومنين ان يكمل تشريفي فقد منزله

والذي ملكتنيه وعقدا امراقته فيه ودخل بها فاجابه الى ذلك وعمل
عليه وقصد فم الصلح في شهر رمضان سنة عشر ومائتين في زورق
ركبه من قصره حتى ارسى على باب الحسن بفم الصلح وكان قد تقدم
العباس بن المامون على الظهر ومعه العسكر والثقل فتلقاه الحسن وابو
الحسن لهما وابي العباس منزله وحلف كل واحد منهم على صاحبه
واعتنقا فضمها دوابهما ثم وافى المامون فاكل هو والعباس بن المامون
والدينار بن عبد الله قائمون على رؤوسهم حتى فرغوا من طعامهم حتى فرغوا من
طعامهم ثم دعا المامون بطبق لبشراب فاتي بجام من ذهب فيه شراب فشربه
ثم عقد العقد ونثر الحسن في ذلك كل شيء له خطر على ملكه من
الكرح والرقيق والذهب والكسى والطيب والضياع والعقارات
والجواهر والدنانير والدراهم وكان ذلك مثبتا كله في رقاع
فيها ذكر هذه الاصناف وجعلت في اكر عنبر ثم وكان كل من
التقط شيئا من تلك الرقاع بصنف صار الى خازن ذلك الصنف فقبضه
منه ودخل المامون ببوران بعد قدومه بسبعة ايام وعندها حمدونة
وام جعفر وجدتها ام الفضل بن سهل فلما جلس المامون معها نثرت
عليها جدتها الف درة كانت في صينية ذهب فامر المامون ان تجمع
وسالها عن عدة الدر فذكرت انها الف حبة فعدت فنقصت عشرة
فقال المامون من اخذها فليردها فقال الحسين الخادم انا اخذتها
فقال له اردها فانا اخلفها عليك فردها فجمعه المامون وجعله في
حجرها وقال لها هذه نحلتك فاسالي حوائجك فامسكت
فقالت لها جدتها كلمي سيدك فقد امرك واسالته حوائجك فقد
اذن لك فسالته الرضى عن ابرهيم بن المهدي وكان قد شخص معه في
العسكر ولم يظهر منه الرضى عليه ففعل وسالته في الاذن لام جعفر
في الحج ففعل وخلعت عليها ام جعفر البدنة الاموية وبنى بها المامون
من ليلته واوقد بين يديه في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها اربعون منا

فاذكر ذلك

فانكر ذلك وقال هذا سرف ووصل الحسن بعشرة الاف الف درهم
من مال فارس مفرقة في قواد المامون وحشمه واقام المامون سبعة
عشر يوما يعد له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاجون اليه من جميع
الاشياء وخلع الحسن على جميع القواد والوجوه وحملهم ووصلهم فيكون
نفقته على جميع ذلك خاصة سوى ما انفقه على تجهيز بوران وما وصله
به المامون به خمسين الف الف درهم وكانت نفقته على الجهاز
ثمانية وثلثين الف الف درهم قال ابن عبدوس وكان
الحسن بن سهل قد رتب اربعين بغلا تنقل الحطب الى حضار اعدها له
وكانت تنقل في اليوم عدة مرار احملت تنقل سنة كاملة ولما اعرس
المامون ببوران استعمل ذلك الحطب اجمع وجميع ما قدر عليه سواه
واضطرهم الامر الى ان قطعوا سعف النخل رطبا وطلوا عليها الزيت والادهان
واوقدوه وهذا وفي زواج المامون ببوران يقول ابرهيم بن
العباس

ليهنيك اصهار اقلت بعزها جدود واوجدت الانوف الرواغما
جمعت بها السلمين من آل هاشم وحزت بها المكرمين المكارما
بنوك غدا آل النبي واورثوا الخلافة والحاوون كسرى وهاشما

وحكى عنه محمد الجهم حكاية منها انه كان ليسايره يعني الحسن حتى
انتهى الى داره فامره بالنزول وكان يوم نوروز ثم قال له اني قد جعلت
لك كل شيء يهدى الي اليوم فاقم عندي فلا بد لك من ان تقبضه فاقمت فحصل في يدي
ما قيمته ثلثون الف دينار فلما امسينا وحضر وقت الانصراف قمت فقلت
اعزك الله ايها الامير قد ملكت ما وهبته لي وقبضته وقد وهبته لمحمد بن
الامير فقال لي قد قبلتها فانصرف مصاحبا فانصرفت فلما كان في اليوم
الثالث جاءني رسوله فاتيته فقال لي ان امير المومنين طلب مني رجلا
يوجه به الى مصر في شيء مقصود وقد سميتك له واستخرجت امره
لك بعشرة الاف دينار صلة لك وثمانية الف درهم لنفقة طريقك

ولئن رابك من الطهر فاسمَ الى امره ثم ان استطبت البلدان كتب
الي حتى اقول له وان كرهته فاكتب الي حتى افعل بادري فقبضت ما امر لي
به وسحبت حتى اتيت مصر ففرغت مما امرت به ولما استطبتها بدر
لي عمل الانصاف مائة الف دينار فحملتها ثم كتبت الى الحسن فامر لي بعشرة
الاف دينار اخرى وادخلني في الانصاف وقال ابو عيسى محمد
بن سعيد سمعت عبيد الله بن سليمان يقول لم ار احدا قط يقطع السجلات
غير الخليفة الا الحسن بن سهل وعنه قال ابن عسان بن عباد انه حضر
الحسن بن سهل يوما وقد اعطى عطايا اجزل فيها عطية المقدار فقال
له عسان على سعة نفسه وانه لما قدم من السند وصل بعشرة
الاف الف درهم فلم يبرح من دار المامون حتى فرقها باسرها
ايها الامير لا خير في السرف فقال له الحسن سمعت بل ولا سرف
في الخير وعن يحيى بن خاقان قال وكان يكتب للحسن بن
سهل بر علي بن هشام مر رجل للحسن بن سهل فامر له الحسن بالف دابة
وتقدم الى بالكتاب له بها قال فصادف علي بن هشام فقال ان الامير
قد امر لي بالف دابة كما علمت وقد كرت فيها فما ذا هي عيال لا اقدم
بها وطاعلى مونه لبيره لا اطيقها ولا عيني ان ابيعها وهي عطية الامير
واحب ان تعين لي فيها قال فلم يبق من كلامه حتى اتى في يسوق
الحسن بن سهل المصير اليه فلما دخلت عليه قال يا يحيى اعلمت اني قد امرت بما
امرت به لعلي بن هشام فوجدته كما تقول العامة رزنا بالله فيها لا
تعوله وانه ليس له فيها حظ فاكتب له بيع الالف دابة الف غلام واقتر
له انزال الغلمان وعلوفة الدواب قال ففعلت ذلك وقيل لابن العيبا
ما تقول في الحسن بن سهل خلف ادم في ولده فهو سيد خلقهم ونفع علمهم
ولقد دمع الله الدنيا من نثا فيها ان جعله من سكانها وفيه يقول
يوسف الجوهري الشاعر
لو ان عين زهير ابصرت حسنا وكيف يصنع في اموالة الكرم

اذا القاد

30

اذا القاك زهير حين يبصره هذا الجواد على العلات لا هرم
فهذه جملة من اخبار السهليين وهما اوسع من البرامكة كرما وانفع
وبما وان كان زادها اطير صيتا واشهر ذكرا محببا بمثنا الا ان اوليه
ارجح عقولا واسح تام ولانا ما عطا السهليين بحور بحب مجالسها ونصب
مغانيها لا يهابها ان يحب ولا يوقد نار قرى الا الذهب فما اصطلى بلهبها
الا من وصل بذهبها واذا فعصه فاقصد الحق قاولياء يحجو الباب لهؤلا
حتى دخلوا وهولا بنو كيما بنا اوليا وفعلوا مثل فعلوا الا ان
الحسن بن سهل امتدت ايامه الى زمن المتوكل ونزل عن ملك الرتبه
التي علت على السما مطهرا ولم تقض دار الكواكب لحليها جوهرا الا انه
كان محفوظا له ما تقدم من ايام المامون وكان يرعى الفضل بن مروان
سالفه ذلك الاوان فلما وزر ابن الزيات بقصده لسو وتعمده باحماد
صور ولم تتمكن منه حميه عصريه ولا قدر على تعديل الصد ورمن رتبه
فلم يلحقه ندى عضاض ولا اغص حلقه سبح مضاده ثم نعود الى ما نحن
من ذكر الوزرا بالمشرق فنقول
ومنهم ابن ابي خالد وكان يسد ولد الطارف
والتالد لا يمنه نزيل ولا ينصرف عنه ولما قتل الفضل بن سهل قال له
المامون اني كنت عزمت ان لا استوزر بعد ذي الرياستين وقد
رايت ان استوزرك فقال يا امير المومنين اجعل بيني وبين العامه منزله
يتاملها صديقي ويرجوها ويخافها عدوي ويحذرها ولا يقال بلغ الغايه
وليس الا الانحطاط فاستحسن ذلك منه فاستوزره وقال
لاحمد بن ابي خالد لما قدمنا من خراسان مع المامون وكنا نعتنه حلوان
منت زميله فقال لي يا احمد اني لاجد رايحة العراق فاجبته بغير جواب
فقال ما هذا جواب ولكني احسبك مفكرا فقلت نعم يا امير المو
قال فيم فكرت فقلت في هجومنا على بغداد وليس معنا الا خمسون
الف درهم مع فتنة قد غلبت على قلوب الناس كيف يكون

به
مبين

حال الناس من هاج هيج او محرك متحرك فاطرق مليا ثم قال صدقت يا احمد
ما احسن ما قلت ولكني اخبرك ان الناس في هذه المدينة ثلاث طبقات
ظالم ومظلوم ولا ظالم ولا مظلوم فاما الظالم فليس يتوقع الا عفونا
واما المظلوم فليس يتوقع الا ان ينصف بنا ومن خرج منهما فمنزله يسعه
فوالله ما كان الا كما قال وقال المامون لاحمد بن ابي خالد تعفوا
عنه وكان عتب على غسان بعمله فقال احمد بن ابي خالد لحسن ان العفو مسح
ام جميل فقال له غسان ان جميل فقال احمد يا امير المومنين اولى الناس
بان يتفضل من الجميل ما لم يسبقه احد لمثله فكان من امره ما كان وحكى
ابن عبدوس ان رجلا من وجوه الكتاب كان يقال له صالح بن علي الاعجم
طالت به العطلة في ايام المامون قال فبكرت يوما الى احمد بن ابي خالد
مغلسا لاكلمه في امري فخرج من بابه وبين يديه الشمع قاصدا دار
المامون فلما نظر في انكر بكوري وعبس في وجهي وقال اني الدنيا احد
يبكر هذه البكرة ليشغلنا عن امورنا قال فقلت له اصلحك الله ليس العجب
منك فيما لقيتني به انما العجب مني اذ سهرت ليلتي واسهرت جميع من في منزلي
تاميلا لك وتوقعا للصبح حتى اصير اليك لاستعشاك وعلي ان عدت وقفت
لك بباب او سالتك حاجة حتى تصير الي معتذرا وانصرفت مغموما بما
لقيتني به متفكرا به متندما على ما فرط مني من اليمين غير شاك في
العطب فانا كذلك اذ دخل الي بعض الغلمان فقال لي ابو العباس احمد بن ابي خالد
مقبل اليك في الشارع ثم دخل اخر فقال ها هو قد قرب من الباب ثم بادر
الغلمان بين يديه ودخل فخرجت مستقبلا له فلما استقبله المجلس قال لي كان
امير المومنين امرني بالبكور اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني
السهر فما نشط اليك مني حتى انكر علي فقصصت عليه القصة فقال
لي قد اثمت بالرجل امض اليه معتذرا فقلت له اني ماض اليه فارغ
اليدين فقال فتريد ماذا قلت يقضي دينه فقال كم هو فقلت ثلثماية الف
درهم فامرني بالتوقيع بها فوقعت بها ثم قلت فاذا اقضى دينه رجع الى ماذا

قال

قال فوقع له بثلثماية الف درهم اخرى يصلح بها امره فقلت فولاية تشرف
بها قال وله مصرا وغيرها ما يشبهها فقلت فمعونة على سفره فامر لي
بالتوقيع بماية الف درهم وهذه التوقيعات لك بسبع ماية الف درهم
والتوقيع بولاية مصر ودفعها الي وانصرف وكان تقصيا في الاول ما جرى
عليه المامون في كل يوم لمايتي الف درهم ومع هذا لم يكلف بعضه
ولا شغلت فيه

ومنهم عمرو بن مسعدة

اخذ كتاب المامون وله مكانه ومنزله عنده واعتمد عليه المامون
في وزارته بعد احمد وقلده امره وكان من البلغا الذين لهم ليشار
ومن ذلك انه المشار الذي وحكى ميمون بن هرون ان رجلا لقصر
عمرو بن مسعده بجدبابه اياه فقال لاخبرتهم ما انفق على هذا القصر فقال
اربعة وعشرون الف الف درهم وبالسجادة له قوله اما بعد
فانك لن تعدم من معروف عندنا امرين اجرا من الله ومثله انا وخير
مواضع المعروف ما جمع الاجر والشكر ومنه كتاب كتبه الى المامون
وهو كتابي الى امير المومنين ومن قبلي من قواده وسائر اجناده في
في الانقياد والطاعة على احسن ما يكون طاعة جند تاخرت ارزاقهم
وانقياد ثقاة واحسن من اخرت اعطياتهم واختلت لذلك احوالهم والتاث
معه امورهم وكان المامون معجبا بهذا الكتاب وكان يقول
استحسنتا في اياه بعثني ان امرت بتحميده بعطاياهم لسبعة اشهر واني
لحلد اه الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته وكتب الى بعض اصحابه
في حق شخص يعز عليه اما بعد فموصل كتابي اليك سالم والسلام اراد
بهذا قول الشاعر

يريد وبني في سالم وأريدهم — وجلدة بين العين والانف سالم

تجنى ان هذا على معنى هذا المحل ومن كتاب كتبه الى رئيس تزوجت امه
لبشاه ذلك الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة وهدانا لستر العورة

وجدع بما شرع من الجلال انف الغيرة ثم انشد على هذا كتابه وقد ساق ابن خلكان الى هذه الرسالة بتمامها في ترجمة ابن مسعدة ثم ذكر بيتين ذكر هما بها لابن عباد الصاحب في معناها وهما

عدلت لم وجه امه فقال فعلت حلالا يجوز

فقلت صدقت حلالا فعلت ولكن سحت بعدع العجوز

واقتل عمرو فقال

فقالوا ابو الفضل معتل فقلت لهم نفسي الفدا له من كل محذور

ياليت علته بي غير ان له اجر العليل واني غير ماجور

ومرض فعاده المامون فلقاه عمرو وقد كان ابل من علته فقال عمرو في حفصته

صح الجسم يا عمرو لك التمحيص والاجر

ولله علينا الحمد والمنة والشكر

وقد كان شكا شوقا اليك النهي والامر

وقال قد جاءك المامون فاشر قد باي الصبر

وكتب حميد الطوسي الى عمرو بن مسعدة

ونستعدي الامير اذا ظلمنا فمن يعدي اذا ظلم الامير

ونحن نعوذ بالله من ظلم صاحب المظالم فوق على وانا اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومن فضوله وانا احب ان تقرر عندك ان اهل ثبيت الحديث احلس الامور بك اختلاس من يرى في عاجله عوضا من اجله وذو الداء من يومك بدلا من المامول في عدك ومنها ذو الحرمة ملوم على فرط الادلال بما ان المحترم به مذموم على التناسي والاذاله ومن بعد هي الوقوف بنفسي دون الغاية التي تقف منى اليها حتى لا امرين احدهما ان الرضي بدون الحق ازيد في الحق والثاني اني اربي النفس من الحظ رهبة اذا اني من جهة

الارهاق ولي ذمام المودة الصادقة التي يسعها كل حرمة وحق الشكر الذي جعله الله وفيا بالنعم وانت تعدن المعالي ونعته الكرم فاي سبيل لعذر رآه موضع للاكدار بين حرمتي وعنا تبذل ودمائي وكرمك ومنها كتابي اليك كتاب واثق بمن كتب اليه معني بمن كتبت له ولن يضيع بين والعنايه حامله ووعد عمرو بن مسعدة ماني الموسوس ثم مطله فجاءه ماني فوقف بين يديه وانشده

هذا ابن عمر بعبد الله كنية والجد مسعده له بها له ابها

لا عيب بالمرء الازر وجنة عصى عليه بشي ليس برضيها

بودها ان ما تجرى بمعصية من المنى ان لم يبلغها تبيها

ولما سمع ذلك ابن مسعدة من ماني قال صدقت والله ايها العمر والها وكانت بينه وبين ابرهيم بن العباس الصولي مدة بودة صحاسا بها ودما تصاعلى احسن حال فحصل لابرهيم ضيق بد لبطالة طالت سحت له عمرو ماية الف فكتب اليه ابرهيم

ساشكر عمرا ما تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

راي رلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذي عينيه حتى علت

وذكر سمون بن هرون ان عمرو بن مسعدة خلف ثمانية عشر الف الف وثمانية الف درهم سوى الامتعة والكراع والعقار وبنا قصرا انفق عليه اربعة وعشرون الف الف درهم

ومنهم احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب لولد المامون والصاحب الذي لا تحد به الظنون وكان المامون يعلمه سعد ما احمد بن يوسف في البلاغة اذا احتاج الى كتاب يظهر ابره بكتابته وكتب بين يديه مرة فاستحسن خطه فقال له لوددت اني

الذنب مثل خطاب وعلى صدقته الف الف درهم فقال لو كان في الخط
خط ما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احمد بن
يوسف امرني المامون بالكتابة الى جميع الآفاق بانفاد المصابيح في جميع
المساجد فلم ادر كيف اكتب فانه لم يكن احد سبقني الى الكتابة به في
مثل ذلك فاسلك طريقه فنمت في وقت القايلة وانا مشغول
القلب لذلك فرايت كان قايلا يقول لي اكتب فان في ذلك
انسا للسابلة وضياء للمتهجدة ونفيا من الذنب وتنزيها لبيوت الله
عز وجل عن وحشة الظلم ومن شعره

كم ليلة فيك لا صباح لها ... بتها قابضا على كبدي
قد غصت العين بالدموع وقد ... خجلت خدي على بنان يدي
وانت ما منه غنيا لي دعة ... نشان بين الرقاد والسهد
كان قلبي اذا ذكرتك ... فريسة بين ساعدي اسد

وحكي محمد بن عبد الملك قال وهب لي احمد بن يوسف الكاتب في ظهر
يد الفي الف درهم نقارية وقال موسى بن عبد الملك قال
لي احمد بن يوسف في يوم مهرجان اكتب الى الخليفة رقعة مع هذه
اللطف وكان قد اعد اشياء ليبعث بها اليه فكتبت فاطلت فقال يا احمق امير
المومنين من يتفرغ لقراءة هذه الرقعة الطويلة بثقل كلما اتحفه به ثم اخذ
الدواة فكتب جرت العادة في مثل هذا اليوم بالطاف العبيد
السادة وقد بعثت كذا وكذا واحتاج المعتصم لعظم اختصاص
احمد بن يوسف بالمامون الى العمل على اسقاط منزلته عنده على ما
ضمنته لمحمد بن الجليل اذا فعل ذلك حتى عمل على اسقاط منزلته ثم
لم ينقض على المعتصم ما كان وعده به

ومنهم احمد بن الضحاك الطبري حسن برياه المروه
المروه واسمعت لا تشرح وعقلت حول سطيها وحلفت لا تشرح وابهمت
على غيره معانيها وانت ان تسرح وكان يتقلد للمامون ديوان البريد
بالرسايل والتوقيع ثم جهزه الى عبد الله بن طاهر فخرج من خراسان

ومعه مايه بغل

ومعه ماية بغل تحمل الثقل وماية دابة للركوب وماية غلام اتراك
سوى من معه من الفرسان والغلمان وغير ذلك من الصامت
والناطق فسر به ابن طاهر وخلع عليه ودفع اليه خاتمه وامره
ان يتقلد الامور على ما يرى ثم وقع بينهما فحلف لا يتولى لابن طاهر
عملا وحلف ابن طاهر لا يوليه عملا فانصرف احمد بن الضحاك
نحو العراق ودس عليه ابن طاهر من افسد غلمانه فاشتراهم منه
بماية الف درهم وكانوا قد تقوموا عليه بنحو الفي الف درهم
كل غلام بعشرة الاف درهم وما قاربها

ومنهم ابن ابي عباد واسع الكرم لولا
ضيق خلقه وخرج حدته وبرقه وكان يكتب هو وعمرو بن مسعده
للمامون قال ابو عباد دعاني يوما فاعطاني كتابا وامرني ان اتي عمرو
بن مسعده واخذ خطه بجوابه ثم ادع الكتاب عندي ولا اذكره
للمامون الا ان ذكره لي فعلمت انها رافعة وخفت لا يكون لي فيها
تعلق فاني لست شاركت عمرا في اشياء كثيرة اخذتها انا واياه قال
فاتيت عمرا فوجدته يلعب بالشطرنج فعرفت ان الخلوة به فقال
دعني حتى افرغ هذا الدست فضاق صدري وقلبت الشطرنج
وقلت قد سالت بنا السبل واهلكنا وانت تلعب ثم اقراته الكتاب
ثم اقراته الكتاب فضحك فقال ويحك اما تستحي ان تخدم رجلا هذه
المده ولا تعرف خلقه فقلت يا هذا كيف تقدر تجحد ولو جحدت
كل شي ما تقدر تجحد كذا وكذا وانا قد شاركتك فيه فاما انت
فجحدها شئت واما انا فوالله لا اجحد واسلم لامر الله عز وجل فقال
عز وجل فقال لي اقترب اريد ان اطلعك على اشد من هذا عليك قلت وما
هو قال كانت رقعة الى المامون منه بسنه وامرني فيها
بمثل ما امرك في هذا الكتاب فعرفت صنع طبيك فقلت لعنه

خطه

قال فكدت اموت فسالته ان يوقفني على ذلك الكتاب
فقراته وانا انتفض وهو يضحك وكان الذي علينا فيهما
سبعة وستون الف الف درهم عليه هو اربعون عليه هو اربعون
الف الف درهم وعلي سبعة وعشرون الف الف درهم فقلت له
قتلتني والله وقتلت نفسك اتظن المامون يدع لنا هذا المال اما انا
فاحتسب نفسي عند الله واما انت فانت الجواب فقال لو
قصرت بنا همتنا عن هذا المقدار واضعافه لو سعتنا منازلنا
وما بقي هذا لجه في برد او يخبو في حر وارجوان يطيل الله بقا الله
بقاء امير المومنين ونلقى ما نؤمله به وعلى يده ثم قال لي يا فلان
صاحبنا ليس بغافل ولكنه رجل كريم ان يعمل معروفه فاذا اراد ان يعلمنا
انه قد علم ما صار الينا دس مخاطبه في عرض ثم ان حبس الكتاب
بخابته فاخذته وانصرفت وانا في الموت وبقيت سنة كاملة
قلقا مهموما مغموما لا اكاد اكل ولا اشرب حتى بان علي الضعف
فراني المامون فقال ما لك هكذا فقال من الكتاب الذي دفعه الي
امير المومنين فقال اسكت حتى احمد عليه ما جرى بينهما فيه ثم
قص الحديث حتى كانه حاضره فقلت هكذا كان والله يا امير المومنين
يا امير المومنين ولقد استقصى لك الذي له عمرنا فقال والله ما قال
في هذا الحدو للتي طنفته وعمر واعلم بما منك ندعوت له وقلت فما
اصنع يا امير المومنين بذلك الكتاب فقال حرقه في لعنة الله وامض
بنا في منحرنا في ستر الله

٥ ٥

المعلى بن ايوب وكان قليل العيوب جليل الاسلوب لا يعدل
احد وزنه الراجح ولا يفضل سعته الناجح واستكتبه المامون
على الجيش واجرى عليه كل الف الف درهم فخدم عشر سنين
لم تتوفر فيها عشرة الاف الاف ثم علت حاله وكثر ماله وحسن في
مدته الحال ماله

ومنهم عمرو بن لهتوي

وكان لو تقلبت

وكان لو تقلبت في التراب لانقلب ذهبا او دعي الابي المتمنع
لما ابى ولو حلق به الى الهوا دحا لت دنى وكان متى كتاب المامون
وسلمه الى الفضل بن مروان ليصادره فرفق به فبدل عشرين من
كتاب المشتوق الف الف درهم فقال له الفضل بل يلقي عشرة
الاف الف فكتب بها خطه وبلغ المامون رفق الفضل به وسلمه
الى غيره فعاقبه اشد العقاب ولم يسمح الا بان كتب خطه بثلاثة
الاف الف كانه نجله انه مستهتم اعطك لما كتب بهذا المبلغ فقال
له الفضل يا امير المومنين قد كنت بلغت بالرفق به ما لا بلغه
هذا بالعقوبة له وعرفه بالخبر واراه الخط الاول فعجب المامون
من امرهما ثم قال والله لا نشتما اكثر مروه مني ثم امر بمسامحته
واطلاقه وسراحه

ومنهم الفضل بن مروان

وزر للمعتصم وكان مخصوصا ناقصا الا انه كان ذا
مروه لا يضدع مروتها ولا تخل جريها بدعي الدابم القديمه لا هلها
ويرى لها سابقه فضلها وكتب على المعتصم في فتح بعلبس وكتاب
الى امير المومنين كتاب منه للخبر لا معتد بقيامر ولا اثر وتوجه
مع المعتصم الى مصر زمان المامون لو نق فيها ترتيبها خرجها
مكتب عنه الف امان اخذ في كل امان منها ثمانية دينار فحصل
منها ثمانية الف دينار ولما مات المامون قام باخذ بيعه المعتصم ثم كان
ليسرف في الداله عليه ويعارضه في اراداته وشهواته ويمنعه من
الانفاق والتخرق بما يجب الانفاق فيه فثقل عليه مكانه فنكبه واخذ
جميع ماله ولشي ما مضى من صلح اعماله ٥ ن

ومنهم محمد بن عبد الملك الزيات

وزر للمعتصم واتصل به اتصالا لا ينفصم وكان يبكر ان يخاطبه
باسم الوزاره ويقول لست بوزير انما انا مدبر حليبش وكان
سهل اللفظ الا صعب الا انه كان ظلوما غشوما فلا يزال ايابا ومكوما

وكان يقول الرجه جور في الطمعه ويمنح السفاعات اليه ولبيد
ابواب الدربعه واتخذ تنورا من حديد لبعذب فيه الناس فما فرغ حتى
امسك وعدب الناس وجزاه الله سوءا كان ينوبه وما منة لاثنتي عشر
ليلة بقيت من ربيع الاول سنه ثلاث وثلثين ومائتين وكان المتوكل
قد قبض عليه وحبسه واخذ جميع امواله وعذبه بالسهر ثم جعله في التنور
الذي كان هو صنعه وعذب فيه ابن اسباط المصري واخذ امواله
وكان محمد بن عبد الملك يقول فتح الرجل قلده البر ند احعل الصدق
شعارك وتجنب الكذب فان فيه نوازل ولا تسمعن امرا الا بعد ما تثبت
ولا تلتق به الا بعد بحث عنه وتصحيح له وترجيح له ولمن يقله
لتحب الحجه به لك وعليك وكتب الى صديق جفاه ان احتملت
علي باشغالك فان حقي قسم بك الاشغال فان كانت في حاضر نفسك
فان اداء الحق لاخوانك والصله لاوديائك اعظم اختصاصا
بك والبق بك وان كانت في قامة اترك فان نقد يرها
يلزمك اداؤه ارتك وادني لعرفك وله شعر جيد منه
ما كتبه مع شراب اهداه لصديق له في سفر

مان ترى مثل الحل ندي بدا واد رجو دا
تهدي اليك اذا خلوت سلامة تذني وقربا
صفرا رصافيه كان على جوانبها العقودا
خذها اليك كانما نسبت زجاجتها فريدا
اسق الصديق بيلده لعدير وثبها انما غودا

ومنه قوله

لا انشكي هوال الا الي لو ينفع التشكي
لم رغبت لي اذا ما رد قلبي نشرت نفشت عندي وتبكي

ومنه قوله

مبيت على قصر بحالها منزل من احبابه رقدا

فكتبت

35
ملئت في فضل تبليغها من نادم لو يشعر لم سهدا
قالت لغار ضني تحاتنه والله لا كلمته ابدا

ومنه قوله يرثي جاريه له وخلفت طفلا

الا من لي الطفل المفارق امه بعيد الكرى عيناه منسكبان
مهيني عزمت الصبر عنها لانني جليد فمن بالصبر لابن ثمان
ضعيف القوى الا جر حسبه ولا يأتسي بالناس في الحدثان
الا من اذا ما حبيت اكرم مجلسي وان غبت عنه حاطني ورعاني

ومن شعره قوله في النسب واجاد ما شاء

وعايب عابني بنسب لو علما الود ومقته
فقلت اذ عابني سفاها يا عايب النسب لا ملقته

ومن شعره قوله في ابن داود وقد راه قابا يصلح وكانت بينهما
عداوه

صلى الصلاة لما استفاد عداوتي واراه ينسك بعدها ويصوم
لا تعدمن عداوة مشنها تركبك تقعد تارة وتقوم

وقال وقد ادخل التنور الذي صنعه ليعذب الناس فيه

هو السبيل فمن يوم الى يوم كانه ما تريك العين في النوم
لا تعجبن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

ولما اتى ابراهيم ابن العباس الصولي خبر موته قال

ولما اتاني خبر الزيات وانه قد غلق في الاموات ايقنت ان موته
حياتي وكان ابن الزيات صديق الصولي فلما ولي ابن الزيات الوزاره
صادر الصولي بالف الف درهم فقال الصولي

وكنت اذم اليك الزمان فاصبحت منك اذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات فها انا اطلب منك الامانا

ومنهم بنو خاقان

وكانوا في دولة المتوكل نوابه بها وكانوا ابواب الطاقه والفتح
فتحها وزما نهم اوقات الاسعاد ووجوههم صبحها وكان الفتح

صدر تلك الايام الحوالي والليالي المصحمه المصمخه باريش تما
تنفش العواني بالعوالي وكان صاحب خليفتها وصاحب وطنفتها
وبامره منعها ومنحها وعقابها وصفحها وكان المتوكل لا يعذر على مفارقته
ولا يانس الا بموافقته وصحبته وكان يجراه منه مجرى الاخ اذ اقرب
لا يلتذ بغير حضوره ولا يطرب حتى اطلعه على امور حرمه واسكنه
معه في دور حرمه واشركه في سابح اموره وسائر غمومه
وهمومه وسروره وكان يحضر معه مجلس الانس حيث تطرح
مونه الحفظ وتؤمن معره اللفظ ويجالسه في منادمه الافراح
ويراضعه مراشف الاقداح وتطوف عليهم سقاة تخاعم نورا
ويتعاطى رنقه ما انفت للعواني سورا وذلك مجلس كان يجد جعفر
بن يحيى قد سد عليه الورا ابابه وارخى عمن دون الند ما حجابه
حتى تفل الفتح له لفاينه واستدرك فاينه فاتخذه المتوكل معه على
طراحته وساهمه في اقتسام راحته حتى كان له في القتل مشاركا
وقتل معه وقال اقتلوني وما لي سواه حتى تختلوا ايامه بابا
وساقاه حتى شرب معه كاس حمامه فقتل معه وطرح
معه وقالت الادرال ان الفتح قبل المتوكل وانه اخذ به وقيل
بل هم قتلوهما وعرفوهما ثم حملوا فحملوهما وكان البحتري
لسر المورح طهما ومن شعره في مدح الفتح وكان

لقد اجرى الوزير الى [illegible] دال من الخيرات واليه العداد
حليد كره عقد التواج ويقح باسمه اقصى البلاد
اذا انقضى عزيمته لخطب لقاه العفو دون الاجتهاد

وفيه يقول ـــــ وكان قد عبر النهر [illegible] بجرف

لعمرك ما الدنيا بناقصه الجدا اذا بقي الفتح بن خاقان والقطر
فما [illegible] سماح ما الحبه له حيا ومسعر حرب ما تضيع له
وما لي عدو في حود لنعه ولو كان لي عدو لما حسن العذر

لقد كان

36

لقد كان يوم النهر اني عظيمه اطلت وتحمى جرى بهما النهر
وجزت عليه عابرا فتننا جلت اواذيه لما طمى وفقه البحر

وفيه يقول ـــــ ه

قد جاء نصر الله والفتح وسو عنا الظلمة الصبح
وكل باب للندى مغلق فانما مفتاحه الفتح

وفيه يقول ـــــ ه

تمايلي يد الوزير استهلت امر رايت الغيث سالت سحائبه
من حوزيه بحرف القصد اليه ومعتف ما نته

وفيه يقول ـــــ يمدحه ويهنئه ه

على اي امر يستكل اللوم امرا اهتدوا عنه
وما منع الفتح بن خاقان نيله ولكنها الاقدار تعطي وتحرم ه
سحاب خطانا جوده وهو مسبل وبحر عدانا نفعه وهو مفعم
وبدر اضاء الارض شرقا ومغربا وموضع رحلي منه اسود مظلم
اشكو بعد ما وسع الورى ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

ومن الخاقانيين من عبيد الله بن يحيى وهو ممن كان هذا البيت
واغصان هذه الشجره وله اخبار مسيره واثار كانها بالثار
الصلات على صفحات الخدود مسطره او من الدر الثمين مسوده
وكان ممن ابعد بعد مقتل الفتح بن خاقان ممن ابعد من اهله
لانه لما ولي المنتصر خاط بصره الا من رواه الاستتار واراه الراي
طريق الفرار وكان عبد الله بن يحيى بن خاقان هو وزير التدبير
واما الفتح ففوقه رتبة الوزير ولما اراد المتوكل ان يوزر
فكتب له من عينه فقال له اتيت اليه بخطه فقال له لاي
شيء اتيت فقال اتيت شيئا وكتب بعد الاسباح انا شخص
له فتى سيئا ما عجب المتوكل بذلك فقلده ثم وزره وكان مخصوصا
وفيه جبر يده وكرم ودها وحيله وحكم بفضل العطا وبنجد الدنو [illegible]

الكبار عرض رجل له وهو في موكبه فاخذ لجام دابته وقال له قد ربحت يا ابن الذي قد احرقت نار الله فقال يا فاسق فقال له يا ابن الفاسق قال يا كذاب قال صدقت بخطرونا الى ان تكذب فخلى اللجام وانصرف ثم امر بقضاء حاجته ولم يدع احدا يعرض له ممن كان معه وعجب من حضر من حلمه وكان له اعوان يعينونه على اموره فلا يقف بذلك ولا يتاخر له طلب واسندت ايامه الى زمان المعتضد وكانت له بها دولة

ومنهم جماعة الوهبيين

وكانوا اهل مواهب وظرف وفصاحة اللسان وسماحة البنان ان تناهب ان كتبوا اتسوا الاعداء وان وهبوا حلوا على الارض الانداء ومنهم يقول ابو تمام

ومنهم سليمان بن وهب

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل اديب

ان قلبي لكم كالكبد الحرى وقلبي لغيركم كالقلوب

سليمان بن وهب وكان على البريد ايام المعتصم فاهمله واخره وعطل سبيله وكتب اليه شعرا

ابلغ سليمان ذا الحسنة وخص الاقوال المحبصا

هذا جناح المسلمين الذي وليته اصبح مقصوصا

ومنهم ابو الفضل

واعيا بصرا حدوا ابرهيم وكان احد من كتاب المتوكل وكان ابنه ممنا دمه فامتنع من ذلك وناقف واجري اليه اجاه وتوقف فطلب المتوكل ابراهيم فنادمه واستاثر به ولازمه وكان شاعرا ظريفا ونديما لطيفا يخف على قلبه ولطف محله منه وكان لا ينفذ ويصبر عنه ثم قلده نفقات الخزانة التي كان ثباتها مجريه على يده فعقد ديوان شعر اصحابه وعدته نفقراه ثم كتب

ابا اسحق ان تك للليالي عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم ادر قط صرف الدهر حتى يكروه على غير الكريم

ولابراهيم ابن المدبر كما قال وهو في الحبس بعد ان طبقا داره ولم ينفعه بابه المغلق ولا حديده الذي هو به موثق وكان قد راى في نومه جارية يهواها وانشد على اثره شعرا

بات من زارني عندي طارقا من غير وعد

بات يشكو اشدة الشوق واشكو افرط وجدي

ونجني ثم تلي فانحدر فوق ورد

فهو كقضيب طورا وخد فوق خد

ثم بعث بها الى المسدود فصاغ طها لحنا وغناه وغناه للمتوكل فساله من غناه فاعلمه انها لابراهيم فامر باطلاقه وله ذي بدع في الظرف والحسن الشكر سلوت اليه غيره وهو نه اعمى

وانا لي باسمه عنه دابا يحسبني الواشون من غيره الهى

وقد ذكره صاحب بغية الالباء فقال وقال انه وزر للمعتمد ثم تقلد ديوان الضياع للمعتضد وانشد له

يا كاسف البال بعد شدته ومنزل الخيب بعدما قنطوا

لا تبك على سخط سهم فالموت دان اذا هم سخطوا

وكان يقول وددت اني الوف عليك مني الصوت في ربابيه فكلما قلت ابيه تكلم قلت ثم انشدهما

انت السواد لمقلة تبكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

كانت له بين فصوله

وليلة من الليالي الدهر فالمت فيها بدرها بدر

لم تك غير شفق وصبح حتى تولت وهي بكر الدهر

كانت له بين فصوله

ولكن الجواد با هشام وفي العهد مأمون المغيب

يطي عنك ما استعدت منه وطلاع عليك مع الخطوب

وتقلد المتوكل احمد بن المدبر الشام واجرى عليه في كل شهر مائة الف وعشرين الف درهم وكان احد حجاب المال حالا لا يقال له صعود دونه الجبل لينقطع او دونه حمرة القضا ثم حل منه احمد الا انه لم يسفر صبحه ولم تظفر باحرار المحامد سبحه ثم ضر سحابه الجمود وقيد ولم يمتنع شانه الخلود

ومنهم ابرهيم بن العباس

الصولي من كتاب المتوكل وله في البلاغة ما كانه صاغه صياغة على اذنه طلاوة ولالفاظه حلاوة وكان البحتري اذا ذكر ابرهيم الصولي قال كاتب العراق واستكثر من شعره وقد ذكرت له جماعة من الشعرا

يوم الحاسوا حسب اليوم حكاكا اذا اني منك جفاكا

مني الصبر وسد العجز ان بلغ بي مد الكا ... تهمة عين طمعت ان تراكا

اسماحط لعين ان ترامق قدرا لك ليت حظي منك ان تعلم ما بي من هوى كا

ثم قال تفرقت هذه الابيات في معاني الشعرا حتى جمعها فكنتها عنه اجمعهم وما دوى بعلب شعر كانت غيره وهو قوله

لنا ابل لوم يصوق لها القصار ... رضها وسماها

فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دوننا ان تستذم دماؤها

حمى وقرى فالموت دون سرايها والبر خطب يوم حق فناؤها

ومما كتبه الى بعض اخوانه فلان بن لوا سلك ويجلبني امره والضيعه عندي واحده موضحه وسالكه طريقها وافضل ما يا بنه ... ذر الدين والحج اصابه سكر لم يصح معه اجر وكتب الى ابن الزيات كتبت اليك وقد بلغت المدية المحز وعدت على الايام بعد عدو ... عليها وكان وكان اسوا ظني واشر خوفي ان تسكن ... وقت حركتها وتنب ادارتها نصرت اصر على منها فلف الصديق فرله فصر بي خوفا منك وبادر اليه العدو ثعربا بالسد وكان احمد ابن المدبر قد رافعه عضده المتوكل وعدد عليه

امورا

38

امورا قال في غالبها ادكا وزورا فقال له المتوكل ما يقول فقام وانشا يقول

رد قولي وصدق الاقوالا واطاع الوشاة والعذالا

اتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رايت الهلالا

فقال المتوكل زهزه احسنت والله احسنت والله ثم عاد دها ورددها واستحسنها واستجودها وقال اخلعوا على ابرهيم فخلعوا عليه واجازه جائزة سنيه حملها له من بين يديه والتي بها وابن المدبر قدي في عيبيه فما حضر له من حيله ندامته وبغي ثم قال المتوكل انتوني من يعمل في هذا الحنا ها تواتا نا كل وحيونا بالندما والمغنين ودعونا من فضول ابن المدبر فانصرف ابرهيم الى منزله محبوا وبقي على بن المدبر بين ضلوعه محبوا وكان ابرهيم بن العباس هو المتولي لعقد البيعه عن المتوكل لبنيه والكاف للمميز في المنشي للكتب وذلك بوسيد نعلا فنظر منه الناس فقال لو هذا الامر يتم ولا يستبلانه على بغل والبغل لا نسعه له لا يلد ولا يولد له وكانت الفرس تتطير من البغل لذلك

واخوه عبد الله وكان من وجوه الكتاب مقدما في خدمة الخلفا ومكانه من الدولة ورجاهه في ديوان الوزاره وهو واخوه من صنايع الفضل بن سهل وكان جدهما صول من السبعه الخراسانيه والدعاه الى البيعه العباسيه وكان رجلا تركيا الا انه كان ذكيا واتاه عني اخوه بقوله وقد راه يحب لمن يبغضه ويتوالي من يرفضه

خل النفاق لاهله وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك ان ترى الا عدوا او صديقا

بنو المخلد وبنو صاعد ولهم ذكر مخلد وجد صاعد والقني من ذكرهم يقول البحتري فيهم

واذا رايت شمايل ابني صاعد ادت اليك شمايل ابني مخلد

ه كالفرقدين اذا تامل ناظر لم يعل موضع فرقد عن فرقد ه
وقال علي بن الحسين بن عبد الاعلى اكلت في مايده الحسن بن
مخلد فوجدناها تجاوز مايه دينار وقال محمد بن داود شهدت
الحسن بن مخلد يحاسب بلال البزاز على كسوه الجواري في الشتا بستين
الف دينار ثم قال وكان يلوم الحسين للكثره حرمه مايه وعشرون
الف دينار

ومنهم احمد ابن الخطيب

وزر للمنتصر ثم للمستعين وكان من اسقط وزرا المشرق لكثرة تبرمه
وقلة تفهمه ونقص حظه من العلم وتخلفه وكان يتردد في رايه
ويتوقف في ايقاف كلامه ومضاربه وكان يسبقه الى جلسايه
بادره غضب لا دخان لها ولا لهب ثم يعقب سوء فعله بندمه وسعه
صدع بوقته بتلافي كرمه ومع هذا تقدم الاكفاء وتخلفوا وراه وسلك
الخلفاء وهو الذي اخذ البيعه للمنتصر وقال الحسن بن مخلد دخلت
عليه زمان المنتصر وعنده احمد بن اسرايل يجري بينهما شي فجبت منه فقلت
له اوليس من العجب اعزك الله ان يكون كذا ولذا فقال لي والعجب
والله منه يا ابا محمد ان يكون في دار امير المومنين امنا مطمنا وانت بالامس
تطرب عليه اباه وتسعى في تقديم اخيه عليه وتفعل وتصنع والله انه لغافل
عن ضرب عنقك فقلت له يا سيدي لا اعدم الله خدمه من خدمك قال
فانقلبت عيناه وارعدت فرايصه ولم يدع شيا من القبيح الا قاله ثم قال
امزح معك فيقول لي ما قلت والله ليبسطن امير المومنين يده
وليشفين صدره منك فقال له احمد بن اسرايل جعلني الله فداك
تعدا من بالله مثل خدمك ان يباطمه زايامك دون هذا فضلا عنه قال
فانقلب على احمد وقال له وانت ايضا تتكلم كانك ترى انك بري مما دخل
فيه هذا او انه عمل شيا او عملت انت اضعافه ومن كان امير المومنين
مع ابيه غيركما والله لا انطق بكما ولا اصنعن قال فنجا الله لشغل شغله
عنا وبقينا مفرحين ان امر فينا ليسوه فلما فرغ من شغله اخذ ورقتين

فاقرأه

39 مما قدامه وكتب عليهما استو من امير المومنين اطال الله بقاه
فينا في ذلك فاسر بامضا ثم رد ما هما الينا فاذا فيهما حوايج كنا
سالنا فيها عبيد الله بن مبارك بن يحيى منذ اول ما تقلد الوزاره
فاخره عنا فوقعنا فقبلنا يده وشكرناه فقال سبحان الله اشكران
هذا مني واي شي فعلته من قضا حقكما الا اني ربما عجلت في بعض
الاوقات مني حده فاحملوني وقال ابو القسم يحيى بن زكريا ان
خط احمد بن الخصيب كان رديا جدا وانه كان في ديوانه ابن لانسان
علاف يشبه خطه خطه فكان يسبه بذو رعليه ويا خذ الحلانه فقصل الخبر
باحمد فاحضره وقال له قد انصلني ما تفعل وقد اجريت عليك خمسين
دينارا كل شهر على ان تترك ما انت عليه ثم لك عندي مزيد الاكرام
فعف مده ثم عاد الى عمله الاول فقيل لاحمد منه وطلب اباه وقال ان
ابنك اسد انا باساه فجزيناه بالاحسان وازلنا ضروره التي كانت
تحمله على ما كان يعمل ثم هو قد عاد وعمله فلا يجاورني في هذا البلد ثم
امره في المقام ببغداد واستمر بجاريه عليه وقال احمد بن ابي الاصبع
احتج لبلال البزاز عند المتوكل الف الف وماية الف دينار مما
ابتيع منه من الامتعه فلما قتل المتوكل يبس من المال فاتاني وسالني ان
اكلم احمد بن الخصيب له ليعطيه نصف ماله ويا خذ هو النصف ويكتب
بذلك رقعه فاخذتها وتوجهت ونتت بخلوته وجعلت اعليها سدي
ينظر اليها وقال ما هذه فدفعتها اليه فقال لي اوهذا المال لبلال فقلت
له نعم قال فاخرج لي حسابه فاخرجت حسابه وصححه فراه صحيحا
فقال لي اذا كان هذا المال لهذا الرجل فلاي شي يرضى بنصفه ونعطيه نصفه
ثم وقع له وصرف عليه المال ولا والله ما رزاه ابن الخصيب شيا منه
ولما ولي المستعين اعطى الكتاب مايه الف درهم لكل كاتب واعطى
ابن الخصيب ثلاث مايه الف درهم واشيا اخر واستحه منها فوش
الجعفري الذي كان للمتوكل فحمل على نحو مايتين وخمسين جمل بعير وراد في
في اقطاعه بلادا تغل كل سنه الف الف وخمس مايه الف درهم واقطع
ابنه محمد بن احمد ابن الخصيب بلادا تغل له في السنه مايتين وخمسين الف درهم

قال للوزير هو الزمان وصرفه والمرء ذو اجل تصير اليه
فلقد عنت الدهر اذ شاطرته بابي الحسين وقد رعت عليه
وابو محمد الجليل مصابه لكن يهون المر حين سد به

ولم يكن منهم الا كل جواد لم يولد له احد بسبب من السؤدد وقد يوما
عبيد الله يقول ابن الرومي

اذا ما عبيد الله ضاهاه ناسهم فقد ير المجد ضاهاه حادثه
فتى يقتل الاموال في سبل العلى ليورث المجد السني موارثه
ترى صاحبيه ذا سؤال يمنحه فواضله اذا سؤال باحثه
ولا تنسى المنثور من لا يديره ولا اللؤلؤ المنثور من لا يحادثه
فما فضله والمدح دعوى ومدع ولكن هما مسك ذكي ونابثه

ومنهم يقول

آل وهب هنيتم نعمة الله ما لشرطها اشكالا
كانت الارض ظلمة وحرورا فاوسعوا الناس ظلة وظلالا
فاخترعتم من الذكاء شموسا وابتدعتم من السماح ظلالا
سادة الناس كالجبال وانتم كالنجوم التي تفوق الجبالا

ومن بني وهب احمد بن سليمان بن وهب ذكره صاحب بغية الاولياء وعده في افاضل الادباء وقال انه قصرت في الاعمال ذو نظر السلطان في جباية الاموال وانشد له

حفت لسرو وكالقبان يلحقه خضر الحرير على قوام معتدل
وكانها والريح حين تميلها تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

ومن نثره جواب كتبه وهو وصلت رقعتك اعزك الله فكانت كوصل بعد هجر ونعمى بعد فقر وظفر بعد صبر الفاظها ذو رشوف ومعانيها جوهر موصوف فدا مصطحبا احسن صحبة وتالفا اقرب الالفة لا تمجها الآذان فلا تنبو بها الاذهان

ومنهم بنو ثوابة

لبنو ثوابة كانوا فرسان كتابة استكتبهم عبيد الله بن القاسم وكان خمارويه بن احمد بن طولون لما نقل ابنته الى المعتضد كتب اليه يذكره حرمة سلفها بسلفه ربه ويذكر ما تزد عليه من الحقة خلافه ورومه الملك وساله ايناسها وبسطها فاراد عبيد الله ان يجيب عن الكتاب بخطه فسال له جعفر بن محمد ابن ثوابة ان يتولاه بالجواب فانحدر له وكتب على البديهة كتابا قال فيه فاما الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل عن يمينك الى شمالك عناية بها واحتفالا بسببها وحياطة عليها ورعاية لمراتك فيها ولعمري انها الدرة الثمينة استودعت اليد الامينة ثم قال ابن ثوابة للوزير تسميتي لها الوديعة اعزك الله الوزير نصف البلاغة قلت ولقد اربت وانا بدمشق كتابة كتاب عن كافل المملكة الى الامير يلبغا الساقي بملاحظة بنت له كان زوج لها بقريب الامير قوصون فكنت عنها في الكتاب بهذه اللفظة فقلت وديعته احسانه ولم اكن وقفت على ما ذكره ابن ثوابة وانما ذكرت هذا الاتفاق في توارد الخواطر قال بني ثوابة اهاجيها قول احمد بن علي محمد

قالوا ثوابة اصحت وهي ساخطة فقد فقدنا الكتب من مصر وتمر
لا تعجبوا القميص قد من قبل ان صاحبه قد قد من دبر

ومنهم اسمعيل بن بلبل

وزر للمعتمد وكان اخوه الموفق عليه المعتمد وشرفه بالمصاهرة وخلط نسبه بانسابه الطاهرة ولما تقدم ابن بلبل دار الخلافة ارتجت الدار وخرج اليه الموفق بنفسه واخذ في زيارة انسه فقتل بيد الموفق ثم قال كانت المصاهرة قال ابن حمدون حدثني من كان يكتب لاسمعيل ابن بلبل انه لما وقع الصهر

ومنهم سعيد بن حميد

وكان المستعين استوزره ولما عزم بغداد وله بلاغة مشهورة ولتب منه وله واشعار كثيرة مستاقاه فمنها قوله في جارية كان

عجبها كان يحبها دحماني عليه فيليز منه عتبها

فداك اني مالي اراك بحبله مقيما على علاتها مستزيدها
فانا كالة فيا بدم صروفها ونوسعها عتبا ونحن عبيدها

ومنه قوله

حلت المنازل من احبتنا وبانت بهم عنا بد الدهر
واشد ما لاقيت بعدهم اني نحت بهم وبالصبر

تلك وحضره جماعة من اهل الفضل والادب عند انبلاج الصباح والافق قد حالت كالتد وحفت بالد رهالته والشعاع كانه هسام مصلت كادل دوسه والبدر كانه غلام من الترك ادار على وجهه ترسه فقال صفوا على هذا الحال فاخذوا في الفكر فسبقهم وقال

محاد جي الغراد بدا لفجر وما انمحى منه اديم السد ر
كانه لا دمي شجاعة مهند لبسل فوق بصر

وانتد بوما والاهل كل هب من نومه وهو سكران طائح والشعر ايام الجز الزج جره راح وسهيل كانه طاق نهى بهر من الماء والعيون شابق طرن فند قد حطاه الانسرع والجوزا تدمض في مذهبه والثره اذا المجره جمه في جانب عدير معسبه فقال

تنبه الديك للصبوح وقد تاهب الليل ماذ هبا
وقدا في على مجرية العظمى سهيل محب او شربا
ومستنير العيوق حيث دناها خز مهفه نحبا
دخلت قبل الصباح ثم بها تدرع الليل للوغي يلبا

فمنهم احمد بن اسرائيل

ولما استقامت الامور للمعتز رده والتي اليه مقاليد امره ووزره وواخح نظراه وقدره وحلى عنه ابراهيم بن زكريا النصراني المتطبب قال

عمرت رحله

قال عمرت رحله لبلبس فوهب لي سنه الاف دينار ثم قال لي اقبض هذا المال لا يطير فامرت دنانيرا دفا ستمهمته اياه فقال نبتاع به عقارا نتفع بفضله وسعي عليك وعلى اهلك اصله قال وكان بحضرته حقر كتابه فقال يا سيدي هذا ضياع خراب نبتاعها ونعاون عليها فقال له افعل فابتاعها لي بسبعة الاف دينار من مال احمد بن اسرائيل وعمرتها وعمل العامل بعنا بينه
بي فجاني بي من حو بيت المال فاستغللتها الى جمله عظيمه ثم صارت تزيد غلاتها فقال لي يوما اي شي حيرك في ضياعك فقلت له كل خير قد ملات يدي من غلتها ووصلت الى امل فضله وطاب قلبي لعوافيني عسر بطرك واخذت في الشكر له فقال دع عنك هذا وخذ في بيعها فلا ينبغي والله عليك ولا منى تمرك من جا عه
السلطان شي فقلت له ولم اعزك الله فقال له لم تقصده هذه المراه في الاستدال يعني سحه ام المعتز

ومنهم بنو وهب

الاخوان سليمان والحسن وكانوا سادة كبرا وكتابا ووزرا نقد موا انفذ ما اخر الاقران والنظرا وتعدوا وا وفقوا اقدامهم الامرا والاقوالمدايح واستعطفوا الشعرا حتى كان ابن المعتز من مدحهم وتعلد منتهم واخذ بعهم وفيهم يقول

كان سليمان بن وهب صنايع علي ومعروف لدى تقدما
هم علموا الايام كيف تسرني وهم رحضوا اعني ثوب
والذي الدما

ولما تعالحسن بن عبيد الله كتب ابن المعتز الى اخيه الوزير عبيد الله

نل للوزير لئن اصبحت ذا شمل من حرع وثنا فلا و
لقد عنت الدهر اذ شاطونه بابي الحسين لقي به انراف

ولتب ايضا يعزيه عن ابنه الحسن

بينه وبين الموفق وزوج عبد الواحد بابنته امر ينفقد بسر
ما يحتاج اليه للمطبخ وكان مما قدر شاهما به حدي فلتنب الى
ضناعة عملها فيها يحمل منها اليه وقرب وقت الحاجة ولم
يصل فاستادنه في ابتياعها هي وبعثنه مما طلب ولم يصل فادن
له في ابتياعه ثم وصل المطلوب فاستادنه في رد ما اخذه
على اصحابه للاستغنا عنه فقال هذه نداله بلا دبح الجميع
ووسع الناس وقال ابن عبدوس كلاما يحضره وقد
كان ابا مركاتبه في ابتياعها هو بسبه ما طلب ولم يصل فادن له
فابتاعه بحضرته وبعد ان كان ابا مركتابه لعبيد الله بن سليمان
قد قطع على عيسى بن الشيخ في بعض تخلقاته مائة الف دينار لعبيد
الله بن سليمان وعشرين الف دينار لنفسه فلما تم الامر استادنه
عيسى بن الشيخ في حمل المال فقال معاذ الله والله لا اخذته على
معروف صنيعه فقال لو كان اراد ثوبها لكنت فرقته
في علته من المال اعلامه مقدار ما فعلت معه وفيه يقول
ابن الرومي

قالوا ابا الصقر شيبا زيلت طيم كلا لعمري ولكن منهم شيبان
وكم اب قد علا بابن ذري شرف كما علت برسول الله عدنان
ولم اقصر بشيبان التي بلغت منها المبالغ اعراق واغصان
يلقاهم وماح الخط ونظم كالاسد الا السنها الا حاسم خفان
سود السرابيل من طول ادراعهم سقف الحيا سر والاصراع عران
لا يوحش المجد من سنا ان بهم قوم يلون حث المجد مدكانوا
المنعمون وما منوا على احد يوما بنعمى ولو منوا لما منوا
قوم تعيد وزمان بت تقالبة حتى اذا افقدت ايديهم كانوا

وفيه يقول

بقيت يا بو الصقر ان ماموا بقربه قوم اذا مد قفنا افعالهم مرحا

لهما

~~يهما اتى الناس من طول ادراعهم ببعض المحاسن والاعراض~~
يهما اتى الناس من طول ومن كرم فانه دخلوا الباب الذي فتحا
يعطي المزاح ويعطي الجد حقهما فالموت ان جد بوا المعروف
ان مزحا
في كفه قلم ناهيك من قلم نبلا وناهيك من كف بها اتسقا
يمحوا ويثبت ارزاق العباد به فما المقادير الا وهي وحي ماو جي

ومنهم العباس

بن الحسن بن ايوب وزر للمكتفي ثم كان يكتفي به ثم كان يكتفي
لا يفضل عليه احدا ولو ظهر فضله عليه كالصباح اذا ابدا وكان كاتبا
بليغا غض الادب غض قدر الذهب حلو الكلام كان
حتى الفضل في عبارته رحيم لو احاط العيض في اشارته تبلغت لفظه
بالعقول تلعب الرياح وتغلب على الافهام تغلب النهار على ضو
الصباح ببدائع بحر بها وشي الربيع وتجر على الا ليم الصديع ومما
كتبه الى صديق يستدعيه الى مجلس انس انقطع للراحة فيه
كتبتها اعزك الله وادام امتاعي بك اليك وقد انتظم في يومي
هذا اليوم الغيم الجو البهيج المراى والسما كما ترى قد التفتها سحب
لا تنجلي ولا تمطر لا تعرف سحار الا طلا ولا تسكب رذاذا ولا وبلا ونحن
في مجلس دارت كوبه علينا واهديت لونه البنان فصفقها كروس
المدام كانها خدود علام ومعتد بالشكو دلا يعرف بهما العب بنا نحو
ام اللو سرو اوضح وجهه المنير ام الشموس شق ما بيننا من عهود
الشباب وحقوق اللذات والاطراب الا ما طاب طربنا
حضورك ووصلت سرورنا بسرورك ومما كتبه الى صديق له
كان في محنة يسليه فيها ان الله تعالى يمحص العبد بليلة التواضع له
والاستكانة ويجدد الشكر على ما يوليه من هدايته وياخذ بيده في
شدته لان دراهم النعمة والعافية كلاهما منظر الانسان

معجب بنفسه ويتعدل بمن ذكر به وقال محمد بن يحيى
رتب العباس بن الحسن بعد وفاة القاسم بن عبيد الله
بن مروان انا معه في جنازة بدار القاسم فراى بابه داليا فقال
لمن خلا هذا الباب اطالما امتلا بالناس فانه فعلت له كان الوزير
ينطق بلسان ابن نباته حيث يقول

وان يمس وحشا بابه فبما تناطح افواجا اليه المواكب
عفون نسانا ما كان حسنه هلال بدا والحاجب عنه السحائب
وما غائب من كان يرجى ايابه ولكنه من ضمن اللحد غائب

واستدعى نداماه الي روضة بها ورد بدري لدمع رحسها ادا اضحى
ويقطر من شقائقها الدم لا ربا جرحا والدار قد صانت به الحواري ولولو
الطل تصاحب لوس حبات لوسها ويخلط بالجبين الجمة ذهب تموتها فقال
لندامائه كلاما معناه هل رايتم حسن من يدري دمعه وهو يضحك
او اعجب من المدام يحيي النفوس واوداج اباريقها تسفك فصل من
قائل في ذلك فقالوا السيد احق بها

انظروا الى النور يغرو باضحكا اذا سيل النو جفنه وبكا
وانظر الى الكاس اذ نعيش به وقد اطحاله دما سفكا

وكتب العباس الى زيادة الله بن الاغلب برسل وهدية صاحب
المغرب الطاعة وتخوفه بالمكتفي وتلا عليه ... فوجه اليه ابن الاغلب
برسل وهدية فيها مائة خادم وخيل ... وابن ... وعشرة
الاف دراهم في كل درهم عشرة دراهم والف دينار في كل دينار
عشرة دنانير وعلى الدنانير والدراهم مكتوب من احد الجانبين

يا سائرا نحو الخليفة قل له فقد كفاك الله امرك كله
بزيادة الله بن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله

ومن الجانب الاخر

ما ينبري لك بالشقاق منافق الا استباح حريمه واذله

ووجه الى العباس

ووجه الى العباس بهدايا كثيرة فلما كان بعد شهر ورد الخبر بانهزام
ابن الاغلب من الخارج عليه بالقيروان ومجيء ابن الاغلب الى مصر
وانه يحب نفسه ورجاله

ومنهم بنو الفرات

وهم من كبار الوزرا والكتاب الذين يلغوا امور الخلافة واطربوا
بتدبيرهم لا بالسلالة وتنقلوا في الممالك فكانوا انواها ونبتغوا
خللها وكادوا الادهام وصحوا الايام بالمبرات وسعوا بالشام
المسوات وخدموا الملوك وقطموا السلوك وافادوا سننا حسنا ما
وكسفوا البدور ووجوها وبشاشة حلوا في اقليم الا وحلوا حلوهم
نعمة وولوا فما دهم حقه وتدفقوا في كل ربع منهم عذب فرات وانفق
مما نشرت عليه خيرات الا ان محسن ابن الفرات كان لا يجلس
في ... ولا يحسب حسابا احد بجهاله ... م
ويساعده الزمان وكان يحمله على هذه الاسباب فلهذا
كان اذا ذكر عنده ندم ولو اظهر سعته لاثم وكان من يقصد اباه لحاجة
ان يقف بين يديه ما ذا غاب ... يعرض حاجة ليلبو ...
وانتقل الى حمل من يحمله اليه فانه كان يقصده عن حوائج الناس ... نفسه
تالله ان حرى لا يمتنع او يصل يقطع فعمل ... ويمنوا زوال زمانه
ودانوا في اشكاف سوء محضره ... على ابيه ورأى ما اكره
في نفسه وفيه ... وذكر ابو الفرج الاصفهاني قال ابو عبد
الله ... الكاتب الى كتب ابو الحسن ابو الحسن ابو الفرات ابا
علي بن مقلة في ... ان لا ... ولا كان منه متوجعا
له ولا راسلنه في شيء جوابن ابن الفرات مع ما بيني وبين مقلة
الكوفة ... فلما طالت محنته كتب الي رقعة في اولها

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم ابن لي ام القرطاس اصبح غاليا
فما كان لو ساءلت كيف حاليا وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا

صديق من اعال عند شده وكل تراه في الرخا مراعيا
يهاب عدوي لا صديقي فربما تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم عطفها على رقعة منها اقصرت اطال الله بقا الوزير ولا امتن له
صبرا عن الاستعطاف والشكوى حتى تناهت المحنة والبلوى في النفس
والمال والجسم وافضى الى ما فيه شفا للمتنفس وتقويم للممتحن وحتى
افضيت الى الحيرة والتلدد وعيالي الى الهلكة والتلدد وما اقول
ان حالا اتاه الوزير ايده الله في امري الا بحق واجب وظن صادق
فيما كان يسببه القدر [illegible] الحفيظة والاعتزاز بزيل الافتراق
ودب المعرفة بوشره اهل الفضل والدين والاحسان الى المسيء من افعال
المتقين وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وتاميل وخدمة ان كانت
الاساءة تضيعها فرعاية الوزير ايده الله يحفظها وان راى الوزير
ان يلحظ عبده بعين رافته وينعم باحيا مهجته وتخليصها من العذاب
الشديد والجهد الجهيد ويجعل له من معروفه نصيبا ومن البلوى
فرجا قريبا فعل ان شا الله ـــــ قال يحيى الكاتب فاقامت
الرقعة في كمي اياما الالتمس موضعها الى ان خلوت به يوما ثم قلت له
قد عرف الوزير ايده الله ما بيني وبين ابن مقلة من الالفة التي جمعتنا
عليها خدمته ووالله ما هممت الا [illegible] ولا قضيت له حقا بعد
غيرهما منذ سخط الوزير عليه وهذه رقعته بعد ذلك عليه وطيها رقعته
الى الوزير فاذ عرضتها عليه فقال هاتهما فاخذهما فقراهما فقلت
اسال الوزير ان يلين على ذلك عند سيدي ابي احمد يحيى المحسن ابيه
فاني اخافه فقال ـــــ افعل فقال والله يا ابا عبد الله لقد زيّنا هي
هذا الرجل في السعي على دمي ومالي واهلي [illegible] والان وحق محمد واله
عليهم السلام لاجزين ابن مقلة [illegible] وانا اخذه من يد المحسن
وانفذه مع سليمان بن الحسن الى فارس واجزيه [illegible] في الامر كراسته
نفسه وبابي حاله فلما كان في غد انفذ من انتزعه من حبس المحسن واخرج

الى فارس هو وسليمان بن الحسن واسبا المقتدر على بن محمد الفرات واستنب
امواله وحصل منها سبعة الاف الف دينار وابقى عليه املاكه وكانت
غلاتها في السنة الف الف دينار وكان يستغلها وهو معزول وقد ذكره ابن
عبدوس في كتاب الوزرا وكان ابو الحسن ضجورا ان كانت اولاده
قد تحكمت عليه وكل منهم يسعى لمن يرتشي منه وكان يولي
العمل الواحد عدة من العمال في الايام القليلة حتى انه ولى ماه
الكوفة في شهر واحد سبعة من العمال فقيل فيه

وزير قد تكامل في الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة
وان اهل الرشا اجتمعوا عليه فخير القوم اوفرهم بضاعة

ومنهم علي بن عيسى

بن داود بن الجراح ابو الحسن البغدادي الكاتب وزير المقتدر
والقاهر وزر لله جل ماله وكل اعماله حفظ حتى اصبحت
المناصب وبقي ماله حين ارتجع مال الغاصب وكان لا يزال
مطفيا لفواتح شرار ومخفيا لطوالع سرار [illegible] خيرا باسمه الايوم
يرى عرفه ساكب وحوله طلبت علم الامواكب وكان ايام
عطلته ودنا من تحري مسكنه من عطلته اكثر ممن هو موسوم
الايام محل المعاطف بالربا لعطاء لو قود [illegible] ولا يقاس
بالسحاب الممطر وان كاثرنا ـــــ الفاضل ابو الصفا الصفدي
كان من الحقيقة [illegible] صدوقا دينا خيرا صالحا
عالما من خيار الوزرا وهو كثير البر والمعروف والصلاة والصيام
ومجالسة العلما توفي سنة اربع وثلثين وثلثماية ووزر للمقتدر مرتين
وكان يستغل ضياعه في السنة سبعماية الف دينار يخرج منها
في وجوه البر ستماية الف دينار وستين الف دينار وينفق اربعين
الف على خاصته وكانت عطلته بعد عطلته ولزوم بيته
نيفا وثمانين الف دينار ينفق على نفسه وخاصته ثلثين الف

الف دينار ويصرف الباقي في وجوه البر قال الصولي لا اعرف
انه وزر لبني العباس وزير يشبهه في هذه وعفته وحفظه
القران وعلمه بمعانيه وكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا
اعلم انني خاطبت احدا اعلم منه بالشعر وكان يوقع بيده في جميع ما
يحتاج اليه ولما عزل في وزارته الثانية وولي ابن الفرات لم
يقنع المحسن ابن الفرات الا باخراجه عن بغداد فتوجه الى مكة
وانا مقيما بها مجاورا قال في نكبته

ومن يك عني سائلا لشماته لما نالني او شامتا غير سائل
فقد ابرزت مني الخطوب ابن حرة صبورا على اهوال تلك الزلازل
اذا سر لم يبطر وليس لنكبة اذا نزلت بالخاشع المتضائل

ولما حبس كان يلبس ثوبه ويتوضا للصلاة ويقوم ليخرج لصلاة
الجمعة فيمنعه الموكلون فيرفع يده الى السما ويقول اللهم اشهد اني اريد
طاعتك ويمنعني هولا واشار على المقتدر ان يقف الحقار ببغداد
على الحرمين والثغور وغلتها ثلثة عشر الف دينار في كل شهر
والضياع الموروثة بالسواد وغلتها نيف وتسعون الف دينار ففعل
ذلك واشهد على نفسه وافرد ابدة الوقوف ديوانا وسماه ديوان
البر وخدم السلطان سبعين سنة لم يزل فيها نعمة من احد واحصى
له ايام وزارته نيف وثلثون الف توقيع من الكلام السديد
ولم يقتل احدا ولا سعى في دمه وكان على خاتمه

لله صنع خفي في كل ما يخاف

وعزى ولد القاضي ابي الحسن عمر بن ابي عمر محمد بن يوسف فلما
اراد الانصراف قال مصيبة قد وجب اجرها خير من نعمة لا يودي
شكرها وكان يجري على خمسة واربعين الف انسان جرايات بلغتهم

ومنهم بنو مقلة

وقد صار دوا

وقد صار دواسلا يضرب اذا قيل لاحد خطك ما هو مليح او نطقك ما
هو فصيح قال كان ابن مقلة ورايت طمركتابه ياخذ بالعين حسنها
ورايت منها درجا بقلم التوقيعات الكبير على ورق الموز ما رايت
احلى في الروية موقعا منها ولا اعلق بالقلوب من حسنها حلت من
القلوب في شغافها واخذت من المحاسن بمجامعها لا باطرافها وهي
الطريقة القديمة لا علوا من اثار التوليد من الكوفي غاية من تحرير
السطور والحروف والمناسبة في المقادير والبياضات ومنها
خلص على بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب طريقته وحفظ
الالات مع ما زاد من تهذيب وابدع من تذهيب ثم خالف اوضاعها
وسماها ولبني مقلة مع جودة الخط جودة اللفظ الفايق نثرا
ونظما الرايق مدا مكاه لمن ابتسه رسقا ولتمامهما كتب ابو علي
اذ كان الشكر ترجمان النية ولسان الطوية وشب الى الزيادة
وطريقا الى السعادة قال اثارها على الساكن مع الصحب افصح
من لسان وبيانها عند المحمود ابلغ من بيانه والوزير يسع العالم
باحسانه ويستغرق الشكر بامتنانه ويستخدم الدهر
عزمه ويود الايام حرمه وهو ايده الله لعبيه فضل وعمامه
وبل الليالي مامعا له مشرفه والاقدار من خوفه مطرقة حمد
اولياوه ويشهد له بالفضل اعداوه فلا يصل السيد الى سريرته
ولا تزيد عن الحق عين بصيرته كالقمر السعيد والاسد الورد

ان سار سار لواء النصر يقدمه او حل حل به الاقبال والكرم
يلقى العدا عبوسا لا يفارقه وللعفاة بشاشة للآبابهم

وقد حكى ابو علي بن مقلة قال من طريف ما اتفق في نكبتي التي
اخرجت منها الى الوزارة اني اصبحت وانا محبوس مقيد في حجرة
من دار ياقوت امير فارس وقد تمكنني من الاياس من الفرج وضيق
الصدر ما انطقني وكاد يغلب على عقلي وكان معي رجل يجري في مجلسي

الا انها على سبيل برقبه واكرم قد دخل علينا كاتب لياقوت كان
يا تينا من ذكره من جهته فقال الامير يقري عليكما السلام
ويتعرف اخباركما ويسال هل لكما حاجة فقلت له اقرا عليه
السلام وقل له اشتهيت بحياتك ان اشرب غنا طيب ورايه في ذلك
واقبل المحبوس يخاصمني ويقول يا هذا ما في قلوبنا والله فضل
لهذا فقلت للكاتب ابلغ على ما قلت لك فذهب ثم جا وقال
الامير يقول لك كرامة وعزازة اي وقت شيت فقلت الساعة
فلم تمض ساعة حتى جاوا بالطعام فاكلنا ثم اتونا بالمشام والفاكهة
والنبيذ والمغنى وصفف المجلس وجلست والمحبوس معي مقيد
وقلت له تعالى حتى نشرب ونتفال باول صوت يغني به
لنا في سرعة الفرج مما نحن فيه فلعلنا فلعله يصلح لنا الفال فقال
اما فلا اشرب فلم ازل ارفق به حتى شرب وغنت المغنية وكانت
اول صوت غنته ٥ ٥ ٥ ٥

٥ تواعد للبين الخليط لينبتوا وقالوا الدود موعدك السبت
ولله هربا نوا ولم ارد رعتة وافصح شي حين جال البخت

فقال لي يا هذا في تتفال به فقلت ما هو الا تبارك ولعل الله تعالى
ان يمن علينا بالفرج يوم السبت فلم نزل نشرب بقية يومنا وسكرنا
وانصرفت المغنية وبقينا ايام ذلك الاسبوع فلما كان يوم السبت
لم يمض من النهار الا دون الساعتين فاذا بياقوت قد دخل علينا
فلما وقفت وقمت اليه فقال ايها الوزير الله الله واخذ يهنيني بالوزارة
ولم يكن قد تقدمت عندي مقدمة علم بشي من ذلك فاخرج الي
كتابا من القاهر يعلمني فيه بتقليدي الوزارة ويا مرني بالنظر في امر
فارس واستصحاب ما يمكنني من المال فحمدت الله وشكرته واذا
الحداد واقف فتقدمت اليه يفك قيدي وقيد المحبوس الرجل ففكا
ودخلت الحمام واصلحت من امري وامر الرجل وخرجت فجلست

ونظرت

46

ونظرت في الاعمال والاموال وجمعت مالا جليلا في ايام يسيره
وفرزت امر البلد وسرت وذلك الرجل معي وقد فرج الله عني
مات سنة ست وعشرين وثلثمايه قطعت يد الوزير ابي علي بن
مقله وكان سببه انه سعى في القبض على ابن رايق وسخطه واقامه
محكم مقامه وعلم ابن رايق بذلك فحبسه الراضي لاجل ابن رايق
وترددت الرسل بين الراضي وبين ابن الراضي ومن ابن رايق سعيه
وانه يدعو عليه وقطعوا يده في منتصف شوال وعولج فبرا وعاد
يسعى في الوزاره وكان يشد القلم على يده المقطوعه ويكتب به ثم بلغ
ابن رايق سعيه وانه يدعو عليه وعلى الراضي فامر بقطع لسانه
فقطع وضيق عليه في الحبس ولم يكن عنده من يخدمه ومات في شوال
سنة ثمان وعشرين وثلثمايه ودفن في دار الخلافه ثم ان اهله سالوا
فيه فنبش وسلم اليه ومن العجب انه ولي الوزاره ثلث مرات ووزر
لثلاث من الخلفا المقتدر والقاهر والراضي وسافر ثلاث مرار
واثنتين الي شيراز واخرى وزارته الي الموصل ودفن بعد موته
ثلث مرات ونبش ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

ومنهم رئيس الرؤسا

رئيس الرؤسا ابو القسم علي بن الحسن بن مسلمة كان لا يبادي له بلد
ولا يجاري له الي موقف نصر همه ولا يقعد به همته من ورود المجره
وفعود علايه على الاسره وانما علبت على شقوه سابق القدر وراشق
القدر وراشق القضا الذي لا ينفع معه حذر فجر عليه البلا بمحنة
وجري عليه حتفه واوقعه المصيبه من صعودها عظامه عطاسه
وعجل مقدورها مقدومه وزر للخليفه القايم بعد عميد الروسا يلقب
ذي السعادات ووزير الملك ابي كاليجار لانه كان سيئ الراي فسعى هذا
الامر سعيه حتى ابرمه وانتهى رئيس الروسا الي السلطان طغرلبك

وردت في شهر رمضان سنه اربع واربعين وارتقا به الي الخليفه
جوابا عن رساله الخليفه وشكر انعام الخليفه عليه بالخلع
والالقاب وارسل طغرلبك الي الخليفه عشرين الف دينار
عينا واعلاقا نفيسه من الجوهر والثياب والطيب وغير
ذلك وارسل الي الخليفه عشرين الف دينار وارسل الي الحاشيه
خمسه الاف دينار والفي دينار لرييس الروسا فنزل الخليفه
الرسايل بالقاب المراتب وامر بالقابهم وكان سبب وحشته
البساسيري من رييس الروسا فان الخليفه ان قريش ابن بدران
كان قد سار الي حلل البساسيري ولبس اصحابه ونهب امواله
وفتح السوق واسرف من اهلاك الناس ثم ان قريش بن بدران
بعث صاحبيه ابا الغنايم وابا سعد بن المحلبان الي الخليفه القايم
في رمضان سنه ثلاث واربعين فاستوحش البساسيري وازداد
احد هم فلم يمكن منهم فبدت الوحشه والقضايا بينهم
ونسب الامر كله الي رييس الروسا لان القايم كان لا يخرج
عن رايه ولا يورد به ويتقدر الا به ورتب على هذا الامر ما
رتب من خلع القايم واقامه الخطيب للمستنصر العبيدي حتى ال
الامر الي خروج القايم ومن بغداد واستجارته وتمادي
الحال الي سنه حتى عاد الامر لطغرلبك ولما دالت الدوله
للبساسيري امسك رييس الروسا

ومنهم فخر الدوله بن جهير

افق سما لا تغيب نجومه ونو سماح لا تزد سجومه تالقت اقمار
بنيه واشرقت مفاخر سنته لميتته وطلعت بره بدور اديه
وصد ورمراتب والوبه دنت له سحب الخلافه ثم اطلعت واعجبها
البهم بمضونه واسبها لديه معترفه وشرف بصهر ما وطدت
الممالك لا بفعله ولا وطيت المسالك لا بقدمه وكان لا يحور يده

الاوقد ولا لحفو حده الاوقد حتى الت به الوزاره الي الملك
وابت تجري بسعادة الفلك وكان رجل دهر لا يغلغل له رجل
ولا يغل له ساقا على قدم الاول والهلال حمل بعزايم لا تهنه وعظايم
لا تسيه وزر للقايم ثم عزل ثم اعيد في صفر سنه احدى
وستين واربعمايه ولما اعاد مدحه صودر بقوله

قد رجع الحق الي نصابه ٥ العقيده المعروفه

وتزوج ابن جهير بنت نظام الملك بالري وعاد الي بغداد
وكان هذا سبب عوده الي الوزاره حتى قال القايل

قل للوزير ولا تفزعك هيبته وان تعاظم واستعلى بمنصبه
لولا ابنه الشيخ ما استوزرت ثانيه فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

ثم علت مكانته عند القايم واعتمد عليه واسرّ بواطنه اليه
وقرب اقرباه وبعث ولده عميد الدوله بن جهير بالحاج الي السلطان
الب ارسلان والي ولد ملكشاه وكان السلطان قد طلب من
الخليفه ان يجعل ولده ملكشاه ولي عهده فاذن له وسيرت
له بالخلع وسيرت له الخلع مع عميد الدوله وامر بان يخطب
سفرى خاتون ابنه السلطان الب ارسلان لولي العهد
المقتدي فلما حضره بحضره خطبها فاجيب وعقد النكاح
بظاهر نيسابور وكان عميد الدوله الوكيل الي قبول
النكاح للمقتدي ونظام الملك الوكيل في العقد من قبل
السلطان ونثرت الجواهر والذهب ثم عاد عميد الدوله
من عند السلطان الي عند ولد ملكشاه وهو ببلاد فارس
فلقيته باصبهان فاحضر عليه الخلع فلبسها وسار بها الي ابيه
ثم ان عميد الدوله بغداد وذلك كله في سنه اربع وستين

واربعمائة ولما بويع المقتدي قام فخر الدولة بالبيعة له في جماعة
كان نوابه فاقر فخر الدولة وارسل معه من خاص ماله من انواع
الهدايا والتحف ما يحمل الوصف ولما توفيت بنت نظام الملك زوجة
فخر الدولة دفنت بدار الخلافة اكراما لابيها وزوجها وطلب
للعزا لها ثلاثة ايام وداوم على وزارته وامور الخلفا تمضي باشارته
حتى قدم ابو نصر بن القشيري سنة احدى وسبعين وذكر مذهب
الاشعري فقامت عليه الحنابلة وظهرت دفائن اللاحي وقامت
الفتن ونسب اصحاب نظام الملك هذا الى الوزير بن جهير لميله
الى الحنابلة فكتب ابو الحسن الواسطي الفقيه الشافعي الى
نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام وابنك القاطن فيها مستهان مستضام
وبها اودى له قتلى غلام وغلام والذي يعنى بها لما انه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام عظم الخطب وللحرب اتصال
ودوام
حتى له بحسم الداء يا ذيك الحسام ويكف القوم ببغداد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها ومن فيها السلام واعتصام بحريم لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع نور
ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فبعث رسالة الى المقتدي بنفض
الشكوى من بني جهير وسال عزل فخر الدولة وامر كوهرائين
الشحنة باخذ اصحاب ابن جهير وايقاع المكروه بهم فاتى
الخبر بني جهير فسار عميد الدولة الى العسكر لاستعطاف نظام
الملك وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا من لقا كوهرائين واتى
كوهرائين بغداد واجتمع بالمقتدي واجمعه وساله نظام الملك
فامر ابن جهير بلزوم منزله ووصل عميد الدولة العسكر السلطاني
ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنه

بن

بنت له وعاد الى بغداد على ان الخليفة يرد اباه الى الوزارة واستوزر
ابا شجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة في اعادة
بني جهير وشفع اليه فيهم فاستوزر عميد الدولة واذن لابيه
فخر الدولة في فتح بابه والتصرف في نفسه وذلك سنة اثنتين
وسبعين ثم عزل في سنة خمس وسبعين وتوجه باهله كلهم
الى نظام الملك لطلب منهم فاكرمهم وفوض السلطان الى
فخر الدولة ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه
العساكر وامره بان ياخذها من بني مروان ويخطب بها لنفسه
ثم ان السلطان امده بولده عميد الدولة وبعث فيهم قسيم
الدولة اقسنقر جد نور الدين فاخذ الموصل وغيرها وانقرضت
دولة بني مروان وكان زعيم كره قد اوقعوا بحلل العرب
بخوامد حتى اقتل سيف الدولة صدقة نساهم واولادهم
واسدى مكرمة شريفة مدح بها ومما قاله المستنسي

كما احرزت شكر بني عقيل بآمد حين ضمهم الجدار
غداة رميتهم بالاتراك لم الشهب في حوافرها ازورار
فما حسبوا ولكن فاض بحر عظيم لا تقاومه البحار
فخيرت النساء لو اختت المنايا وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وحلت عنهم فما اساحلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم اسير حين اعلقه الاسار

ولد بالموصل سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتوفي بها سنة ثلاث
وثمانين واربعمائة

ومنهم ابو شجاع

محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم ظهير الدين الروذراوري
قرا الفقه على الشيخ ابي اسحق وتادب ووزر للمقتدي بعد عميد
الدولة بن جهير واجمل ذكره الشهير وخطا البرق على اثره ومشى
والجوزا اقرط في جامه اوعدته اقامه في الوزارة سنتين ثم عزل

ثم عزل عنها وانشد لما عزل
تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق
وكان امره مع الناس بخلاف ظاهر حكى ابن خلكان
انه خرج بعد عزله ماشيا يوم الجمعة الى الجامع من داره
فانثالت عليه العامة تصافحه وتدعو له فكان ذلك سببا
لالزامه بالقعود في داره ثم اخرج الى روذراور فاقام مدة
ثم خرج حاجا فخرجت العرب على الركب الذي هو فيه بقرب الربذه
فلم يسلم من الرفقة غيره فحج وجاور بالمدينة الشريفة حتى مات
ودفن عند القبة التي فيها ابرهيم عليه السلام وكان عزله
انه كان ينتقص بالسلطان ونظام الملك ويتكلم فيهما ولما
جاءت البشرى بان السلطان فتح سمرقند قال اي بشرى هذه
كانه فتح بلاد الروم او قاتل كفار السودان جا الى قوم مسلمين
استباح نساهم واموالهم واخذ ملكهم وديارهم فارسلا
الى الخليفة في عزله فعزله قال العماد الكاتب وكان
عصره احسن العصور وزمانه انضر الازمان ولم يكن في الوزرا
من يحفظ امر الدين وقانون الشريعة مثله صعبا شديدا في امور
الشرع سهلا لينا في امور الدنيا لا تاخذه في الله لومة لايم ثم
قال ذكره ابن الهمذاني في المذيل فقال كانت ايامه
اوفى الايام سعادة للدولتين فقال كانت ايامه اوفى الايام
واعظمها بركة على الرعية واعمها امنا واسلمها رخصا واكملها
ولم يغادرها بوس ولم يشنها حادثة وقامت للخلافة في نظره
من الحشمة والاحترام ما اعادت سالف الايام وكان
احسن الناس خطا ولفظا قال ابن السمعاني وكان يرجع
الى فضل كامل وعقل وافر ورزانة وراي صايب وله
شعر رقيق مطبوع وقال سمعت من اثق به ان الوزير ابا شجاع

ووقف

49

ووقف وان ارتحاله من الدنيا حمل الى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوقف عند الحظيرة وبكى وقال يا رسول الله قال
الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولقد جيتك
معترفا بذنوبي وجرايمي ارجو شفاعتك وبكى ورجع ومات
من يومه ومن شعره قوله

لاعذبن العين غير مراقب فيها بكت بالدمع او فاضت دما
ولاهجرن من الرقاد لذيذه حتى يعود على الجفون محرما
هي اوقعتني في حبائل فتنة لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلاسفكن دموعها وهي التي بدأت وكانت اظلما

ومنه قوله

ايذهب جل العمر بيني وبينكم بغير لقاء ان ذا لشديد
فان يسمح الدهر الخؤن بوصلكم على فاقتي اني اذا لسعيد

وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم عميد الدولة بن فخر
الدولة ابن جهير لو لم يشنع الدولة لو لم يكن عليه لسانه ويحسن فصيح
اساته احسانه لما جادت به السعادة عنانها ولا جاورته
عيانها ولم يكن نوادر كلامه بوادر كلامه ولا احد يعلمات
اللسان الطايحة وصفحات البغضا اللايحة حتى لعم حرا الاوار
ولفح الى دار البوار وزر للمقتدي بعد عزل ابي شجاع وكان
السلطان ونظام الملك يكرهان ابا شجاع لما تقدم ذكره
في ترجمته ولما عزل ابي شجاع استناب المقتدي ابا سعيد
بن موصلا يا كاتب الانشا في الوزارة وطلب عميد الدولة
ليوزره فسيره اليه وكتب اليه نظام الملك وهناه بالعود الى
الوزارة واكثر الشعرا تهنيته فاخذ في العمارة وتثمير البلاد

وتوطين الرعايا وامر بتزيين بغداد لفراغه وكان عاقلا حليما
لبيبا الا انه كان عظيم الكبر لا يكاد يتكلم كلامه عدادا وكان اذا كلم
انسانا كلاما هنيء ذلك الرجل بكلامه الا انه كان يهب الالف
عينا من الذهب والخيل المسومه والاقمشه الثمينه حتى ذهب
اكثر ماله كله ولم يزل على جاهه ووجاهته واسماه طرفه
ونباهته حتى عادى الدوله السلجوقيه نحمل عليه ودرى لسها بهاني
اخطات لبته ونحوه فعزل في رمضان سنه ثلاث وتسعين
واربعمايه وقبض عليه وعلى خونه واخذ عليه خمسه وعشرون
الف دينار ولم يزل محبوسا بدار الخلافه الى ان توفي في سادس
عشر شوال منها وتولاه سنه خمس وثلثين واربعمايه

ومنهم ابو اشروان ٥

بن خالد شرف الدين وزير كان لا يعيا بمنصبه على انه جليل
ولا يربع على محصنه ومراه حميله كاره وكان له بديع الادب
اعتنا ومن فرح الطالب احتنا حتى كان ناديه لا يزال
للادبا مجمعا وللاوليا مربعا ومستحقات كربه شهم وحرم
سد للحاح والمعتمد وزر للمسترشد وللسلطان محمود و
للسلطان مسعود وكان مستقيلا من الوزاره مجاب الى
ذلك ثم خطب لها فخطب كارها وهو الذي كان السبب
في عمل المقامات الحريريه وكان رجلا عاقلا شهما دينا
دينا خيرا وكان يتشيع الا انه لم يظهر عنه علو ولا سب ولا
تعصب لاهل ذلك وكان اذا ولي عدل واذا انصف وكشف
ظلم من جار واجحف ثم انتزع رداء الوزاره عكف على معاناه الادب
وله بيت بدلسنت بالعليا وتوفي في صفر سنه ثلاث وثلثين وخمس
مايه بغزو لا ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفه فمن دونه
ودفن في داره ثم نقل الى الكوفه ندفن بمشهد علي كرم الله وجهه

منهم الشريف علي

فمنهم الشريف علي ٥

بن طراد الزينبي شرف الدين ابو الحسن من بيت الشرف الرفيع
ولولو النسب الشريف لا الصدف الوضيع طلع قمرا في الاسره
العلويه وكوكبا في افق الدرجه الدريه وشد عضد الخلافه
العباسيه منه بشقيق نسب وشفيق قربى كلاهما لاب
ولم يزل الوزاره تعرض عليه عقيلتها ويب لديه عقيدتها
حتى وسمها بسمته وعقد عليها واصبحت في عصمته وزر مرات
وزر للمسترشد والراشد والمقتفي وكان تاره يلون نايبا
عن الوزاره وتاره وزيرا مستقلا بالوزاره وكان هو احد من
من اشار بخلافه المقتفي على ما هو مذكور وتخالف هو والسلطا
على انا منه واغذت بينهما الصداقه ولما تزوج الخليفه
فاطمه اخت السلطان محمود مسعود على صداق مبلغه مايه الف
دينار كان الوكيل في قبوله النكاح عن الخليفه وزيره الوزير
بن طراد المذكور الوكيل عن السلطان في العقد وزيره كمال
الدين الدر كزيني قال ابن الاثير جرى بين المقتفي وبين ابن
طراد الاسافره وسببها انه كان يعترض على الخليفه في
كلما يامر به فنفر الخليفه منه فخضب ثم خاف فقصد دار
السلطان في سمريه وترك الطهر ودخل اليها فاحتمى بها فارسل
اليه الخليفه في العود الى منصبه فامتنع فكانت الكتب تصدر
باسمه واستنيب قاضي القضاه الزينبي وهو ابن عم الوزير
وارسل الخليفه الى السلطان رسلا في معنى الوزير فرخص
له السلطان في عزله فاسقط اسمه من الكتب ورفع يده فاقام
بدار السلطان ثم توفي ابن طراد في رمضان سنه ثمان وثلثين وخمس
مايه معزولا ودفن بداره بباب الازج ثم نقل الى الحربيه

ومنهم يحيى بن محمد

بن هبيره بن سعيد بن الحسن من ولد عمر بن هبيره الشيباني عون
الدين ابو المظفر الحنبلي مرد في الايمه الاعلام بل في الامه والسلام
كان يتمذهب للامام احمد بن حنبل وله تصانيف مشهوره
مفيده لا ادعي حضورها لانها عديده وقد شد الله به ازر الخلافه
بعد ان تهلهل بردها وتناثر عقدها قام مع المقتفي قيام ابي مسلم
مع المعروف في قوله بني عبد المدان ولن العاص مع ابي سفيان
وشمر له تشمير كاسان في نصر افريدون وطاهر بن الحسين
في قتل اعداء المامون حتى سل مهج السلجوقيه وخط درج الدوله
الشرقيه وجد لبلوغ الارب واعد سحاب العجم لحماية العرب واجلا
عن اقطار بغداد ابهاها وجلا عن نهار دجله المشرق ظلمها احلى
اخلا للمقتفي ذرى منبره وخلى للمقتفي بدي كوثره وكان على
شغله الشاغل بحمل هذه الاثقال وبدافعه تلك السحب
الثقال لا يزال منتاب الانديه بالعلماء معمور الاوقات بالافاضه
النعما ومع هذا كله يقوم بالعباده دجى الليله وكل ما وليه
من امور اهل الارض الي رب السما ولا يرى ماده لجميل سعيد الا
بما سبقه المقادير وادبته منه سابق المشيه لا التدبير وقد مر في
ذكر المقتفي من حاله ما حلا وطن من حلا بالتجمل منه ما حلا
قال ابن خلكان اصله من قريه من عمل دجيل يعرف
الابدور والوزير نسبته اليه دخل بغداد واستغل بها وجالس
الفقها والادبا وسمع الحديث وتفنن وحفظ الفاظ البلغا وتعلم
ونعلم صناعه الانشا قرا الادب على ابن الجواليقي والفقه على ابن الفرا
وصحب الوسدي الواعظ وسمع الحديث من ابن مله الاصفهاني وابي القسم
بن الحصين الكاتب ومن بعدهما وحدث عن المقتفي وغيره وسمع منه خلق
كثير منهم ابو الفرج الجوزي وتنقل في الوظايف حتى ولي ديوان
الزمام ثم ترقى الي الوزاره قال وكان سبب توليته ان المسعودي

وملك

51

وبلدكر السلطاني قصدا بغداد بجموع كثيره وقدرت منهم
فتن عظيمه فشرع الوزير بن صدقه في تدبير الحال فاخفق
مسعاه فاستاذن ابن هبيره الخليفه في امرهم فاذن له فخاطب
هولاء الجوارح واحسن التدبير حتى كف شرهم ثم قوي عليهم
حتى نهبت العامه اموالهم وجرت المقادير بهذا لرفع ابن هبيره
ووضع ابن صدقه فلما انقضى هذا المهم استدعى المقتفي ابن هبيره
بكتاب على يد امير بن فركب الي دار الخلافه في جماعه ولسامح
الناس بوزارته فلما وصل الي باب الحجره استدعي يدخل وقد جلس
له المقتفي بشمسه التاج فقبل الارض وسلم وتحدثا ساعه ثم خرج
وقد جهز له التشريف على عاده الوزرا فلبسه ثم استدعي ثانيا
فقبل الارض ودعا بدعا اعجب الخليفه ثم انشد

لي شكر عمرا ما تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت
راي خلتي من حيث يخفى مكانها وكانت بمراي منه حتى تحلت

وهذان البيتان لابراهيم بن العباس الصولي وانما غير عجز البيت الثاني
لان اصله وكانت قذى عينيه لم يخاطبه الخليفه قال
ثم خرج فقدم له حصان ادهم سابل الغره محجل كامل العده
بالحلي وخرج بين يديه طايفه من الامرا وارباب المناصب
والخدم والحجاب والطبول تضرب امامه والمسند محمول
وراه على عاده تقدم في ذلك ودخل الديوان ونزل على الايوان
وجلس في الدست وقرا ابن الانباري العهد ثم قرا القرا وانشد
الشعرا وذلك يوم الاربعا ثالث ربيع الاخر سنه اربع واربعين
وخمس مايه وكان عالما فاضلا ذا راي صايب وسريره
صالحه وظهر منه في ايام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن
مناصحته فشكر له ذلك ولحظ بعين الرعايه ووفرت له اسباب
السعاده وكان يكرم اهل العلم يحضر مجلسه بحضوره ويكرم

من البحث والفوائد ما يكثر ذكره وصنف كتبا منها الافصاح
في شرح معاني الصحاح وشرح الجمع بين الصحيحين وكتاب
المقتصد وغير ذلك ولما اتى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
وزين الدين ابو المظفر صاحب اربل لحصار بغداد سنة ثلاث
وخمسين وخمسمائة جد المقتفي في حفظ البلد وقام ابن هبيرة
في هذا القيام الذي يعجز عنه غيره وامر المقتفي فنودي ببغداد
من جرح فله خمسة دنانير فحضر بعض العامة عند ابن هبيرة مجروحا
فقال له هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئا فعاد الى القتال
فضرب في جوفه فخرجت امعاؤه فعاد الى ابن هبيرة وقال يا مولانا
ايرضيك هذا فضحك له وامر له بصلة واحضر اليه من عالجه
ومضت ايام المقتفي وابن هبيرة نظام حجابها وتمام طاعتها فلما
آل الامر الى المستنجد دخل عليه ابن هبيرة وبايعه وكان خائفا منه
فاقره على وزارته واكرمه ثم لم يزل على منصبه حتى اتاه اجله وحكى
ابن الاثير ان ابن هبيرة لما ولي يوم الاربعاء رابع ربيع الاخر سنة اربع
واربعين كان القمر على تربيع فقيل له لو اخرت لبس الخلعة لهذه
النحسات فقال واي سعادة اكثر من هذه الخليفة ولبسها في ذلك اليوم

ومنهم ابو جعفر

احمد بن محمد بن سعيد ابن البلدي شرف الدين عمل بالوزارة اثارا وابتدع
سيرة سودت الصحف وبلوا لها الحيف والايام واعادت ما كان
تدرس من المظالم ونسب الى جور الظالم معتذر بها ابعده وقام بما
افتقده فسلب ما البسه له جلده النمر وحصر لا يود زلة ينحرف ولا تقبل
منه ولا يعتذر به قال ابن الاثير كان ناظرا بواسط فبان
عن همة عالية وسيرة سديدة في تعميرها وتمييزها وسداد عملها فاحضره
المستنجد ووزره سنة ثلاث وستين وخمسمائة وكان عضد الدين
ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء قد عظم حكمه عظيما فامر الخليفة ابن البلدي

بكف يده

52

بكف يده وايدي اهله واصحابه ففعل ذلك ووكل تاج الدين اخي
استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك وكان يتولاه من ايام
المقتفي وكذلك فعل بغيره فحصل اموالا جمة وقال انه استاذ الدار
في نفسه تحمل مالا كثيرا قال ابن الاثير غير ان الاثير ملا الخزائن
وعمر البلاد وكثر الاموال الا انه قاد الناس بالعنف وحكم بالعسف
واشتد في علو الجور فاتفق عليه رئيس الرؤساء ويزدن المصفوي
لما كان قد استحكم بينهما وبينه من العداوة لان المستنجد كان
يامره باشياء تتعلق بهما فيفعلهما فظنا انه هو الذي سعى بهما
فلما مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ابن البلدي ومعه
الامراء والاجناد بالعدة ولم يحقق ولم يتحقق خبر موته فبعث ابن
رئيس الرؤساء يقول له ان الامير قد خف ما به من المرض واقبلت
الوزير من دخول دار الخلافة بالجند فعاد الى داره وتفرق
من كان معه وكان ابن رئيس الرؤساء ويزدن قد استخدا الارب
الوزير بالعسكر خوفا منه فلما اغلقوا ابواب الدار واظهروا
وفاة المستنجد وبايعوا المستضيء وبلغ الخبر ابن البلدي فسقط
في يده وفزع لعوده ... سنه ندما حيث لا ينفعه الندم فجاءه من يستدعيه
للجلوس للعزاء والبيعة للمستضيء فمضى الى دار الخلافة فصرف
الى مكان وقطع قطعا والقي في دجلة ووجد في داره بينها
خطوط المستنجد بالقبض عليهما وخط ابن البلدي الوزير مراجعة
في ذلك وتصرفه حتى يعزل لان فيما زاده المستضيء على عزله فعزله
فعزله ثم امر المستضيء باعادته الى الوزارة فمنعه يزدن واغلق باب
النوبي وباب العامة وبقيت دار الخلافة كالمحاصرة فاجاب المستضيء
الى ترك وزارته فقال يزدن لا امتنع الا باخراجه من بغداد فنودي مسرعا
بالخروج منها فالتجا الى شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسمعيل
فاخذه الى رباطه واجاره ونقله الى دار ام ... فعادته الى بيته ثم لما

الى الامر لقامه بزدن بالحله خلع المستضيء على بن سمال رؤسا واعاده
الى الوزاره وذلك سنه سبعين وخمسمايه

ومنهم محمد ابن علي ٥

بن احمد بن المبارك مويد الدين ابو الفضل المعروف بابن القصاب
الوزير وزر للامام الناصر وحل من الايام محل الروح للباصر وكان
من اله دولة العباسيه في سويد اهلها وسواد شعارها وحب حلبها
يعز من يسري منه في جحفل لجب وحديد يري بصره ما خفي وعجب وكان
قد لبث الانشا بالديوان العزيز وكتب مترشا ربا لنقد مر والتدبير
وكان ذا فضل متناصر ونعل غير قاصر وبين نثره قوله
وسالك موهبه حصك وعمت الوري واوليت اصرطها
العام والنهي واوليتها لا اصفها لانها كما تري وقوله
واسل الاحوال يهل حسمه نزال وحلف الدهر لا نعتني على
احد علسه حتى نزال وا كل المشور اصابعه دمائه مودع
السعيق وامتلات نيابه من دمه تحل ولا تفرح وعجل واسرع ولا
تنتظر القداح ٥ ومن شعره قوله

طال مقامي بري فارس من غير نفع فالرواح الرواح
ذائقة الانسان الاماني طوبى لمن طلقها واستراح ٥ ٥
اهلها تغر بالمتهم ولاح ان ليس منهم فلاح

وتوفي في اوايل شعبان سنه اثنتين وتسعين وخمسمايه

ومنهم ابن مهدي

العلوي نصير الدين وزير لو انصف لكان خليفه ولو وصف لكان
البحر خليفه من ناقص تلك السلاسله وخالد تلك الجلاله امرق
في السرق تسما واشرف في السدف لو كبا وعطلت ابواه وبطلت
اشغاله النجوم الى بطلت اضواه وطالما علقت بنا امال وعسفت به
صبا وشمال واملت لدايام كان يظن ان يدرك منها ما فات

اباه

اباه وتملك منها ما يرد الامان سباه ونحل منه مهدي
الامه المنتظر وينتظر ويورد منه شربة المحتضر ويرد الحنظل
بدمي نحورها والجيوش يلتطم بحورها لولا تصرف من نكد الايام
وتعذر المطالب على الكرام وهي الليالي والسيل حرب للمكان
العالي قال ابن الاثير فيه من الدين من بيت كبير قدم من بغداد
ايام مويد الدين ابن القصاب الوزير ولقي من الخليفه قبولا كثيرا
وخلعه نايب الوزاره ثم جعله وزيرا وحكمه وجعل ابنه صاحب ح
المخزن قال غيره وبسط يده وتصرف واعطي ناسف
وحصل مالا طايلا وجملا جزيله وكانت اعداوه تتوصل الى
الخليفه امره وتغري بخاطره عليه قال ابن الاثير فلما
كان في الثاني والعشرين من جمادي الاخره سنه خمس وستمايه
عزله واعلن بابه وكان سبب عزله انه اساء السيره مع اكابر
مماليك الخليفه ومنهم سنقر وجه السبع امير الحاج فهرب من
يده الى الشام سنه ثلاث وستمايه وارسل يعتذر من هربه
ويقول انني هربت من يد الوزير ثم تبعه قشتمر وهو اخص مماليك
الخليفه واكبرهم عنده مضى الى لورستان وبعث يقول ان
الوزير يريد ان لا يبقي احد في خدمه الخليفه من مماليكه ولا شك انه
يريد يدعي الخلافه وقال الناس في ذلك فاكثروا ومما
قيل ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

الا مبلغ عني الخليفه احمدا توق وقيت السوء ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرين فيهما فعالك يا خير البريه ضايع ٥ ٥
فان كان حقا من سلاله احمد فهذا وزير في الخلافه طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق فاضيع ما كانت لديه الصنايع

فعزله وقيل في سبب ذلك غير ما ذكره ولما عزل ارسل الى الخليفه يقول
له انني قدمت وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الاموال

والاعلاق النفيسه تما يزيد على خمسماية الف دينار واسال ان يوخذ منى الجميع وامكن بالمقام بالمشهد اسوة العلويين فاجابه الخليفه باننا ما انعمنا عليك بشى فنويا استعادته منك ولو كان ملء الارض ذهبا وبقسك في امان الله وامان[نا] ولم تبلغنا عنك ما تستوجب ذلك غير ان الاعدا تد اكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موفورا محترما فاختار ان يلوذ تحت الاسطهار في جانب الخليفه ليلا يتمكن منه عدو فيذهب بنفسه ففعل ذلك وكان حسن السيره قريبا الى الناس حسن اللقا لهم والانبساط معهم عفيفا عن اموالهم غير ظالم لهم فلما انتقض عاد وجه السبيع في مصر وكان في خدمة العادل وعاد فتشمر في الوزاره فخر الدين ابو الوليد ابو البدر محمد بن احمد بن سينا الا انه لم يلبث كثيرا ثم توفى ثم عزل ثم عزل وتوفي بسنة سبع عشرة وستمايه

ومنهم ابن العلقمي

محمد بن احمد بن محمد بن علي مويد الدين ابو طالب وزير لبيته الاوزر وارتفع راسه لبسه رض بالحجر وتصرف ولبيته صرف وجهل اسره ولبيته عرف كمن لهون الارقم وسقى الناس من كاسه العلقم وحمله تحامله على اهل السابقه الاولى على قطع شجره الاسلام وقلع مدده دار السلام اذ كان في اهل السنه من ابرار الدوله من يقف في طريق رفضه ويرده من كل مراده اسيا وتعصبه وهو من ياتي الا ان يزيد في غلوه ليبدل الاسلام كفرا ويبدع الداد فعوا واحد في مالاه التتار وموالاه ما تجل التتار حتى كانت تلك الكاينه على جبله وجلب تلك الرزايا وصب تلك البلايا فعل في اكبر الدنيا ما لم يفعل بحت نصر في البيت المقدس ولا الضحاك ابن علوان حين تجبر وكلف امة محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يكلفه فرعون لبني اسرايل ولا شاته اهل مكة ابرهة صاحب الفيل فانه لم يتقدم عليه مثل بليته ولا عرفت في مسايا الايام مثل نقيبت

فكم

54

فكم من نفوس ذهبت ونفايس نهبت ونعم احتسبت وحرم سببت وابكار افتضت واموال من الذهب ذهبت ومن الفضه فضت ونجوم من القصور اهوت وابنيه نقضت وابنيه مع سكانيها وتعبث بها يا اهل الرحمه والرافه كل سو ويفعل هذا المجرم والكافر المفتر بالشهاده كانه مسلم ووزير التدبير لا التدبير وعونا بلبيس في التعكيس وما ارتكبه من الخطر ودابس فيه على الابر وسلط عقاربه الضاربه وبث اليه مصايبه الثاقبه وما جراه عليه اقدامه من سفك الدما المحرمه وجناه على كل مسلم ومسلمه ويقصد فيه لهو من لا يجاوده الندامه ويقول انه اذا مات انه لا يبعث يوم القيامه وهو اخر وزرا القوم ومن رجح عليه اللعنه الى اليوم ولي وزاره المستعصم بعد ابن الناقد في ربيع الاول سنة اثنين واربعين وستمايه وكان فاضلا رئيسا مايلا الى الهيبة متغاليا في التشيع وذلك الذي حمله على فعل ما فعل فانه حصل بينه وبين الدوادار حقد بسبب المذاهب لان الدوادار كان متغاليا في السنه ومعضده بعض ولاد الخلفا فحصل عند العلقمي الوزير الصفن في حمله على السعي في دمار الاسلام ولم يراقب الله تعالى وانضم الى هذا كون الخليفه لم يعد من يقظه تتم للوزير مراده ثم ثبت على فعلته لانه كان قد نقد بينه وبين هولاكو ان هولاكو قواد املاك العراق ويستنيبه فيه ويقتل الخليفه وحاشيته حسب لا غير فلما جرى ما هو مشهور رمي ملك الوزير بانواع الهوان من صغار التتر فضلا عن الكبار منهم حكي انه كان قاعدا في الديوان لتقليد الاشغال فدخل بعض من لا يوبه اليه من التتار راكبا فرسه الى ان وقف بفرسه على البساط الذي الوزير عليه جالس وخاطبه بما يريد واتفق ان بال الفرس على البساط فاجاب رشاش البول ثياب الوزير

وكان مع هذا الهوان يظهر قوة النفس لكونه مقصوده من اراد
وحكى بعض البغاددة قال يا مولانا انت فعلت هذا جميعه حميه
للسبعه وقد قتل من الاشراف الفاطميين خلق لا يحصون وانتهب
الفواحش من الوف من نسايهم وافتضت الابكار من بنات الشرفا
مما لا يعلمه الا الله تعالى فضلا عن غيرهم فقال قد بدا من قبل الدوادار
ومن كان على مثل رايه لا مبالاه بذلك ولم تطل مدته بعد واقعة
بغداد وقدم على ما قدم وكانت له يد في صناعة الانشا حكى
ابن الاثير انه اول ما كان كاتبا للانشا ثم استنيب في الوزارة ثم
وزر للمستعصم وبعث المستعصم اليه يستدعي الاقلام فكتب اليه
مثل المملوك الارض شكرا للانعام عليه بالاقلام فلت عنه
اطفار الحدثان وقامت له في حرب صرف الزمان مقام عوامل المران
واحتنه ثمار الاوطان من اعصانها وحازت له قصبات السبق
يوم رهانها فما بالله لم ترعد دما من عقدها ولم تخر سعادة اصبح
في مدادها ومدها وكم منادح استقام بسمعها بها وكم
صوارم خطوب فلت مضاربها بمرهفا فيها والله يبهض المملوك
بفروض دعايه ويوفقه للقيام بشكر ما اولاه مولاه من جميل رايه
وحر يل حبايه

خولتني نعما كادت تعيد لنا عصر الشباب وقد فني منه اياما
تعطي الاقاليم من لم يبد مسالة يوما فلا عجب ان يعط اقلاما
اذا اليسير الى حظ فان طاسنا اذا اعملته حرق الهاما ما
بالحمد والشكر احرز بها الدولتكم فالراي معتصد من المعدابها الها

ولست الى التاج محمد بن الصلايا العلوي يحدد عهد عاي
للي وثناء عطر مندلي ويتمنى انه خدم بها من النيل الى سامي مجدك
الاثيل وحمد شرفه يغني عن التفصيل واتابن تشده القرم
الى تشريف تلك الشيم ويعرض بعد الدعا الى ايامه لا اخلاه الله من انعامه
انه قد بعث اللوح المكرم ودس البساط السري المعظم وقد نهبوا العترة

العلويه واستاسروا العصابة الهاشميه وقد حسن التمثيل بقول
شاعر من عزبه

امور تضحك السفها منها ويبكي من عواقبها اللبيب

فلهم اسوه بالحسين حيث نهب حرمه واريق دمه ولم يعثر فيه
امر بقهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد
وقد عزموا الا انه الله عزمهم ولا انفذ امرهم على يهك الحمله
والنبل بل سولت لهم انفسهم امرا فصبر جميل ويهني ان الخادم
اسلف لهم الانذار وعجل لهم الاعذار وخاطبهم سرارا واوساهم
جهارا

ارى تحت الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
وان لم يطفها عقلا قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري اايقاظ امية ام نيام

وكان جوابي بعد خطابي لا بد من الشنيعه ومن قتل جميع الشيعه
ومن احراق كتاب الوسيله والذريعه فكن لما نقول سميعا ولما
نامر مطيعا والا جرعناك الحمام تجريعا فكان لك كلام وسلو لنا
سلام ولنترك تعد اذا حل من الحنا عند الاصابع والخاتم عند
الاقطع ولتتقيد من بعد الفلاسفه محدوراث الشرايع وتلقى
الفاأ اهل القوى اسرار الطبايع فلا تغلبن تلبي كما قال المتنبي

قوم اذا اسند والاقلام من غضب ثم استمد وابها ما المنيات
نالوا بها من اعاديهم وان بعدوا ما لا ينال بحد المشرفيات

ولا نبيهم يحبون لا يبل لهم بها ولا خرجنهم منها اذله وهم
صاغرون

وديعه من سر ال محمد اودعتها اذ كنت من امنايها
فاذا رايت الكوكبين تقاربا في الجدي عند صباحها ومسايها
فهناك يوخذ ثار ال محمد لطلابها بالترك من اعدايها

يلون ان شاء الله تعالى ومن شعره قوله

من لم ير الوجنات اول نظرة والكاس مترعة بكف الساقي
وتغازل الالحاظ عند فتورها لم يدر كيف مصارع العشاق

وقوله

قد عقربت صدغاه واستجمعت عساكر النمل في الاشنب
تقدم الحاجب للعارض ان لم يثب فيها الاسود في الاشهب
يا امراء الحسن لا تركبوا فالقمر الارضي في العقرب

توفي يوم الجمعة مستهل جمادى الاخرة سنة ست وخمسين وستمائة ومولده ببغداد في شهر ربيع الاول سنة احدى وسبعين وخمسمائة وهذا اخر مشاهير وزراء الخلفاء بالجانب الشرقي فاما من يلحق بهم من مشاهير وزراء الملوك ومن ينتظم جوهره في هذه السلوك

فمنهم ابو سعيد عبد الواحد بن علي بن ماكولا وكان له ادب كانما نسق عنه الكمام او نجم الندى عليه الغمام او ادرك عقده وشيق السبب وعهده ودبق الحبب كانما صبت عليه الغيث من صب وزر لجلال الدولة ابي طاهر بن بويه وهو من بيت كتابة وفضيلة وادب ومجد وسؤدد ذو علو رتب وكان ابو سعيد عارضا لعضد الدولة في ديوان جيشه ثم نقم عليه جلال الدولة وقبض عليه واخذ له ثلثمائة الف دينارا عينا غير الخيل والقماش وسائر العروض وتوفي في ذي القعدة سنة عشر وثلثمائة ومن شعره قوله

وان لقاء الشجاع لهين ولكن جميل الصبر منه شديد
اذا كان قلب القرن ينبو عن الوغى فان جناني جلمد وشديد

ومنهم ابن العميد

ابو الفضل محمد بن ابي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب ولي الوزارة

وشرفها

56

وشرفها وتوطى امورها وصرفها وساد الكبراء وسما مدرا للكواكب سمي الشرى وترك سعي الرخ وراه خافقا وعزمه العمام خلفه دافقا حتى حط بالسما رحل رحلته وجاوز دارة البدر وداس بحوافر خيله على اهلته وكان ابوه عميد خراسان وعميد ما سن فيها من احسان صدرا من صدورها وبدرا من بدورها ثم كان ابنه سطر خطوطها ووطى شروطها وعقد دولها وعقد دخولها لا تصدر الا من امر الملوك الا تابعة لارائه رابعة على خطرائه تناضل سهامه وتناصح سهامه وتدخر منه للنوائب فراجا للكرب وملاجا على الادب ومجليا للغما ومجليا بالنعما وكان رحيب الفنا قريب الغنا مدنيا للمنى ومجنبا الغنى لاسناد من على ناله ولاستناد من باباله وكانت له سوابح وخاطرا حفظ من الوقائع الصحيح ختم عليه بالطابع ثم ال ابن حمد كان بعث والده بالعميد لقبا على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم وكان ذا نبه وادب وكان ولده ابو الفضل هذا وزير ركن الدولة ابي علي الحسن بن بويه وزر له بعد وفاة الوزير ابي علي القمي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم واما الادب والترسل فلم يقاربه احد في زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني وكان كامل الرياسة جليل المقدار وقال الثعالبي كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ولما رجع الصاحب بن عباد من بغداد قال له ابن العميد كيف وجدت بغداد قال بغداد في البلاد كالاستاد في العباد وكان يقال له الاستاذ وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه باحسن المدائح وورد عليه ابو الطيب المتنبي بارجان بقصائد احداها التي اولها

باد هواك صبرت ام لم تصبرا وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى

فاعطاه ثلثة الاف دينار وورد عليه ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي الذي

الذي امتدحه بقصيدة اولها ه

ه برح اشتياق وادكار ولهيب انفاس حرار

ما حدث صلته عنه فشنع هذه القصيدة بما جرى واسمعها
برفعة فلم يرد ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي
ورد عليها الى بابه فتوصل الى ان دخل عليه يوم الخميس وهو حفل
باعيان الدولة ومتقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه
واشار بيده اليه وقال ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل
لك ذل النعل واكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك والله ما بي
الحرمان ولكن شماتة الاعداء قوم نصحوني فاغششتهم وصدقوني
فاتهمتهم فباي وجه القاهم وباي حجة اقاومهم ولم احصل من
مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مولم وياس مسقم
فان كان للنجاح علامة فاين هي وما هي ان الذين يحسدهم
على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا مثل مزاحم
بمنكبك السهم باسا وانورهم شعاعا واشرفهم بقاعا فحار
ابن العميد وشده ولم يدر ما يقول فما طرف ساعة ثم
رفع راسه وقال يا هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في
الاستزادة عن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا ما دفعنا
اليه فما ما نحتاج مدعليه فقال ابن نباتة ايها الرئيس هذه
نفثة صدر دوي منذ زمان وفضلة لسان نكل خرس منذ
دهر والغني اذا مطل لئيم فاستشاط ابن العميد وقال
ما استوجبت هذا العتب من احد من خلق الله تعالى ولقد
نافرت العميد من دون ذا حتى دفعني الى ضيق عاتم وحاجة
نابح ولست ولي نعمتي فاحتملك والا صنيعي فاغضي عليك
وان بعض ما اقررته في سامعي ينقض مرة الحليم ويبدد شمل
الصبر هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول

الاسائل

57 ولا سالتك مدحي ولا كلفتك تقريضي ولا سالتني مدحك
لي ولا كلفتني تقريضك ولكن جلست في صدر ايوانك
بابهتك وقلت لا يخاطبني احد الا بالرياسة ولا ينازعني في احكام
السياسة فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة
والقيم بمصالح المملكة فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني
بلسان المقال فثار ابن العميد مغضبا واسرع في صحن داره
الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن العميد
ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول والله ان سف التراب
والمشي على الجمر اهون من هذا فلعن الله الادب اذا كان بائعه
مهينا له ومشتريه يماكسه فيه مهينا له فلما سكن
غضب ابن العميد فارتاب اليه حلمه التمسه من الغد
ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكانما غاص في سمع
الارض ويزيل آثار ما كان منه وبعدها وكانت حسرة
في قلب ابن العميد الى ان مات في صفر وقيل في المحرم بالري
وقيل ببغداد سنة ستين وذكر ابو الحسن الصابي انه توفي
سنة تسع وخمسين وثلاث مائة وكان ابو الفرج حمد
بن محمد الكاتب مكينا عند عضد ركن الدولة وله الرتبة
العالية لديه وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الاكرام
معاتبه فلم يفد وكتب اليه ه

مالك موفور فما باله اكسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان جئنا تطاولت ولم تتمم
ه ان كنت ذا علم فمن ذا الذي مثل الذي تعلم لم يعلم ه
ولست في الغاية من دولة ونحن من دونك في المنتمى
وقد ولينا وعزلنا كما انت فلم نصغر ولم نعظم
تكافات احوالنا كلها فصل على الانصاف او فاصرم

وللصاحب ابن عباد فيه مدائح كثيرة وكان ابن العميد قد قدم
مرة الى اصبهان والصاحب بها فكتب اليه

قالوا ربيعك قد قدم ه فلك البشارة ان سلم
هذا الربيع اخو الشتا ه اما الربيع اخو الكرم
قالوا الذي لسواله ه امن المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميد ه اذاً فقالوا لي نعم

وكان ابن العميد كثير الاعجاب يقول بعضهم

وجات الى ستر على الباب ستاخاف وقد نامت عليه الولايد
لتسمع شعري وهو يقرع سمعها يوحي به الى القصايد
اذا سمعت معنى لطيفا تنفست له نفسا ينقد منه القلايد

ولابن العميد شعر منه قوله

رايت في الوجه طاقة بقيت سودا عيني تحب رويتها
فقلت للبيض اذ تروعها ه بالله الا رحمت وحدتها
فقل لبث السودا بلوطن فيه البيضا ضرتها

ومنه قوله ه ه

اخ الرجال من الاباعد والاقارب لا تقارب
ان الاقارب كالعقارب بل اضر من العقارب

ومنه قوله ه

لو كنت املك قلبي كنت اعدله او كنت املك روحي كنت انهاها
او كنت املك من عيني دمعهما لما بليت بها من ليس يهواها

وقوله وقد قدمت اليه اترجه ه

واترجة فيها طبايع اربعه وللشرب في حالاتها الهوا جمع ه
وما اصفر منها اللون للحب والنوي ولكن اراها
للمحبين تخشع ه ه

وحكي ان الصاحب ابن عباد عبر على باب دار ابن العميد بعد وفاته

فلم ير هناك

فلم ير هناك احدا بعد ان كان الدهليز يغص بالزحام فانشد

ايها الربع لم علاك اكتئاب اين ذاك الحجاب والحجاب
اين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في الثرا متراب ه

ولما مات رتب مخدومه ركن الدوله ولده ذا الكفايتين ابا الفتح عليا
مكانه في دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سريا ذا فضايل
وهو الذي كتب اليه المتنبي الابيات الخمسة الداليه
وهي ورد ذكر الثعالبي ان اباه كان قد بالغ في تهذيبه وتاديبه وجعل
عليه عيونا ليطالعوا بما يصدر عنه فاعلمه انه استدعي شربا من
صديق له ليلة انس فوجه الى ذلك الشخص واستدعى الرقعة التي
كتب فيها فوجد فيها قد اغتنمت الليلة اطال الله بقاك
رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من زمن العمر وانتظمت
مع اصحابي في سلك الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهدا المدام
نعش والسلام فاستطار ابوه فرحا واعجابا بهذه وقال الان
ظهرت اثار براعته وبرعت جريته في طريقي ووقع له بالفي دينار ولم
يزل ابو الفتح في وزارته ركن الدوله الى ان توفي وقام بالامر
بعده ولده مويد الدوله فاستوزره ايضا عليه فظهر له منه
الشكر والاعراض وقبض عليه سنة ست وستين وثلاث مايه
قال الثعالبي ماله وقطع في العقوبة انفه وجز
لحيته وقيل قطع يديه فلما ايس من نفسه فتق جيب
جبة كانت عليه واستخرج رقعه فيها تذكرة بجميع ما كان له ولوالده
من الذخاير والدفاين والقاها في النار فلما احترقت قال للموكل به
افعل ما امرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من اموالنا درهم واحد
فما زال يعرضه على العذاب حتى تلف وكان القبض عليه في ربيع
الاخر سنة ست وستين فيه وفيه يقول بعض اصحابه
ال العميد وال برمك ما لكم قل المعين لكم وذل الناصر

كان الزمان بهم فبدا له ان الزمان هو الخؤون الغادر
وكان ابو الفتح المذكور قبل ان يقتل بمدة قد لهج بانشاد هذين البيتين
وهما

دخلنا كما دخل الدنيا اناس قبلنا رحلوا منها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخليها لقوم بعدنا

وتولى بعده الصاحب ابن عباد

ومنهم الصاحب ابن عباد

صحب ابن العميد فسمي الصاحب ومشى على طريقه اللاحب وكان يسلك طريقته ويسهل خليقته نشا في نعمائه وكان ينظره بشرح سمائه حتى تكيف بخلايقه وعرف اسرار حقايقه واشرقت عليه سماؤه وصدقت انواؤه وشد احدوه وجرى وراءه وما لحق منه خطوه اذ كان يفرط به الاعجاب ويسقط بادبه وقور الحجاب فانه كان لا يكثر الجلوس ولا يكبر ان يدير له الشموس هذا على انه من نبلاء الوزراء وفضلاء الكبراء ومن صدور الدست اذا جلس وعلى راس الجوزاء اذا لبس يحصي له السيف حبا ويحوز الرمح اعبا ويقتص على البحر ايساره ويفضل على الزمان اناه ويعقد به الاهويه ويطمح مكارمه في البشريه ويخترع الخلايق البديعه كل ابا منه يوم السرويه وله من العلم طراز [illegible] [illegible] ولاحظ صنع الايام فيه غير مكفور الا انه مال الى اهل الاعتزال وبان على الاعتدال ومال على اعتقاد الصحيح وادخل عليه الاعتدال وكان غير وقور ولا بريا احيانا ان يكون غير عفو ورات كثيرا ما يحرك راسه ولحيته ويعجب باكثر ما لديه فطاشت له ميزانه وعرفت خفة اوزانه ونسب في عقله الى الاختلال وفي ادبه الى الاخلال واصبح يخلق الى ان مرى ابن العميد ينفع ويستنشق نسور سريه ولما توفي مؤيد الدولة بجرجان سنة

وسبعين

سنة ثلاث وسبعين وثلاث مايه وولي بعده فخر الدولة ابو الحسن فاقره على الوزارة وبالغ في تعظيمه وكان عالما بفنون كثيرة من العلم لم يدانه في ذلك انسان وكان افضل وزراء الدولة الديلميه واغزرهم علما واوسعهم ادبا واوفرهم محاسن وكان فصيحا مفوها لكنه يتقعر في خطابه ويستعمل وحشي اللغه حتى في انبساطه وكان يعيب [illegible] ولا ينصف من ناظره وقيل كان مشوه الصوره وصنف في اللغه كتابا سماه المحيط في سبع مجلدات وله كتاب الكافي وكتاب الاعياد وكتاب الامامه ذكر فيه فضايل علي وثبت امامه من تقدمه وكتاب الوزراء وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي وكتاب اسماء الله وصفاته وكان شيعيا جلدا كال بويه معتزليا لم ينقل عنه سب وله شعر مدون ومن بديع نظمه قوله

٣ يبسم اذ يبسم عن اقاح ويسفر حين اسفر عن صباح
ويتحفني بكاس من رضاب وكاس من جنى ورد وراح
له وجه يدل به علي من حسنه فيسكر كل صاح
حبيبك والمقلد والثنايا صباح في صباح في صباح

وقوله

الحب سكر خماره التلف يحسن فيه الذبول والدنف
عابوه اذ زاد في نضارته والحسن ثوب طرازه الصلف

وقوله

قامت تظللني من الشمس نفس اعز علي من نفسي
قامت تظللني ولا عجب شمس تظللني من الشمس

وقوله

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

عنوان نثره قوله واما هذا الفتح فاوصافه لا تدرك
بالعبارات اثار المهدي بعد الظلام وناهب باياته الايام
قاعد الدهر الخون من نوايبه واستخرج الدين ضالته به
فباشرت بورود اخباره المنابر وشهدت بفضله
البوايش وقرت فيه الخيل بعقد الصهاد ون (؟) وباب الخوف به
من بلاقاه الاقران وجار والحمد لله نادرة في الزمان وقوله
عن سيدي في مجلس عني الاعند الاسد شاكر الاسد قد
تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وزاحت
مجامر الاترج وفتقت فارات النارنج وانطلقت السن العيدان
وقامت خطباء الاوتار وهبت سوق الانس وقام منادي الطرب
وامتد سماء الندماء فإن الاما حضرت فقد ابت راح مجلسنا
ان تصفو الا ان تنال وطاب منالها واقسم غناؤه لا يطيب حتى
يعيه ادنانك محدود نارنجة قد احمرت خجلا لا ابطانك
وعيون نرجسه قد حدقت تاميلا للقبابك وكان الوزير
ابو الفتح ابن ذي الكفايتين قصد عبادو ازالته عن الوزارة ثم
قبض عليه واعيد اليه وذكر التنوخي في كتاب الفرج بعد
الشدة ان ابا الفتح هيا مجلسا عظيما بالالات الذهب والفضة
والمخانق والفواكه وشرب فيه يومه وعامة ليلته ثم عمل
شعرا وغنى به يقول فيه ه
ه اذا بلغ المرء امالة فليس له بعدها منتزح
وكان هذا بعد تدبيره على الصاحب حتى ابعده مؤيد الدولة
وسيره الى اصبهان وانفرد ذا الدست ثم طرب بالشعر وشرب
الى ان سكروا ناموا المجلس لا اصطبح عليه غدا
وقال لندمايه باكروني ثم نام فدعا مؤيد الدولة في السحر

فقبض عليه

فقبض عليه واخذ ماملكه ومات في النكبة ثم عاد الصاحب
الى الوزارة وبقي فيها ثمانية عشر عاما وفتح خمسين قلعة وسلمها
الى فخر الدولة ولم يجتمع منها عشرة لابيه وفيه يقول
ابو سعيد الرستمي ه ه ه
ه ورث الوزارة كابرا عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزارته واسمعيل عن عباد
وكان الصاحب محبا للعلماء وكان ينفذ في السنة الى بغداد خمسة
الاف دينار تفرق على الفقهاء والادباء وكان يبغض من يميل الى
الى الفلسفة وقيل ان نوح ابن منصور الساماني كتب اليه
يستدعيه ليفوض اليه وزارته فاعتذر بانه يحتاج لنقل
كتبه خاصة اربعمائة حمل فما الظن بما يليق به من التجمل
وعقد مجلسا للاملاء بعد ما تاب الى الله تعالى واتخذ لنفسه بيتا
سماه بيت التوبة ولبث اسبوعا على الخير ثم اخذ خطوط
الفقهاء بصحة توبته وخرج فجلس كا مستمليا يرى العلماء وحضر
خلق وكان المستملي الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف اليه
ستة كل يبلغ صاحبه من الاول ابن الزعفران الحنفي
ومرض الصاحب بالاهواز بالاسهال فكان اذا قام عن الطست
ترك الى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم احد من الخدم
وكانوا يودون دوام علته ولما عوفي تصدق بنحو من خمسين
الف دينار وكانت وفاته بالري ليلة الجمعة في صفر سنة
خمس وثمانين وثلثمائة ونقل الى اصبهان ودفن بباب دريه
واغلقت مدينة الري واجتمع الناس على باب قصره وحضر مخدومه
فخر الدولة والقواد وقد غيروا لباسهم ولما خرج صاح الناس صيحة
واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة امام نعشه
وقعد للعزاء ه ومنهم الوزير

ابو محمد الحسين بن محمد المهلبي الازدي من ولد المهلب بن ابي صفرة
ممن وجد الكرم من نوابت تلك الاسرة وزر لمعز الدولة بن بويه بعد
ضائقة علقت بالفاقة يديه وملئت بها نفسه الصبوة وهي احب ما اليه
ورث بها ايامه صباءً وهي محسوبة عليه وكان قد تقدم في ايام
املاقه سفرة احتاج فيها الى نفاضة المزاود واختال في قطع
اسبابها وهي امكاني عينه من خبر المزاود وقدم يوما الى اللحم فلم يجد درهما
يشتري به ما يسد شبعه ويسد ما هو من القوة ان يتماسك معه
فاشتري له رفيق كان معه لحما بدرهم وصنعه له طعاما ثم قدمه اليه
فاكل منه حتى قضى نهمته وارضى شهوته البشرية لا همته وكان
قد قال في ذلك الحال

الا موت يباع فاشتريه … فهذا العيش ما لا خير فيه
اذا ابصرت قبرا من بعيد … وددت لو انني مما يليه
الا رحم المهيمن نفس حر … تصدق بالوفاة على اخيه

ثم ما اجار سنته المخاطر ولاه جار سنته من غيره الذي لانتهاض حظه
وزر لمعز الدولة وقصر بحد الصولة وبلغ مما خيبا رائيه صاحبه الذي اتفق
عليه فاتاه قاصدا وتقصد او توصل اليه حتى وقف ناشدا وينشد

الا قل للوزير فدته نفسي … مقالة مذكر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش … الا موت يباع فاشتريه

فلما نظر في قصته تذكره ورقت عليه عينه اثره واقبل على شانه
وقضى دينه باحسان درهم الكرام كالشجرة الطيبة اذا نمى
فرعها واستطال زكى بالارض حق الدر وبه فاكتنفها من الحجير بظلال
وامواله تسبح ما بين درهم دارا باثنتها عند اللهم وتجلى دعمته
التهجد مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ويوتي السبعة

من الاعداد

من الاعداد بهذا الاسفنتها د ثم دعا به فافاض عليه خلعا وقلده
خلعا عملا منشعا وكان معه تنزيل ابا بين المهالبة … ول
او كالشمس زادت بالربيع لما ان لبث الحمل وكان هذا الوزير
على استغراق وقته في التدبير له حصد وتسع من الاحسان بقفر
عنه المزن ويضيق الزمان ويد تغل العناء وتكف الظلم وتعدو له
نابغة في الادب تفوت ونهاية في الكمال الا انه يموت تقلبه
الى اهل الفضل ذرع ولخاطره بالندى والبيان ولوع الناس من
قلب عطارد او متكلم كانه بيان د اسحام سر بوب واحتكاما
على قالب الاحسان تصبو بصوب صوب يختلس الالباب
ويختلس الكتاب وسحب الكتاب واسحره بضرب المثل في الرقة
ويسهل فيطمع لولا ما طريق تلك السهولة من المستقد كما قال
القائل

يا من اذا اراد سراري عبرت … الى نفاسه عن عنبر
وسبائي تغرد ونظيم تحته … نظم نثر نثير
وله طلعة تنيل الاماني … او لشعر المهلبي الوزير

ومن شعره قوله وترقت الى الوزارة قدمه وكتب له جلة الاسنة
ما كتب ملمه

رق الزمان لفاقتي … ورثى لطول تحرقي
فانالني ما ارتجي … واجارني مما اتقي
فلاصفحن عما اتاه … من الذنوب السمق
حتى جنايته بما … فعل المسيب بمفرقي

وكان لمعز الدولة غلام تركي اسود يكاد لترفه يعقد المجن بعقده
يسره العثير بارو فراقا ويشره اليه فلا تملك بدا نما ما زال السحري في انفه
وقلوب البشر تعليها في لعنة قد انهماك على الشرب لا بعقبه وجانب
الصحر الحمرا الجبل في صحن خده بلعقيه وكان به كثيرا الاعجاب شديد

المحبة له من دعاه اجاب فجعله رئيس شعره جرد ها الحرب بحص
بني حمدان وابرز للناس آية من بعد يطعف به من كل نجم سنان
وكان عند المهلبي مقلا يستحسن صورته جدا ويستطرفه تواجدا
كاد يلون وجدا ويري انه من مد الهوي اذا النوي لا من عدد الوغى
فيما اسعى فقال فيه المهلبي
طفل يرق الماء في جنباته ويرف عوده
ويكاد من شبه العذارى فيه ان تبدو النهوده
ناطوا بمعقد خصره سيفا ومنطقة تؤوده
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده
فكانت المابقال المهلبي حربه ولت حاشيته على عقبها وانقلبت
بالهزيمة شر منقلبها ومن شعر المهلبي قوله في بعض غلمانه
خطط مقومة ومفرق طره وكان بسمه وجهه محراب
ورنت عن كشف الذي الغي به تتعطل النعام والمحراب
ومنه قوله
يا من له رتب مكنه الاواخي الفواد اعلا اخذ الاماني من مهلب الاحشاما
ومنه قوله المجيد في وصف كتب ابن العميد
ورد الكتاب مبشرا نفسي باوراد السرور
وفضضته فوجدته ليلا على نجات نور
بنظام در كالثغور وكالعقود على النحور
وقوله
مثل السوالف والخدود البيض زينت بالشعور
يا عارفا بالدار مطرح السوال عن الادوار
العلم عندي كالعدا فعل يعيش بلا اعذار
وقوله
هب البعث لم تاتنا بدره وان لظى النار لم تضرم
البس بكاف الذي نحره حبا المسى من المعجم
وقوله

وقوله في ونيت صابقه
ولواني استزدتك فوق ما بي من البلوى لاعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياة بعيش مثل عيشي لم يريدوا
وقوله طلع البحر من جنابك عندي يمنى يا للقانيد والصباح
دال ان نوالك نقد عد بيا العيش ورئيس المنى ورئيس الصلاح
ومنه قوله
ورد الكتاب نديته من وارد فيه لقلبي من حياتي مورد
فرايت درا عقده منتظم في كل فصل منه فصل مفرد
ومنه قوله
اذا اختصر المعنى فشربه خاتم وان طال اسهام الى الغيض بالمد
وقوله وكان فطنته شهاب ثاقب وكان نقد الحسن منه تعيين
ومنه قوله في جاريه اسمها نجني
رب ليل لبست فيه التصابي وخلعت العذار في اللهو عني
في محل يحله لذة العيش ونحو سعوده من نجني
وقوله فيها
سرت علم تثريبها عسدها الغصن في تثنيها
تلك نجني اللذي حسب بها اعاد في الله من تجنيها
ومنه قوله فيها
كلما سرت في نوائد مبلا مال ميلي بهجتي منه فريق
فحياتي مصروفه في طريق للمنايا على فيها طروق
وقوله فيها
لقد راصبت نفسي على الحب في الهوى لانسانه ترعى الهوى وتواطب
صفالي فيها العيش والشيب شامل كما كان يصفو والشباب مصاحب
وقوله اراني الله وجهك كل صباح يوم صباح النعيم والسرور
واسمع ناظري صفحته لاقرا الحسن من تلك السطور

وقوله في غلام اسمه غرس

دعي الرحمن قوما ملكوني وشافضل بلغت به المرادا
وسموه مع القرب حبيبا كنور العين سموه سوادا

وقوله

الورد بين مضمخ ومضرج والزهر بين مكلل ومتوج
والثلج يسقط كالنثار افتقد بنا نلهو بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار وتلاح نور سفا بوو بدت سطور الورد بين بنفسج
فكان يومك في علاه فضة والنبت من ذهب على فيروزج

وقوله

الا يا من نفسي وان كنت حتفها ومعناي في سري ومغزاي في جهري
تصارمت الاجفان منذ صرمتني فما تلتقي الا على عبرة تجري

وقوله

يا شادنا جدد حبا له من بعد ما سالف سا جي
يحيه قد اصلت جمة مثل اتصال الطوق بالتاج

وقوله في غلام ابل من علة

نهض العليل فقلت حين بدا لعصن مايل
طلع الهلال لليلة تضيا ببدر كامل

وقوله

قال لي من احب والليل قد مد رواق نحو اصل الشهوق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي قلت ابكي عليك طول الطريق

وقوله

ولي حبيب الود فيه باوصاف ومعناه فوق ما اصف
كالبدر يعلو او الشمس تشرق او الغزال يخطو او الغصن ينعطف

وقوله

ان كنت ازمعت الرحيل فان رايي في الرحيل

او كنت قاطنة افنيته وان ضعفت للابد سولي
كالنجم يصعب في المسير ولا يزول الذي النزول

وقوله

عزمي وعزم صحابه ركابه موصوله الانجام بالاسراج
كالنبل عامده الى هدافها والطير قاصده الى الابراج

وقوله

ودي حبيبا اهل بي ما يريده فاصبح متعرجا بقصد نائي
ولم اغطه جهلا ولكن يحابني تعمد دين الاعلام والشنان

وقوله

للصاحب برد مصقل وانرسه تمييزه فانني لمقام الكل ارتحل
الا الذي وان اضحى اخي يعجبني ان يسترح وان يكمل الطلل

ومنهم ابو القسم

علي بن عبد الله الجويني اشتدت الوزاره بمعاندة ومهدت الداره لمقاعده وامنت علايه باسايه لا يعن خور ولا نسوب ولا صحو راي في اقال يوم حرب مسوف لولا مس الصخر لتفجر او الجهام لان عن جاره هو اول وزير وزر لطغرلبك ثم وزر بعده نظام الملك ابو محمد الحسن ابن محمد الدهستان وهو اول من لقب نظام الملك ثم وزر عميد الملك الكندري في هو اشهرهم

ومنهم عميد الدوله

الكندري وزير لا وزر عليه ولا كبر ينسب اليه وسع صدره الخلق ووسع تدبيره الخرق وقمع ضبطه العدا ووقع صوته بالردا واصبح والامر دون قدره والطلم لا يعلي الا بيده وزر لطغرلبك بعد نظام الملك الدهستاني وكان عميد الدوله اشهر وزرايه وانما اشتهر لان طغرلبك عظمت دولته وهو مستمر على وزارته ووصل الى العراق وخطب له بالسلطنه و

ومنهم الوزير

الوزير نظام الملك وزينة السلك بنظامه وفخر الملك باعظامه وتاهت به

الدولة السلجوقيه حتى شمخ انف سريرها وارجف صوت زئيرها
وطال لسانها واستطال سنانها وسرى في القلوب رعبها وسار في
السما سحبها واخافت بوارقها واطمعت بها نجائب الملوك مفارقها طفقت
صرخات سيوفها على بعد المسافه تستنزل من جنبه الحوامل وتقصف اسنة
العوامل ولم يكن بين قلمه وسيف ملكه فرق ولا تمييز بينهما ذبه وبرق ولم
تزل يدري بلطف تدبيره الفوارس ويبني بحسن تعهده المغارس الى ان جالت
خيل سلطانه باقصى المشرق وعجاجها باقصى المغرب معقود السما ممدود
الظلما مدسلك الارض من اشراطرافها وسلك بجوده قلوب اسرافها وكان
لدى الخلافه محمود الاثر ممدوح السير عليه اجلال سلطانه وجلال
قربه من مكانه والخليفه يستنير بمصباحه ويستمير من باحه ولا
يزال بينهما رسل تتردد بحوائج واثور على حكم اشادته تقضي ويشاحه
من الدين يحوط نواحيه ويحيط من بلاحيه ويوجب له على اعدايه ذل
الذهاب وعصيل جل الرغائب اصله من طوس اهل الدهاقين وزالت نعمة ابيه
وماتت امه وكان ابوه يطوف به على المرضعات فلما ان له سمع الحديث
وتفقه وعد من الفضلا واشتغل بخدمة السلطان والدهر يحلو به ويخفض
حتى وزر لالب وكان مملكه لا بعدي خراسان وظهرت له منه كفاية لا يظن في
غيره وكان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثيرا لصفح عن اهل الذنوب
والجرايم طويل الصمت ظاهر الورع وامر ببناء المدارس لا يزال مجلسه عامرا
واجرى بها الجرايات العظيمه واملى الحديث ببغداد وخراسان وغيرهما
وكان يقول انى لست من اهل هذا الشان لا اتولاه ولكني احب ان اجعل
نفسي على قطار نقله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع
اذا سمع المؤذن يمسك عن كل ما هو فيه ويجيبه ثم لا يبتدي بشي قبل الصلاة
وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان وهذا غاية حاله على حفظ الاوقات
ولزوم الصلوات واسقط المكوس والضرائب وازال الاذن الاشعريه
على المنابر لان الوزير عميد الملك الكندري كان قد حسن للسلطان

طغرلبك

طغرلبك لعن الرافضه فامره بذلك فاضاف اليهم الاشعريه
ولعن الجميع واذا فارق امام الحرمين والقشيري وغيرهما بلاد هم
فلما ولي نظام الملك لالب ارسلان اسقط هذه القضيه القطيعه
والقبيحه الشنيعه واعاد العلما الى اوطانهم وكان اذا دخل
عليه امام الحرمين والقشيري يقوم لهما ثم يجلس الى مسنده
فاذا دخل عليه ابو علي الفارمدي يقوم اليه ويجلسه ويجلس
بين يديه فقيل له في ذلك فقال لان اوليك يسوون على ما ليس في فازد
اد عجبا وتيها وهذا يذكرني اني من عيوب نفسي فانكسر وقيل
انه كان ليلة ياكل الطعام والى احد جانبيه اخوه والى الاخر
عميد خراسان والى جانبه فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فراى
العميد يجتنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب
الاخر وقرب المقطوع اليد اليه فاكل معه وكانت عادته
يحضر الفقرا طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم منه ومحاسنه مشهوره
مشكوره الفت فيها الكتب وجالت في كل مسمع وقطعت
عن رجا اللحاق به كل مطمع ولما مات ارسلان وعهد الى ابنه
ملكشاه قام الوزير نظام الملك بتدبيره وزاد الجند سبع
مائة الف دينار على اقطاعاتهم ثم داخل الجند الطمع فمدوا ايديهم
الى اموال الرعيه وتسلطوا فيها وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا
الا نظام الملك فذكر نظام الملك ذلك للسلطان وبين له ما يجري في هذا
من الوهن وذهاب السياسه وخراب البلاد فقال له افعل ما ترى
فقال نظام الملك ما يمكنني ان افعل شيا الا بامرك فقال له السلطان
قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها لك وانت الوالد وحلف
له واقطعه اقطاعا زايدا على ما كان بيده من جملته طوس وبلادها
وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها اتابك ومعناه الامير الوالد
وظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور كال

ابن الاثير وكان يغشى مجلس ابي الحسن بن طلحة الداودي وكان
عالما عابدا خيرا وكان يأتيه ويجلس بين يديه يتعظ فيبكي حتى تبل
دموعه لحيته ولما دخل ملكشاه بغداد اول قدمة قدمها نزل
بدار المملكة ارسل الخليفة اليه هدية كثيرة وارسل فرسا منها لنظام
الملك وطلب وطلب نظام الملك الى نظام الخلافة ليلا فمضى في الزبزب
وعاد من ليلته ثم سار مع السلطان الى جهة البرية للصيد فلما عادوا دخل
السلطان على الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ثم لما خرج من عنده
لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة ويقول هذا
العبد فلان وعلى نظام الملك خلعا جليلة تقارب خلع السلطان وذكر
ابن الاثير ما معناه ان نظام الملك لما اتسع دايرة محله وتسلط بنوه وتفرد
كل منهم بملك جليل تحت السلطان فلذلك حكمه وان كنت تابعي
وحكم عظيمه وولي ولاية كثيرة ولما يقنعهم هذا حتى تجاوزوا امر السياسة
ونقلوا وسعوا فلما بلغته هذه الرسالة قال قولوا للسلطان ان كنت ما علمت ان
شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورايي ما تذكر
حين قتل ابوه فقمت في امره يمسك بي ويلازمني ولا يخالفني فلما [illegible]
الامور اليه فلما جمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة
والبعيدة واطاعه القاصي والداني اقبل يجني لي الذنوب ويسمع في
السعايات فقولوا له ان ثبات ملكه تلك القلنسوة معدوق
بتلك الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة
ومتى اطبقت هذه زالت تلك واطال القول في هذا ونسله فاوقع عليه [illegible]
حتى اتاه ديلمي في صورة صوفي مستميح فلما التفت اليه ليكلمه ضربه بسكين
فقتله وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وهاج العسكر
فركب السلطان وسكنه ثم مات السلطان بعده بخمسة وثلاثين
يوما واختلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه
الكرامة له ومما رثي به قول ابن عطية ٥

كان الوزير

٥ كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف
ووزر بعده ابنه عز الملك لبركيارق وكان عز الملك حاكما
بخوارزم واليه كل امورها وكان [illegible] بالخدمة السلطان
وزاير الابيه فلما قتل ابوه ومات السلطان اقام باصبهان فلما حضرها
بركياروق وكان معظم جيشه النظامية خرج اليه عز الملك
واخوته فاكرمه واحترمه ووزره وفوض اليه امور دولته
وحضر عز المقتدي ومنهم فخر الملك
ابو المظفر نظام الملك فريد من نظام ووحيد من ابناء الكرام عظام
على بقي يعطر برديه وكرم يعطل فيض السحب بيديه وجب
لاهل الخير سكن حبة قلبه وسكت البحر فينا الا عند قلبه [illegible]
عمر والديه الفساح وصب عليهم سجال النوال فساح وعمر على
هذا وقضى شهيدا ومضى وابقى عليه حزنا شديدا وزر سنة ثمان وثمانين
واربعمائة لبركياروق ثم لما فارق وزارته قصد نيسابور واقام
عند السلطان سنجر بن ملكشاه ووزر له وكان يتوالى ال
بيت محمد صلى الله عليه وسلم يعظم اهل السنة واكرام الائمة والعلما
من مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه هذا الى صدقة سر والمحافظة
على صدقات كثيرة واصبح يوم عاشورا سنة خمسمائة صايما
وتصدق بجملة كثيرة من حل ماله وقال لاصحابه اني رايت
الليلة في المنام الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو يقول عجل الينا
وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكري ولا محيد عن قضاء الله وقدره
فقالوا يحميك الله ويبقيك والصواب ان لا تخرج اليوم من دارك
فاقام يومه يصلي ويقرا القران ويتصدق حتى انفد شيا كثيرا فلما
كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع
صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون ولم يبق

منهم من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده
رحمة له فلما حضر لديه قال له ما شأنك فدفع اليه رقعة فبينما
فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فأخذ الباطني
الضارب له وحمل الى السلطان سنجر فقرره فأقر على جماعة من
اصحاب السلطان كذبا منه عليهم وقال انهم هم حرضوني
على قتله وما اراد بهذا الا قتلهم وكانوا براء فعلم السلطان سنجر
هذا من الباطني فأمر به فقتل وكان عمر فخر الدوله نحو ثلثين سنه

ومنهم كريد اخوه

نظام الملك ابو نصر احمد بن نظام الملك الوزير كان لا يبعد
انه يؤاخيه ودام على هذا حتى مضى في سبيل اخيه مثالا معالا ولا وصف
عصمته وما جرد يده محتالا وعلى هذا مات ابوه وانقرض به الجود
فلا احد يوصف به ولا احد يرجوه وزر للسلطان محمد بعد سعد
الملك ابي المحاسن حين قصمه واخذ ماله وصلبه ولما امسك سعد
الملك استشار فيمن يوزره فذكرت له جماعة فقال السلطان
ان آبائي رأوا على نظام الملك البركة وله عليهم الحق الكثير واولاده
اغذياء نعمتنا ولا نعدل عنهم وكان ابو نصر هذا قد قدم باب
السلطان شاكيا على الشريف ابي هاشم رئيس همدان لانه
لما رأى ابو نصر انقراض دولة اهل بيته لزم داره بهمدان فآذاه
رئيسها المذكور وآذاه في جواره وهو نحو ربما انكته جراح
اذيته وانكته صراح بليته فقصد السلطان مستطلا فيه فصادف
السلطان في هذه النية التي تحدث بها معالم البيت النظامي وانتظمت
اموره بحال ما وصل لديه ولاه الوزاره وخلع عليه وحكمه في ماديه
وفي هذا زيادة على ما حكي في الفرج بعد الشده ثم كان السلطان
يقدمه على الجيوش ويبعثه على العساكر حيث يتعذر عليه المسير وجهه
لقتال الالموت وبها الحسن بن صباح فحجر الشتاء عليه ولم يبلغ

منها

منها سلخا فلما انى ربيع الاخر سنة ثلاث وخمس مايه قصد نظام
الملك ابو نصر الجامع فوثبت به الباطنيه فضربوه بالسكاكين
وجرح في رقبته وبقي مريضا مدة ثم برئ واخذ الباطني وسقي
الخمر حتى سكر ثم سئل عن اصحابه فأقر على جماعة بمسجد المامونيه
فأخذوا وقتلوا واستمر نظام الملك على وزارته الى سنة اربع
وخمس مايه ثم عزله السلطان محمد واستوزر بعده الخطير
محمد بن الحسين الميبدي

فمنهم الاعز

ابو المحاسن عبد الجليل
الدهستاني وزير ملا القلوب شغلا واد في البلاد شغلا واتقن
امور التدبير فلم يحصل بالا ولم يدع الا مالا وكان في دولة بني سلجوق
اعز وزرائها واعزم آرائها وزير بركيارق ونظم الشتات وعمر
البلاد وثمر الاموال ورد الامور الى قوانينها واعاد الحرمة الى حالها
واوقد حرمة السلطنه بعد ان خمدت واجرى يد الوزاره بعد ان جمدت
وان الدوله وقد اضمحلت فقوى اسبابها وشيد بنيانها ومد الاعناق
لوطأة قدمها وخفض جناح النسر الطائر لعلو همتها واسر في الوقعة
التي بين بركيارق واخيه محمد على بغداد فحمل الى مؤيد الملك بن نظام
الملك فاكرمه ونصب له خيما وضرب له خركاه وحمل اليه ما يحتاج
من الفرش والكسوه وضمنه عمارة ما خرب من بغداد ثم اطلق ح
سراحه وكان يحرى بهلاك الباطنيه يدل معهم ليسعى بهم حتى امر
السلطان بقتلهم وجهد لو استطاع ان اجتثهم من اصلهم وقد
عبرت تلك الايام مده قد فالاجرج السلطان ولا الوزير الاعز فمن دونهما
الا وهو في درع مضاعفه خوفا منهم فلما نزل السلطان بحصار اصفهان
وكان قد ركب من خيمه الى خدمة السلطان فجاء شاب اشقر
قيل كان من غلمان ابي سعيد الحداد وكان قتله الوزير الاعز فانتهز
الفرصه في الوزير وقتله وقيل بل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات
وتفرق اصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح اكثرهم منه جراحات الحتفه

وعاد الى الوزير بتركه ساقي دنو وكان كريما واسع الصدر
حسن الخلق كثير العماره وبغل اول وزارته لاقامة الحرمه
ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعامله مع التجار استغنى
منه خلق كثير حتى كانوا يسلونه ان يعاملهم فلما قتل ضاع
لهم مال كثير حكى ان بعض التجار باعه متاعا بالف
دينار وقال له خذ بها حنطه من الزواد ان كل كر بعشر
دينارا فامتنع التاجر وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان
من الغد دخل اليه التاجر فقال له بصيلك يا فلان قال وما
هو قال فايدة حنطتك فقال ما لي حنطه ولا اريدها
فقال بلى قد بعت كل كر بخمسين دينارا فقال اني بهذا واشا
امر انتقيل فقال له الوزير ما كنت لارجع عن قول قلته فاخرج واقبض
ثمن الحنطه بارك الله لك وكان مع وفور عقل الوزير وما عرف
به التدبير قد نفق عليه عمل الكيميا ولم يصح له شي منها قال
ابن الاثير عقيب ذكره حادثة تعتبر بها قال في سنة
ثلاث وتسعين سعى رجل بني جهير ودورهم بباب العامه
ووصل ثمن ذلك الى مويد الدوله الملك ثم قتل المويد وسع
ماله واخذ ثمن الجميع وحمل الى الاعز وقتل الاعز وحمل ماله
وبيع رحله واقتسمت امواله واخذ السلطان ومن ولي بعده
اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذه عاقبة خدمة الملوك

ومنهم ابو طالب

السميرمي دبر خلق كثير على الجوزا وحل عند الملوك محل الاعزا
وكان ارزن من الطود وارزم من الجود على عمق باطن الشر
غررا من البحر واعظم ضررا من حط الخنجر من البحر راي انقب
من الزناد وامضى للعقد من العناد لو خلب الليل لاضمحلت اوالب
على الصخر لاخل حلي انه ما خلي من ظلامه ولا تحرز من ملامه

طلبا للتوسعة الحال وترفيع كلف ايامه بالمحال فمقتت
وبغض ووقت عليه زمانته حتى دفن بدا خذ من التعقد
بما لا يخطي من تمام المساعي ولا يبطي من تمام الافاعي حتى احد
من صدر رتبته بين احبته وحطت عليه الاسمابين بالعذاب
وصب عليه بالواصاب الحجر لداب استوزره السلطان
بعد ربيب الدوله وزير السلطان محمود وكان والد
الربيب وزير له للمسترشد وكان السميرمي رجلا ظالما
جبارا غشوما حسن للسلطان اخذ حق البيع وتجديد المكوس
بالعراق وقدر هذا برايه واشتغلهما شوا عمل الفد ده بوقوع ع
الحريق المتتابع وسببه ان جارية للسلطان كانت
تختضب بدار كوهرذان التي بناها السلطان محمد فاسندت
شمعه الى الخيش فاحترقت وعلقت النار منه في الدار كلها
وقطعه خشبها واحترق فيها من الجواهر والحلي والفرش
والثياب ما لا يقوم ولم يسلم من الجوهر الا الياقوت
الاحمر ثم امر السلطان الايمة بلبس الغيار زنانير واسه يا ك
فرد عليهم باشارة الوزير واستد في الظلم الى فوق بعطس
انفه وخاض في الجور الى الحلقوم سلمت بغضته ودارت
سه منه على الالسنه ووقع في ايامه في سنه خمس عشره وخمسين
تا به بلح عظيم عم العراق حسبعه من البصره الى بلدبت ونفي به على
الارض خمسه عشر يوما وسمكه فوق ذراع وهلك به الشجر
السحر فقال بعض الشعرا بيدكر ذلك ويعرض بظلمه

يا صدور الزمان ليس بثلج ما رايناه من نواحي العراق
انما عم ظلمكم سائر الخلق فشابت ذوايب الافاق

فلما اسفى صعر سنة ست عشره قتل الوزير السميرمي واراح
الله منه وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همدان

فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو في موكب
عظيم ملوكي فاجتاز بسوق المدرسة الخمارتكينية في مكان ضيق
فيه حطب سوك فتقدم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه
باطني فضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه
الغلمان فخلا الموضع فوثب عليه رجل اخر بسكين فضربه في خاصرته
وجذبه فالقاه الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد اصحاب
الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا
وقد ذبح الوزير ذبح الشاه والدم قد سبق ودام وشاهد محمل
قتيلا وبه نيف وثلاثين جراحا وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان
المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد
وان تأخرت فات طالع السعد فاسرع وركب واراد ان يأكل
طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم يغن عنه شي واخذ السلطان
خزانته وانتهب ماله وكانت زوجة الكمال قد خرجت في هذا
اليوم في موكب كبير في مائة جارية وجمع كثير من الخدم والجميع
بالخيول المثمنة والمراكب الذهب في ثياب الوشي والحرير ونفائس
الدر والجوهر فلما سمعت بقتله رجعت بمن معها من الجواري حافيات
حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة احزانا فلما قتل ابطل
السلطان ما كان احدثه من المظالم ووجدده من المكوس
ووضعه على التجار والباعة من العكوس وازال الله ذلك السقم
وشفى النفوس

ومنهم الصاحب جمال الدين

رئيس الشام ابو القاسم عمر بن القاضي ابي الحسن احمد بن ابي الفضل هبة
الله بن ابي غانم محمد بن هبة الله بن احمد بن يحيى بن زهير بن
هرون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن ابي جرادة العقيلي
العقيلي الحلبي الحنفي الكاتب المورخ المعروف بابن العديم [illegible]

اماله

اماله ويحقق نقص البدر عند كماله ضرب عرقه الى معد بن عدنان
ولمع برقه في اسرة قيس بن عيلان واشرق في اهله مضر واعرق
نوره فلما عدل عن غابر مال عمر وكان لا يجلس احد فوقه اذا
حضر في مجلس السلطان ولا يضرب معه باعطان وكان الملك
الناصر بن العزيز يخاطبه بالوالد ويخطم الالف منه بواحد وكان ن
محله وكان محله منه محل الفتح بن خاقان من المتوكل جاريا
مجرى الوزارة وان كان لا يتقلدها ويطلق فيها اوامرها ولا
يقيدها هذا الى ادب لو وهب نسيمه على المخمور لافاق ولو شبه
نظمه بالدر لما سمح به الانفاق هذا مع خط ما وشي بقبله ديباج
الخدود ولا عطفت زرده اصداغ الغواني بين وروده خصوصا ما
تلمح النسخ الذي كانه ما رقمت به صحف الجمال والحواشي ولا
يماثل خط العذار اذا علاها من خط الكمال ولد سنة ثمان وتسعين
وخمسمائة وكان من رجال الدهر علما ونبلا وذكاء ورايا
ومنظرا وبهاء وسوددا وفقها وكتابة وانشاء ودرس وافتى
وترسل عن الملوك وحسن خطه يضرب المثل واليه يشير الصاحب
فتح الدين بن القيسراني

بوجه معذبي ايات حسن ... فقل ما شئت فيه ولا تحاشي
ونسخة حسنه قريب وضحت ... وها خط الكمال على الحواشي

ذكره الدمياطي فقال ولي القضاء بحلب خمسة من ابائه متتالية
وله الخط البديع والخط الرفيع والتصانيف الرائقة منها تاريخ
حلب ادركته المنية قبل اكمال تبييضه وكان عزيز العلم
خطير القدر والاصل قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي من نظر
في تاريخه علم جلالة هذا الرجل ورتبته في العلم وقد ناب بدمشق
في السلطنة عن الناصر وعاد عنه اذ سار الى مصر وحكى في تاريخه انه
دخل مع والده على صاحب حلب الملك الظاهر غازي وانه هو الذي

حسن له جمع التاريخ ونزيد بع نظمه قوله
فوا عجبا من ربقه وهو طاهر هلال وتدا مسى على محرما

وقوله

وكانما قمر السما لسبعة موسى من الفولاذ ذات صقال
وكان سعد الذابح استقصاه من عمل الدحنه قاطعا لوصال

تنظم ولده مجد الدين هذا المعنى فقال

يا ليلة الهجر بل يا ما اركد العمر ما ان ضر لو وافيت بالسحر
قد مزق الطرف ثوب النوم من ضجر لما بدا له بستانو بان السهر
ولست احسب ان النوم مفتقد فقد غدا هاربا من شده الحذر
خاف الدنو لسعد الذبح حوله فقد بدا قابضا موسى من القمر

واهدى الامير سيف الدين المشد الى الصاحب كتاب الانوا لابي حنيفة الدينوري فارسل

يا مولى الالا ومسبغ النعما
لو لم تكن سما ما جدت بالانوا

ومن شعره قوله يفتخر

سالزم نفسي الصفح عن كل ما جنا على واعفو اعفه وتحلما
وقايلة يا ابن العديم الى متى تجود بما تحوى ستصبح معدما
فقلت لها عنى اليك فانى رايت خيار الناس من كان معدما
اتى اللوم لي اصل كريم واسوه عقيليه سنوا الندى والتكرما

وقوله

لبشبه خده جلنار في غصن شاهق منيع
تملك القلب وهو بعض فلم سوى الرق للجميع

فاما من بعده من وزراء الدولة الجنكزخانيه فنقول ان رتبه الوزاره لم تزل تتماسك بمعها الى انقضا دوله الخلافه ثم اخر ما حفظت هذه الرتبه العليه السناميه في ممالكه بيت هولاء طولى بن جنكزخان فان

الوزرا عندهم هم السلطان حقيقه لا يبقا وزالقار الا في الامور الكليه الا في الامور الكليه وهو المصرف في البلاد والممالك كيف شاء يولي ويعزل ويسمن ويهزل

فمنهم شمس الدين ابو المكارم

محمد بن محمد بن محمد الجويني وزير هولاكو الصاحب الوزير وزير قام في زمان الغدر بالوفا واحيا في ايام التتار سنة الخلفا امسك بيد الثريا اعتلاقا وحكى شمس الشمس ابتلاقا انسكب جوده اندفاقا وحسن به وجوده اتفاقا ولم يزل يهب المواهب ارفاقا ويبذل الاموال انفاقا ويصل دوله الاسلام حبا والتتار نفاقا ووطف عليه الوظايف واورف ما لديه من الطرايف ومد ظلال النعم واستخدم الاحسان فوق ما ظن بحوله وزر لانعاقا زين اول تلك الدوله وحمر بها سلطى ومر بها تعلق بامنطان الرماح فتنشطي في زمان كان السيف يقطر فيه دما وكاد الوجود فيه يعدم عدما وملوك المغل تغل مراحلهم حنقا وتشعل جوانحهم حرقا ودم الاسلام تعدما جمع وصوت الاذان اذ ذاك ما سمع واشلاء الخلافه مزقا لهوع السحاب وفرقا بايدي النهاب فالان يتلطفه تلك القسوه وصار يتخطفه عن تلك الاسوه وزوج ابنه بنتا من البنات العباسي حج بها اسايب تلك النسا وتمع بها من صرح اول الابا صرح الندا وكانما رد ذاهب العصور واستجد لبغداد وله المنصور وقطع على هدى مدى زمانه وهو حيا رى طلقه سار في افقه والايام لعنانه سلسلة القيا دمنجسه الاياذي باكثر من حصل لابن اي ذا دفي اباد الى ان نكر له الدهر معروفه ولو عليه صروفه ورماه نزحيث لا يدري واتاه وكان يظن انه لا يستحري بلور شمسه وعمر علو له رسمه واستل له سيفا تكل به بامر سلطانه الذي كان به ينتصر ويسميه اذا حلق على النجوم قالوا انه مقتضر فقد بالسيف قده القى بها طرحا وعود رهما حسد الا بقل روحا تصرف في الاقاليم بانلابه وترسل ونظم ونثر

ورزق صاحب الديوان وكان جوادا ممدحا سطوى على الاسلام وخير
في الجمله ولم يزل في رفعه وارتقا الى ان ولت سعادته وتغير عليه القان
فقتل في رابع شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمايه ولما تسلطن ارغون
سار الى ركابه الوزير شمس الدين بن قفطي منه اباتا ثم نقم له وعذبه
واخذ امواله وقتله ولقد كتب وصيه يقول فيها ان راي الوصي خالا
ملمعد رفا في سطريها وانا عريان والسيف مشهور

ومنهم اخوه الصاحب

علاء الدين صدر العراق صاحب الديوان عطا ملك بن الصاحب بها الدين
محمد بن محمد الجويني تتبع كرم سجايا اخيه حتى كان شقيق نوعه
وشقيق نوره ومنه ونثر مكارم اخلاقه ونظم سوابق الطواقه طلع
مع شمسه نهارا وجمع من غرسه ثمارا هذا الى تاجل في طباعه وجلال
فلم يعرف الا باتباعه ساهموني اصل حسمه وفضل نجيمه كان ببلاد
العراق يجبر حلها وعارى دجلتها من بغداد فاسد رمقها وملك حللها
ونفقها ولحق بلغتها وتلافي وادرك اخرها وقد كان يذهب تلافها
وقد كان عهد بغداد قريبا بالخلافه ونضره امامها ومسيره اباتها
ور ونور زمانها وموثق امانها ونواصي الدهر بايدي خلفايها وعاصي
الدول من خلفايها وكرم سجايا الخلايف ورقه الاسحار لانفاس
الاخفايها وموقته الغمارة لا يذهب سيل دجلة الا عقابها وسيوف الاسلام
لو اعقبت معها ميون الاعداء لو وعتها في اعقابها ولو عقبت عن ولوغ الدما
لما سلمت الا في اعقابها تغدق برح تلك العده وقارب في تفرج
تلك الشرة وفعل كل جميل وفضل كرمه على تاسيل وسان الجويني
بنفح عقيب تلك الحيف الداهيه الداهيه عطرا ونسخ مثل عونه
الغمام قطرا وبيد المسارين ولسد من بغداد ما يحلم به ان حوت
ما لا يوجد في دارين وعلى هذا وكان اديبا يفتخر البصرا ان مثل سلكه
ما سلك وان مثلا وتقيت لا يبعد عليه البشر لانه عطا ملك الا انه اناف

له الاجل

له الاجل اناه مفعما سلما وهو لا يقدر عليه وفر له القبر حسن الجندل
بعد ان كان رمنعا واردت المنايا به المصرع لو كان من يتبصر من عمي تادب
خراسان ونشب بين يدي ابيه وتنقل الى ان ولي ممالك العراق بعد العزويني
نعم الترك ووفر الاموال واسقط المغارم عن الفلاحين ولم يسعف الناس
وعمرت بغداد به ولم يزل في ارتقا الى ان قدم مجد الملك فامسكه وصادره
وزال بالسامد وله النظم والنثر والمكارم والسود فيه رفق عظيم
بالرعيه حفر نهرا مبداه من الانبار ومنتهاه مشهد على غبد عليه مايه
وخمسين قريه وقدم القان ابغا العراق فاجتمع الاخوان علاء الدين
وشمس الدين فاحصيت جوازهما في العبيد فبلغت الف جاريه وكان
الفاضل اذا الف كتابا وعمله باسمهما كانت جايزته الف دينار ولهما احسان
الى الفقها والصلحا ولهما يد في المعقول والاداب ويرجعان الى اسلام ثم قدم
مجد الملك سنة ثمانين فعمل صاحب الديوان فاخذ امواله وعقاره وعذبه
ثم بعد ايام فاعظم دست الاخوين وسلم مجد الملك الى علاء الدين فقتله
وسلخه ونفذ الى بغداد بايتاله فحكم اشهرا ثم مات النايب نجم الدين الاصفر
وله سيره طويله قتل مجد الملك قبله شتنبعه سلخه هرون بن الصاحب
وشربوا الخمر في جمجمته فلم يلبث بعد علاء الدين ولما عاملوا من هزوما
من الشام حمل صاحب الديوان من الشام الى همذان فضلك ابغا وتنكوتمر
واحتفى الاخوان فمات علاء الدين في الخفيه سنة احدى وثمانين وستمايه
عن ثمان وخمسين سنة ثم ظفر ارغون بالوزير فقتله ومن محاسن علاء الدين
انه بنى مسالا كثيره بظاهر بغداد وهو الكشك الذي بين باب الحلبة وباب
الظفريه لينزله اعيان التتار وكان بغداد على ما ذكره ابن النجار في ايام
السلجوقيه اذا قدمها العسكر من العجم دخلوها ونزلوا في بيوت الرعيه
وخالطوهم وامتزجوا باهاليهم وتصرفوا في القماش والحريم فخربت بغداد
ونزح كثير من سكانها عن المحلة الكبرى فانشا عطا ملك للمغول هذه الاماكن
الفسيحه كفا لاذى العسكر ثم انشا رباطا كبيرا بالمشهد النجفي واجرى

اليها الما والى جامع الكوفه وانشا المدرسه العصمتيه على المذاهب الاربعه وفي
سنة ست وسبعين وستمايه كان الخط بالعراق فعمل دار مضيف للضعفا
وبر للمستورين وهم بالشام قناطر بملد جبله فقال المعمار يريد ذلك مايتي الف
دينار فامر بعمل بركه في وسط المستنصريه يصعد اليها بدار بعد ان عمل الماء الى المدرسه
في القرب وكان له مجلس يجتمع فيه العلما ويتناظرون ويحث معهم ويكرمهم
وقالت ابنها علي بن عيسى الكاتب كانني الصاحب عطا ملك والغل في عنقه وبين
في يوم بارد وهو جالس على الرمل وعليه قميص وهو صابر لله حامدا لله

لا تجزعن لما جرى فالخير فيه لعله ... قد كنت عبدا ابقا تعصي الاله نعله

قال ابن عيسى وعمل الصاحب ايضا

لين نظر الزمان الي شزرا ... فلا ملت صنيقا من ذاك صدرا
ولن بالله ذا ثقة فاني ارى لله في ذا الامر سرا ... رماني اد رماني لا ابالي
فقد مارسته عسرا وليسرا ... وقد صاحبته سنين عاما مضين وذقته حلوا ومرا
سلكت فجاجه حزنا وسهلا وخضت عماره مدا وجزرا ... رايت الدهر لا يبقي
بحال يريك الوجه ثم يريك ظهرا ... اذا دكت جبال الصبر كلا ترى مني فوادا مستقرا
ففي الباساء لم اخضع لبوس وفي السرا لست اطيش كبرا ... في ابيات

ومن شعره

رعى الله ايا ما لنا وليا ليا تقضت وبرد العيش صاف مفوف
يدور علينا الحاس كاس كانه بلا لدينا لاحبا ولا قرقف
نابيتم فلا العين القريحة بعد كم رقى دمعها يوما ولا القلب يدرف
عصينا احاديث العذول عليكم وغير كم قول الحسود المحرف
وكم عن للقلب الحزين مقوطق عزيز كما شا الجمال مشرف
من النزل اما قلبه فيه قسوة الحديد واما جسمه فهو مترف
يروم وصالا من فواد معذب بحبكم فا تضاع لا يتوقف
ولولا هوا كم لم ازل عنه عادلا ولا انت من تقربيه انعفف
تعالوا بنا نسرق من العمر ساعة فنجني ثمار الوصل فيها ونقطف

وان كنتم تلفون من ذاك كلفه دعوني امت وجدا ولا تتكلفوا

وقوله

لذكر الحمى يصبوا الفواد المشوق ... وذكر الحمى يضني المحب ويقلق
اذا همّ طول العهد يبدي تسليا ... ابت كبدي حرا وجفني مورق
وكيف ومن اين السلو لعاشق ... بحن اذا ناح الحمام المطوق
تكاد اذا ما الوجد جدد ذكرها ... وكيف ولا انسان نفسي يزهق
سقاها الحيا ربعا وادهرا قد انقضى ... وللعيش من ما السبيبة رونق
وللقلب من بعد النوايب مغرب ... وللعين من وجه الاحبة مشرق
فيا طيب ذاك العيش لو كان دايما ... ويا طيب ليل الوصل لولا التفرق

وقوله

احبابنا لو دري قلبي بانكم تدرون ما انا فيه لذلك يتعب
لكن اعظم ما القاه من الم اني اموت ولا تدري الاحبة بي

وقوله ... ابادية الاعراب عني فانني بحاضره الاتراك نيطت علايقي
واهلك يا نجلا العيون فانني فتنت بهذا الناظر المتضايق

وقوله

مضت الشبيبة والمحي اثر الهوى والعيش من فقد الشباب مكدر
ان الشبيبة جوهر واري الهوى عرضا يزول اذا يزول الجوهر

خواجا رشيد الدوله فضل الله بن ابي الخير بن عالي الهمداني الطبيب العطار
والده واهب دهيا ... واداعيا وبليه لا تطاق ... ومصيبه لا عل لها نطاق
وشر لا يحمل تجرعه ... وارقم لا تجتنب موضعه ... اسد مفترس وذيب مختلس
وعقاب محلق بالمنون ... وعقاب ياخذ بالظنون ... ورجل دهر لا يبدل له
حصاه ولا يفقد الاجل او لا الا الى من عصاه ... خدم السلطان محمود
غازان بالطب الا انه سلم اليه روحه وذلك له جنوحه وكان لا
ياكل ولا يشرب الا من يده وكان يطبخ له الطعام في قدر فضه اعدها فاذا
فرغ منه غرفه في اواني من ذهب وتولى عمله وغرفه بيده به ثم حمله

معه على راس ابنه اليه ثم هو الذي يلقمه ويقطع له منه ويطعمه وغازان
لا يمس بيده ولا ياكل الا من يد خواجا رشيد او ولده وكان له على هذا
بلدان يستغلهما وياخذ منهما كثيرا الاموال ويستغلهما وكان له مع هذا
جوار وادرارات ورواتب ومقررات تفيض على مائة كاتب هذا مع نظر
الاوقاف الغازانية وهي ممالك وجمل يقال فيها وهي اضعاف ذلك وكان
كالمشير والجليس للملك اذا وقف الوزير وكانت الوزرا معه في مثل حلقة
الخاتم ونسبة طاعة الخادم لا يتصرف معهم متصرف الا بمراجعته ولا يسعه
غير الابتغا دال مطاوعته وبقي على هذا الى اخر ايام غازان وصدرا من دولة
اخيه على ما كان وحكى لي شيخنا ابو الثنا الاصفهاني ادام الله بقاه
ان خواجا رشيد جمع انواعا من الحكم ضمنها في تاليف ورسمه باسم السلطان
غازان ثم اتى اليه وقال له ايها القان انت اعظم من الاسكندر وانا افضل
من ارسطو وقد كان ارسطو صنف كتابا له فاجازه عنه الف الف دينار فاجازه
بذلك فاخذ به املاك خربة في اقطار البلاد ثمنت عليه بقيمة الخراب بالمبلغ
ثم عمرها بجاهه فصارت لا قيمة لها ولا يحصى ما يستغل منها وقد حكى
حسن الاربلي المتطبب المورخ رحمه الله ما معناه انه لما ضاق به باع الوزرا
وضاع بتدبيرهم معه ان يلبسهم شاشه او احرقهم شراره فقسمت
بينه وبين علي شاه التوريزي شطرين وسلمت اليهما قطرين وكان علي شاه
هو الساعي في هذا بعد ان كان به منفردا فاظله السجسج متبردا الا ان
خواجا رشيد كان فيما هو اجل من الوزاره متوضحا وافر على ما يوحي به
السلطان مستمعا وكان لا يزال يرميهم بالاوابد ويصميهم بالسهام اصميا
اللوابد لما يجده من السبيل اليهم والطعن بالتصرف في الاموال عليهم وهو مما
يدخل تحت ايديهم بري الساحة نقي الراحة لا يقام منه جليس ولا يقال الا انه
ابليس لاسيما وهو مع هذا طبيب وسمير الى القلوب حبيب فلما دخل في الوزاره وحمل
احمالها وتقلد اعمالها وصار يطالب بالمال ويلام ويلام بغيبة الاموال سكت
لسان دلعه وحقق بيان طلعه ولزمه حكم ما هم عليه ولم يبق الا ما ينسب اليهم

واليه

واليه فانقاد صعبه الارن وذل انفه الشامخ وسلم حطامه الى يد
الممتهن وذلك ايام السلطان خدابنده ومواهبه بحار وعطاياه في
عطاياه بحار ودام في مقالبة الاحوال ومقابلة الاهوال الى ان اعطى
السلطان خدابنده دواء مسهلا في مرضته مرضها وتوفي رحمه. بعدما
من يد الحياة الدنيا ونقضها فلما خرج عن سريره ونقل الى حضرة مضيعه
وجد علي شاه سبيلا اليه لم يخط مقتله ولم يعد وقته الموقت اجله فحين
قضى نحبه واخلى من الفضا رحب دست طبيبه المباشر لصلاحه والمثابر
على تعرف احوال مزاجه تخرج وقد سود ثيابه واعلا بكاه وانتحابه
حتى سمع ولده السلطان ابو سعيد بهادر خان الخبر وراى من تضجع ذلك
الطبيب العبر وكان غرا لم يتبصر بمكايد الاعدا ولا يعرف مقدار ما
يستشري من الدا فجازت عليه خدع باطله واستحالت محالا بق
باسله وامر بان يقتل هو واولاده ويوخذ طارف ماله وتالده فاسرع
علي شاه امضى الامر وابقاه حرارة في قلوب كثيرة لا يطفا لها جمر اشتغل
رشيد الدولة في الطب وفي علم الاوائل واسلم ومات ابوه على يهوديته
واتصل هو بغازان وخربندا وعظم شانه جدا وكثرت امواله وصار في
رتبة الملوك ولما طبب خربندا فهلك شغب عليه احد الوزراء علي شاه
فداري عن نفسه بقناطير من الذهب وجواهر فيقال اخذ منه النايب
جوبان الف الف مثقال ثم قتلوه وقتلوا ابنه قبله ولما طلبوا الى الخد مه
قيل انت قتلت القان قال انى يكون ذلك وقد كنت عطارا طبيبا خاملا
قصيري متصرفا في الممالك وحصلت الاموال العظيمة فاحضر الطبيب جلال
الدين بن الحزان وسالوه فقال اعرضت الهيضة بالقان فاجتمع الاطبا
عضو رهذا وراوا ان يعطوه مقبضا فقال الرشيد عنده امتلا ويحتاج
الى تنقيه فسقيناه ماية مسهلا خارت منه قواه فقال الرشيد صدق ف
فقال جوبان فانت قتلته يا رشيد وعوت عليه شاه يا سلطانا ه
فقتلوه وابنه ابرهيم ابن ست عشرة سنة وطيف براسه في بصف

جمادي الاولى سنة ثمان عشرة وسبعماية وشهر بمصرعه خلق وتنوع اخرون
وفصلت اعضاوه وبعث بكل عضو الي بلد وانتزعت جثته وخلف
عدة بنين وبنات وعماير فاخرة واموالا لا يحصره وكان فيه حكم
وتواضع وسخا وبذل للعلما والصلحا وله راي ودها ومروه وله تصانيف
واهبه احرقت بعده وقد فسر القران وادخل في ذلك فلسفة وكان
الشيخ تاج الدين افضل بديه ويرميه بدين الاوايل فحلم عنه وصفح وقيل كان
جيد الاسلام وعاش بضعًا وسبعين سنة ○ ه

ومنهم علي شاه وزير لا يبلغ خلقه وهو الحسن وقد
اصلح الله بين فيتين ولا العقله وهو الجميل اذا اعتمد الجهتين فامر الصلح بين الخاسرين
وتكفل برضي المتحاربين واحسن كل الاحسان واراد الاحسان بين
اثنين نعم كل انسان وذلك بعد تمادي مدد لم تضع فيها الحروب
اوزارها ولا اطفات السيوف ارارها ولا بانت فيها خيل تعتز على مرابط
ولا ليل ليس فيه لسرى الغازات خابط قد سنين شيبت الاطفال وبيت
بالاطفال جفال وقطعت الاطراف وقسمت الثغور واغلقت المعاقل
واخافت الرعايا وانابت علي الوجل وبنت حبال الامل دعته البهانيه
صالحه وسريره صحيحه وهمة قادره وعزمة حاضرة وفكره في
في عواقب الامور ناظرة وبذل فيها ذخاير الاموال ونفايس الجواهر
وسعى لها سعيها وبذل لها فوق الجهد حتى استمر مريرها واستقر لا
بغير تقديرها فهذا الوساد وهذا ولله الحمد الفساد حكى لي
المولى الكبير السفير مجد الدين اسمعيل السلامي ان دمشق خواجا
ابن جوبان وهما في تلك الدولة من هما والاكابر كلهم منهما واشرف
الملوك من قبل قدمهما كان قد برا منه من نزق السبيبة ما فيه بعض
بالوزير علي شاه فبلغ ذلك اباه جوبان وحرمته في زمانه تذبها رب حرمة
جنكز خان فعظم عليه ما فعله دمشق خواجا ابنه وضاق به ذرعا
لما عنده من عظيم حرمة الوزاره فاخذ ابنه وركبا الي وطاق

الوزير فخرج اليهما وتلقاهما فحلف جوبان انه لا يجلس الا بين يديه ثم اخذ
يعتذر لابنه وطلب له الصفح والعفو فلما انصرفا لام ابنه وقال له انت مجنون
بلا عقل ما تعرف المقادير من نحن حتى نجري على الوزير ومنهم
محمد بن خواجا رشيد فقام بامر السلطان واشبه الملك فعوذ من الشيطان
وساس البلاد فعمر الاوطان واقام الكرم حتى ضرب الناس باعطان
بلغ ما لم يبلغه وزير ولم يسوغه الامين للمومنين امير قاد الجيوش
ولبس غير الرماح اشطان ومد الاسباب ولبس غير الليل والنهار خيطا
ولي والسلطان ابو سعيد في فلوات طهوه وغلبات زهوه فاستقل بالامور
واستقبل سرور ايامه الجمهور فحفظ الممالك وساسها وحطم الاعداء
وداسها وحمى الاطراف ورمى بجل شراره كالطراف والسلطان ابو
سعيد تحت قفل عنانه وبين خاتونه وابيانه منكبا على الزمان منصبا
الى ما نصب الزق له من الدما لا ينطق لديه الا نادي وونز ولا يسبق راي
الا الي وطر واتفق له خلو الدست من جوبان وبنيه وهم الشعلة التي
كانت تتحامى والسهام التي كانت لا تراي فسرح في سوام الملك ورتع
وامتد له طالع النهار ومنع وكان هو السلطان والمسمى ابو سعيد
والخليفه وان لم يكن ابن زبيده كانه ابن الرشيد وتحاور وفده امرا الالوس
وشمخ واخطت روس وسارت وراه العساكر وحمد اراه الشاكر وكا
ممن قرا العلم وتربا بالحلم ورقا وهو لا يفكر في سلم الاحرب ولا في حرب الا
الا لسلم او الداخل الى الاندلس لما رضي من ذلك الجانب بما قسم والمعصوم
المتميز باصحابه العشره الى الحسل لحصل الاجماع على انه عصم بل لو كان حصل
لاخي بني سهم لاصاب من بالعراق ورامية بدي سلم او صاحب الوبا لبلغ
مرامه ولم يجزع له في فيه نبله سهم وقطع المده مع ملوك جانبنا على
المداهنه ودفع بالمواعيد من الساعة الراهنة ثم لم يزد بعد موت
سلطانه اذ ملك اربا كاون الا سلطا ولا نبض بيده الا مبسطا ولا ار
الا بالسيف لا بالسطا ولا طلب امرا فاعلو دونه بابه ولا قيد له خطا

ثم لم يكن باعجل مما دهى وضربت عنقه وهو غافل بكيفي ولد في الاسلام وللملك
والده وقتل سلم هذا واشتغل مده وصحب اهل الخير فلما توفي علي بن شاه الوزير
طلب ابو سعيد محمد هذا وفوض اليه الوزاره ومكنه ورد اليه مقاليد
ساير الامور وحصل له من الارتقا والملك ما لم يبلغه وزير في هذه الازمان
وكانت رتبته من نوع من رتبة نظام الملك في وقته وكان يتصرف في
امر الدواوين تصرف الفاعل يغرب منهم الى الارد ومن شا لا يترك رسول
الانابه ولا يثاب الاستوابه ولا يرد الابكابه ولا يصد الاجوابه وكان
من اجمل الناس صورة وامه تركيه وله عقل وذها وغور مع ديانه
وحسن اسلام وكرم وسودد وخبره بالامور وله اثار جميله خرب
كنايس بغداد ورد امرا المواريث الى مذهب ابي حنيفه وغيره وفي
الجمله له ذنوب ومع هذا يخوصنيزن من وزرا دفنتار كاليه تولية نواب
الممالك وعزلهم ولا يخالفه القان في شي ابدا ولما احضر القان ابو سعيد
نقص الوزير محمد الى شاب من بقايا النسل يقال له ارباجان فسلطنه
واخذ له البيعه على الامرا واستوسق امره فخرج عليهم علي باشه
وابن بيد وقاتل الجمع وقتل ارباجان والوزير في رمضان سنة ست
وثلثين وسبعمايه **واما** من نذكره من وزرا الدوله
الشرقيه بالشام ه ه ه ه ه

فمنهم بن مطروح ابو الحسين يحيى بن عيسى بن ابرهيم
بن الحسين جمال الدين وزير حلى من الدوله على العقود من الترايب
والعقود من السحايب حتى صار ذره مسكا في فم كل ناطق وملكا لا
لا يسمح به لكل المناطق ولد بالصعيد ونشا ، وصاغ القريد وانشا
واعتنى بالادب حتى اقتاد نوافره واجتلى سوافره واضحى الفرغا
الاسد فاستن انيابه ولاحد اظافره وكان هو وبها الدين زهير الكاتب
رضيعي لبان وخليعي عذار وعنان وكانا ابنا رعان المعاني توسادها
وتيسا رعان الى المعالي فيها لحاقا وكانا رسه نصرهما وشغل اهل

عصرهما

74

عصرهما وشعرهما دون اهل ذلك الزمان ودورهما كانت يتعاطاه
الندمان وبينهما من المراجعات ما يكفل للعشيان بان لا تنجع وغل
الرمات سبله فالى الاير حع خدم في الدواوين كخلع وظيفه وتلبس وظيفه
وتبا شر رتبها خاضعه ومتبقه واتصل بالخدمه الكاملية ايضا لا ظهر
سعده في ابنه الصالح ولهم مجن وصاح به الصايح وولي وزارة الشام
مده كانت كانها احلام نايم او اوقات ولا يبم الى ان فطن الدهر وقد كان
غفل واب تصرفه وكان قد قفل فعزل ونغزلت الدنيا من ايامه الحسان
ورحل ومعه جمله الاحسان اتصل بخدمة الصالح نجم الدين ايوب بن
الكامل لما كان نيابته عن ابيه الكامل بالديار المصريه ولما اتسعت
مملكة الكامل بالبلاد الشرقيه قصد الله امد وحصن كيفا وحران
والرها والرقة وراس عين وسروج وما انضم الى ذلك سير اليها ابنه
الصالح نايبا عنه سنه تسع وعشرين وستمايه وكان بن مطروح المذكور
معه ولم يزل يتنقل في تلك البلاد الى ان وصل الصالح الى مصر مالكا
لها سنه سبع وثلثين ثم وصل بن مطروح بعد ذلك الى الديار المصريه
في اوايل سنه تسع وثلثين وستمايه فرتبه السلطان ناظرا في الخزانه ولم
يزل يقرب منه ويحظى عنده الى ان ملك الصالح دمشق في الدفعه الثانيه نبة
سنه ثلاث واربعين ورتب لدمشق نايبا فكان ابن مطروح في صورة وزير
لها وحسنت حاله وارتفعت منزلته ثم ان الصالح توجه الى دمشق فو صلبها
في شعبان سنة ست واربعين وجهز عسكرا الى حمص لاستنقاذها من نواب
الناصر يوسف فسير ابن مطروح مع العسكر المتوجه الى حمص واقام الصالح
بدمشق الى ان ينكشف له ما يكون من امر حمص فبلغه ان الفرنج اجتمعوا بجزيره
قبرص على قصد الديار المصريه فسير الى عسكره المحاصرين حمص وامرهم ان
يتركوا ذلك القصد ويعودوا فعاد بالعسكر وابن مطروح في الخدمه والملك
الصالح متغير عليه متنكر له لامور نقمها وطرق الفرنج البلاد سنة سبع
واربعين وملكوا دمياط وخيم الصالح بعسكره على المنصوره وابن مطروح

ح

مواطب الخدمه مع الاعراض عنه ثم مات الصالح في نصف شعبان سنة سبع واربعين بالمنصورة ووصل ابن مطروح الى مصر واقام بداره الى ان مات ليلة الاربعا مستهل شعبان سنة تسع واربعين وستمايه ومولده يوم الاثنين ثامن رجب سنة اثنين وتسعين وخمسمايه وخلا السعيده وكانت اداواته جميله وخلاله حميده جمع بين الفضل والمروه والاخلاق الرضيه وله ديوان شعر فمن مختار شعره قوله من قصيده يمدح بها الامام المستنصر بالله ابا جعفر امير المومنين

شرفا بني العباس ما ابقيتم فخرا لمفتخر به يتبجح
لكم المقام وبيرب دون الورى ارث ومكه والصفا والابطح
اوليس جدكم الذي استسقى عمر فجاد له الغمام الرجح
لا يدعي هذي المناقب مدع فالبيت اسلك والسجيه اسجح
فوق السما خيام مجدكم مطروبة فلملكهم مسرى هناك ومسرح
حيث النجوم تعد من حصبايها والبرق منها بالسنابك يقدح
اخليفه الله الرضى هل لي الى بحبوحه الفردوس باب يفتح
حتى بذلك الحرم الذي ما فاز الا من به يتمسح
واقوم انشد ما يكاد مسامع ان لم يطر طربا له يترنح
هذا الذي نزل الكتاب بمدحه فباي شي بعد ذلك يمدح
هذا هو الملك الذي لا ينبغي لسواك والشرف الذي لا يبرح
لا درّ دري ان رنت في همته عن قصد دار طلها لا ينضح
والى امير المومنين رفعتها عذرا اتنفر من سواه وتجمح
محجوبة وحديثها بين الورى ان الانام بما وعاه تنصح
تسرى الكواكب طالبات ثنايها فتبيت في بحر المجرة تسبح
حتى وصلت بها سواد ق ابلج من وجهه سر النبوه يلمح
من مبلغ قوما بمصر تركتهم فردا واعينهم لغيبي تطمح
مانلت من شرف ومجد باذخ وعلا لها فوق الكواكب مطرح

75

فيد لك الشرف الذي وبنيته ويحسن منقلبي اذا فليفرحوا
اني لارجع متجرا من معشر اصحت بينا بعضهم تداله وتطرح
جلبوا الذي يفني وينفد عاجلا وطلبت ما يبقى فمن هو رابح
الله حسبك يا ابن عم محمد قلسمط ذي اللالي يفصح
لا تل من ثم خلافه مد خطبتها قدانت على اعدايها ان يفلحوا
ان الخلافة لم تكن الا لكم من ادم وهلم جرا تفلح

ه

وقوله يمدح من احرى

عدلوا عليك فاكثروا والتي اناثر وتحيروا حتى بهواك تحيروا
بهتوا الحسنات واتني من زمانه بعد تل للعواذل طولوا شيتم او تصبروا
لا انتهي لا انثني لا ارعوى لا اصبر قالوا وقد نظروك بعد الشمس هذا البدر
اغنيتني وسبيتني فانا المقل المكثر ادهر لا تمد دالي يدا انا اعلى افخر

وقوله يمدح الملك الكامل بن العادل من ابيات

ان الملوك باسرهم حوله حاشى ابيه كلاهما سيان
صان المعالي حيث كان لها ابا ولذا نكون حميه الغيران

وقوله يمدح الملك الاشرف بن العادل من ابيات

واني واقبل في العلا لا ينثني فاراك حط الحلى والمجتنى
ورنا فما نعني التمايم والرقا وابيك من لحظات تلك الاعين
تل للعواذل في هواه الا انتهي لا ارعوي لا انثني
وتلبثني من صابدلي نافرا متى ينال الوصل من متلون
مهدي به ويدي من مكان وساحه والوجد باق والضمير قد فني
وشدا السعري فاصنعت وبالها من فتنة سبعا لولدا فتن
سحري ومحبوبي يغنيني به وهناك غنى صبوه المتدين
لا شي يطرب سامعا كحديثه الا الثنا على علاشاه ارمن
الاشرف الملك الكريم المجتبى موسى وتيمّم بالكرم المحسن
ملك اذا انفقت عمرك كله في نظرة من وجهه لم تغبن

الذي كان اخفاه والمستعصم

واذا ابتغت له دعاً صالحا لهالتلو غير مشارك ومومن
يا ايها الملك الذي من كانه نظر اليه فما اراه بسومن
افنيت خيلك والصوارم والقنا وعدا لك والاملاك ماذا تقتني
ابقت لك الذكر الجميل مخلدا شيم لها الاملاك لم تتفطن
وشجاعة رجف العراق لذكرها ولقامه وبلاد عبد المومن
ولي الخوارزمي منها هاربا وهلم جرا الى ليسكن
ما كان اشوقني للثم بنانه ولقد ظفرت بنيلها فليهنني
ودخلت من ابوابه في جنة ياليت قومي يعلمون بانني
يا مكثري الدعوى اخفضوا اصواتكم ما دل رافع صوته بمودت
ابا من تحدث عنه في اقطارها من كان في نيله فليتيقن
ملك الملوك اليكها من ناظم مترسل متنوع متفنن
لا تحد عن بظاهر عن باطن قد يظهر الانسان ما لم يبطن
حاشت عداك ولا اسح عليهم عمي النواظر عند خرس الالسن
وقوله من اخرى يمدح الملك المسعود بن الكامل من ابيات
واني على ما بي من حصر هد يعجبني طل الغبار المشرع
وما الشمس لا الشمس المليحة اذ بدت دجى فاق الافق من كل مو ضع
فما شك طرفي في انها الشمس اشرقت ولا انني او تيت ايه يو شع
تمنيت منها قبلة فتمنعت وجادت بوصل بعد طول التمنع
وعانقتها حتى تناثر عقدها ولو رضيت قلدتها در ادمعي
وقالت وعقد القاف منها بحية ام عندنا ما شئت غير مروع
ووالله اما ان يكون كلامها من السحر او سحر خامر مسمعي
وقوله في ختان المغيث ابن العادل من قصيد
فلولا انه فرض علينا لما مدت لحانته يدان ٥
نقط الشمع جسمه ضيا وقص الظفر طول البنان
وقوله يمدح الناصر يوسف بن العزيز بن الظاهر عند مسيره

الى حلب

الى حلب سنة ثلث واربعين وستمائة
لا وعينيك ويكفي ذا القسم ما رات عيناي نوما منذ كم
ايها الراقد في لذاته نم هنيا ان عيني لم تنم
وبح قلبي من هوى مستهتر ما راى جفنا بكى الا ابتسم
شاهدوا ابتسمه مع ادمعي وانظروا الى افاح دعتم
قسم ثم على عشاقه كل نقص منه لما قيل تم
اشتكي سقمي الى اجفانه ومتى يشفي سقام بسقم
بدوي الزي الا انه لا يخاف العار في نقض الذمم
وبناهم يلبسي ها زيا قاد ما شينه اللثم التثم
نح لبينه يغلط يوما ينعم
لا تراه ناسيا لفظه لا لصلاح الدين لا ينسى نعم
عجبي من قلم في كفه ليس يمضي السيف الا ان رسم
انتم من معشر ذكر الندا عندهم حتى وان كانوا رمم
هم جبال الحلم ان عضبتهم فاذا استفد بينهم كانوا ديم
كلما مد كريم راحه اخرتها للعلا منكم قدم
من يرد الغيث ان قيل همى من يصد الليث ان قيل هجم
ملك العلم تراه ابدا باشرا من علمه اعلا علم
حارت الافكار في وصف فتى علوي العلم علوي الهمم
حاولوا التشبه في امواله ودعوا علياه ليست تقتسم
يا وزير الدست خذها جملة فاذا ما فصلت كانت حكم
وابو الاسود د سورا لا دهى وسوارا المعالي لا انفصم
وقوله من اخرى يمدح المظفر تقي الدين وتهنيه بملكه حماه
سلا خاطري عن زينب ونوار بورده خد فوق اس عذار
واصبحت بالظبي المنطق مغرما وكان رايي في عشق ذات سوار
واني على حب العذار وصفه اعف وان قالوا خليع عذار
سكرت بكاس من بديع جماله وما حب بالجما لك بعار

وعهدي به يحلو المدام بدننا ويجلو الدجى عنا بشمس عقار
سقى وجنتيه الحسن والدمع وحي فيه ورديه دجه لبهار
وقد خير السبع الدراري بحسنه فما هف الا في هواه جواري
ربا عادلي في هجر هند وزينب وقد لاح عذري كالصباح لسار
ارضى بان امسي اسير اسيره محصنه او من وراء جدار
وما فضل رب الطيلسان اذا اعتدى جور عليه حكم ذات خمار
اخو عزمات لا سيوف جفونه ولا جفن مستمنع بغرار
وتغضي له الابصار ثم مهابة فتلقاه وهو الظاهر المستواري

وقوله عند ما اراه الدار التي بناها بقلعته وكتبها على بعض نواحيها
يا دار بالملك ~~الظاهر~~ المظفر حييت فيك السعاده
ملك غدت في كل جيد من صنائعه قلاده
الفضل طبع والسماح وراثة والخير عاده
شرف لعمر ابيك ما فيه احتمال للزياده

وقوله في الطواشي صواب عند ما ارسله اليه الكامل وهو حران
ولما تيممناك قال رفاقنا الى ابن نبعي قلت خير جناب
وقلت لصحبي شرفوا ابلغ المنى فغير صواب قصد غير صواب

وقوله يمدح الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ
هي رامة فحذرا من الوادي وذروا السيوف تقر في الاغماد
وحذار من لحظات اعين عينهم فلكم صرعن بها من الاساد
من كان منكم واثقا بفواده فهناك ما انا واثق بفوادي
واعز مسكي اللمى معسوله لولا الرقيب بلغت منه مرادي
ومن المنى لو دام لي فيه العنا ليرق لي فاراه من عوادي
ومعنفي في هواه ومسمعي والعذل فيه كناظري ورقادي
ما انت يطيل الله عمرك سلوتي بإعاذلي فيه ونيل رشادي

امجن

اصبحت مالي في الصبابة مشبه وكذلك فخر الدين في الاجواد
ملك تملك بالشجاعة والندى قلب الخميس معا وصدر النادي
لا آل برمك ان جرى ذكر الندى الخوامداه ولا بنى عباد
من معشر يروي العلا خبر العلا عنهم ويسنده الى الحساد
اطراد احلام غيوث مواهب اما ده ليوث جلاد
منكم فوجدتكم خبر الورى والتبر لا يخفى على النقاد
يا دهر لا تمدد لظلمي بعد كفا فاني لا طاقة بعنادي
انا في حماية واجد لكنه واباه اغناني عن الاعدادي
بقدومه قدم السرور كانما هنانا فلا افترقا على ميعاد
واستبشرت مصر بمن فيها به لبشر الثرى يحيا السحاب الغادي

وقوله يمدحه من اخرى
اخنسا ما قلب المتيم من صخر فيقوى على حمل الصبابة والهجر
رويدا ابعضني فيك اما جفونه تغرق واما قلبه فعلى الجمر
وماذا الذي يجدي وسالمه الردى عليك تلافي في هواك وما ندري
ويكسر لي اجفانها عند ضمها فتجبر في ذلك الضم والكسر

وقوله يمدح الامير مجد الدين اسمعيل بن اللمطي من قصيدة
لم انس ما قال وقد لمست يدي ما ذا لقينا منه اوما ذا لقي
خانت عواتب عجبي من اجلها فبكت لسهد موعي المتفرق
ولكم لها من خلوة لي حلوة لعتابها كرضا بها كم ملتقي

وقوله في حمام عمرها عماد الدين بن شيخ الشيوخ
حمام مولانا وسيدنا شيخ الشيوخ صفا له العمر
تمت محاسنه فليس به للعيب لا عين ولا اثر
تزهو السما بان حوت قمرا وبكل ناحية به قمر
قالوا انصفها فقلت مختصرا هي جنة وسراجها عمر

وقوله ارتجالا ليهنى اولاد الشيخ بليلة العيد
آل حمويه ما انفك من تهنئكم بشهر او بعيد

انا الدهر حقيقا عند كم والموالي لا اهنى بالعبيد

وقوله حين صادف الصاحب معين الدين بن الشيخ عند قبر الامام الشافعي

لله مولاى فضيلة ادركتها في خدمة المولى الوزير الناسيك
عند الامام الشافعي وجدته فظفرت عند الشافعي بمالك

وكتب الى صديق اهدى له كساء

مولاى عبدك وابو بحر بمودك والاحسان
فلذاك ارسل ما يليق من الهدية في الشتاء
انت الخليل حقيقة فجمعت شملك بالكساء

وقال لبعض الامراء وقد احسن الى اهله في غيبته ولم يمكنه الاجتماع به عند حضوره

يا من اياديه قبل رؤيته راشت جناحي وطوقت عنقي
ما امتنع العبد ان يزوركم لكبرياء فيه ولا حمق
لكن لفرط السماح عند كم البستني حلة من الفرق
ومن يرى السيل ثم يزحمه فاحكم عليه لسرعة الغرق

وقال ارتجالا في مرض القاضي الاشرف بن الفاضل

ليتني كنت فداء لفتى عبد الرحيم ذي المعالي والمعاني والاديم من الكريم
وليئن اضحى عليلا فاستمع قول عليم داره الروضة حسنا وهو فيها كالنسيم

وكتب الى من زاره فاحتجب عنه

لا غرو ان حجب الامير واوجهه بدر التمام
فالبدر من عاداته ان يختفي تحت الغمام
فليهنه ان كان قد زفت له الشمس المدام
وليبق محروس الدماج معا ومحروس النظام

وقال يشكر البهاء زهير

اقول بروا هلا ما برحت اكل خير
الا لا تذكروا هرما بجود فهرم باكرم من زهير

وكتب اليه يستهديه ورقا

انلست يا سيدي من الورق فابعث بدرج كعرض البيق

وارانى بالمداد مقترنا ثم حببا بالخدود والحدق

وكتب اليه في المعنى

ولم ارا عجب من كاتب بيشاح اخوانه في الورق
فارسل به ببياض الثغر على مثل سواد الحدق

وكتب صدر كتاب الى مختص الصالحي

اصدرتها والعوالي في الطراد في موقف فيه ينسى الوالد الولد
ومنا نسيتك والارواح سايلة على السيوف ونار الحرب تتقد

وكتب

ابا منها ملا المسامع حكمه تواني تخلى كالعذارى العرايس
شوارد من ادهان قوم سوارده اوانس ترزى بالحسان الاوانس
مهذبة جات لنا من مهذب تذل له كل القوافي الشوامس
تغر على من رامها غير ربها وبطغى فتغطى فيا ذا اللامس
سداسية لو قال لو في ما بسابع طها ابن سليمن الى بعد خامس
ولو ما منها حصن العريض وحابس لما ظفر الاحصن وحابس
وحاولت منها الراء والسين فاحمت على حامدي اقتدار وحابس
حميت حماها ثم اغلقت بابها وخصت منها كل بيت بفارس

وكتب اليه بعد ذلك من ابيات

اتاني من علاك بديع نظم لسمط الدر في حسن اتساق
بيوت سته شرفت علا على الست الجهات بلا اختلاق
ولو ان السلافة مازجتها حلت بعد المرارة في المذاق
ولو كانت حصورا وعوزا لافتتها ملازمة العناق

وقال يهني بتشريف

باب اصبح التشريف يشرف قدره يا من به كل الملابس تشرف
فالبيت تكسي لا لوقع مزية لكنها سنن ورسم يعرف

وقال

اري قلبي يطير اليك شوقا وما انا من لقاك ببعيد
كذاك العيش اكثر ما يراها حوايم حين تدنو للورود

وقال يا يوم عاشورا لقد هجت لي حزنا كم افرحت من ملحد
كل عليل الدهن ازيدته بمحكم الارسان لم ينفقد
يا ليت كالفتية مكحوله عيناه مخضوب بنان اليد
يا ابن رسول الله من سر يوملك فالويل له من غد

وقال قالوا الرشيدي على ما به من ابنه رتب للشد
فقلت من اعجب شي جري عزلك للسيف بالغمد

وقال لا شفيت دارا ولا اصلها ولا ابن فاضيها الوقاح البذي
ولا رعي الله له ذمة اعني شهاب الدين ذاك الذي

وقال
ودوله خاليه من كل فن وادب الفاعل راسها وهو كما تدري ذنب

وقال يا من تعصب للبا مو ظل بالكرما يعبث
بالله قل هل تعصب في الرجال هوي مخنث

وقال دخل الشيخ فلان في الدين عمره
وتعاطي الزهد جدا فكفانا الله شره

وقال انعبث وعرضه من زجاج عن زلل ان وجهه من حديد
وليس ينكر فعل قبيح اني من عند شيطان مريد

وقال في صباه يذكر الداوودي رئيس اليهود
اباء البيان وما دعا الي تعلك بالافاعي
سر في الوهاد وخل قوما سيرهم فوق اليفاع
لا يجلفون نباح ما للكلاب والسباع
فنشما ابن اخو جنتي فلا تبسطن يدي وباعي

وقال ما امتاك الفقيه من فرط زهد عكم يقضي به رمضان
هو شهر تغل فيه الشياطين ولا شك انه شيطان

وقال

وقال وليلة بسمنود شقيت بها لا بارك الله يوما في سمنود
باتت براغيثها تغدو على جسدي فلم تدع فيه عضوا غير مفصود

وقال ادفريت مع الحسني ابدا اشيا فذاك من شوم طبع فيه وقد
فارقته رفض العلا واهجر مودته هجرا ابدا ولا تشتغل
والمصطفي زالبه كل معجزة تعزي وعنه الهدى والصدق
لقد قال صلى الله عليه في ملاذ ما طاب وللشيطان ما

وكتب الي ابن القوصي ايها الصاحب المفضل على سحبا ديلا
لست بالمجنون حاشاك فلم ذا زرت ليلي

وقال اذا ما سقاني ريقه وهو باسم تذكرت ما بين العذيب وبارق
وتذكرني من قده ومدامعي مجر عوالينا ومجرى السوابق

وقال في كتاب كتبه الي اهله بالقاهرة
اذا فكرت في زمن اجتماعي بكم وذكرت حادثة الفراق
وتهددني
وضعت يدي على قلبي احترازا مخافة ان يطير من اشتياقي

وقال يا ساكني مصر اما عندكم من رحمة يحظي بها عاشق
لا تتهموني بهواغيركم كل الي غيركم طالق

وقال ما زلت مرتقبا طلوعك دايما والنجم ليس يمل ان يطلعا
حتي اتي عملك البشير فيا لها من سنة وبد الي بها سعي
فلوان في قلبي يدي او هبته لمبشري وحلفت ان لا يرجعا
هو في ركابك مذ رحلت ملازم فلئ الهنا بالكل وبه معا

وقال في الانس اصفر
اقبل يختال في غلايله والسكر باد على شمايله
وقد غدا ساحبا ذوايبه قوموا انظروا الظبي في حبايله
وماس في حلة معصفرة يا من راي الغصن في اصايله
اسله رحمة منهم في ما عنن رحمة لسايله

حدثنا العبثا قدورنا خبثنا

هوام

وقال في ملسوع

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم من عقرب الصدغ ام من حية الشعر
فقيل لا بل افاعي الارض قلت لهم من اين تزني افاعي الارض للقمر

وقال في صبي اسمه بدرون وكان صاحبا

٢ ابا حاجب الوالي فعلت بنا لحاظك ما لم تستطعه القواضب
نزفت على قلبي لانك حاجب كانت على عيني لانك حاجب

وقال فيه كما صبر بدرون عذاره كالورد يسعى فوقه الارقم
٢ فخده لا شك ديباجة وا حسن الديباج ما يرقم

وقال فيه

لله يا بدرون وجه حاز عنوان السعادة لا تخف نقصا ومحقا انت
بدر وزيادة وقال في نصرانيا

٢ من القبط علقته حوذرا حوى سحرا بابل في جفنه
تعنى نحو سعته راجيا حصول الثواب على ظنه
يقرب لكن الى مهجتي وقدس لكن على حسنه

وقال في ترجيح السمر

امشق البيض ولكن خاطري بالسمرا علق
٢ ان في البيض لمعنى غير ان السمرا رشق وظلال الايك عندي من هجير الشمس اوفق
ولهذا العنبر والمسك من الكافور اعبق وكذا التبر من الفضة عند الناس انفق
واذا انصفت فالانصاف بالعاقل اليق فبديع الحسن يهوى كيف ما كان ويعشق

وقال في تفضيل البيض

اسمح نهي يا من فيه للعشق بقية لا تحب البيض الا من فيه تقية
والتي حاربها المختار بيضاء نقية

قال يتغزل في بدوي

علقته من آل يعرب لحظه امضى وافتك من لسان عربه
اسكنته في المحشا من اضلعي شوقا لبارق ثغره وعذيبه

يا غايتي ذات الفتور بعينه حلوه لي انا قد رضيت بغيبه
لدن وما مر النسيم بعطفه ارج وما عبق العبير بعيبه

وقال فيه ايضا

٢ بات في اثنا صدري غصن سط سدر
بدوي نازل من شعره في بيت شعر
حامل غدا وعوزا منه في ردف وخصر ما رنا واهتز الا كان في بيض وسمر
وتعانقنا فما قولك في ماء وخمر وتعاتبنا فقل ما شئت من عنج وسحر
ثم لما ادبر الليل وجاء الفجر يجري قال اياك رقيبي لك يدري قلت يدري

وقال

قلبي عليك ارق من شعري اعد ته منك تحاقه الخصر
٢ ان لا ترق لعاشق دنف حي الصبابة ميت الهجر
ما كنت اعلم قبل مقلته ان الجفون معادن السحر
يا بدر ان انامت فيك هوى لي اسوة الشهدا في بدر

وقال

بابي غزال تايه متصلف لانت معاطفه ولا يتعطف
٢ حلو الشمايل والثنى واللما من يجتني من يرتشف
شاكي السلاح وما تكلف حمله اللحظ سيف والقوام مثقف
هجر الكرى جفني وواصل جفنه يا قوم حتى النوم لي يستضعف
وسرى الى جسدي ضنا اجفانه لا ان ضنا جسدي ارق والطف
لما بدا للغانيات وقد بدا من حسنه ما لا يحد ويوصف
اشكو اليه وما عسى ان اشتكي هو بالذي القاه مني اعرف
ووحقه لم يبق في بقية ولقل ما يلق الكئيب المدنف
واذا سمعت بعاشق متعنف فاعلم باني العاشق المتعنف

وقال

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى صب على عرش الغرام قد استوى

تجري مدامعه ويخفق قلبه فترى العقيق على الحقيقة واللوا
وانا نذير العاشقين فمن يرد طول الحياة فلا يذوق الهوى
قالوا فيه سوى رشاقة قده وفتور عينيه وهل هو ني سوى

وقال

٣ بالله يا بانة الجرعا والعلم هل الاحبة اي موفون بالذمم
ام قد تغير ما قد كنت اعهده منهم وان كان ما بالعهد من قدم
وما نسيت ولا انسى لها خلسا حلت ومرت مرور الطيف في الحلم
ومجلسا طلعت من كل ناحية منه بدور دياجيها من اللمم
وراح يفتنني من بينهم صنم يا من راى مسلما يصبوا الى صنم
وخلوة سفت فيها نواظرنا وانما ظهرتها عفة الشيم
هذا هو الحب لا اثريه شبه استغفر الله ما يخلوا من اللمم
لما خلونا تعاقدنا يدا بيد على الوفا وتعاهدنا بما لقسم
وكيف يجحد وبعد ما شهدت له علا له خد ضرجت بدم
يا فارغ القلب قلبي منك في شغل يا نايم العين عيني فيك لم تنم

وقال

يا قلب جالس من تحبه وحنا عليك ورق قلبه
ارضى وزاد على الرضى محسن من اعراه ربه

وقال

٢ احبابنا ذاك الغرام بحاله وان لم يكن قد زاد شيا فما نقص
اقص عليكم من حديثي عجايبا فان شيتم اسمعتكم احسن القصص

وقال من ابيات

٢ في كل ستين حبه من شعره وبكل حد من عداد ارقم
من كل رام حاجباه قسيه وعلى القياس نصيلته اسهم

وقال

قالوا الشباب جنون والمشيب نهى فقلت والقول مني غير مردود

الحق

81

الحق قلتم ولكن ما يفيد كم مزية الحلم عند العادة الرود
فيا وقار مشيبتي لست من اربي ويا رعونة ايام الصبا عودي

وقال من ابيات

٢ اعلل طرفي عنك بالبدر طالعا وبالظبي وسنانا وبالغصن يانعا
افي كل يوم للتفرق واقف يرى عنده للعاشقين مصارعا
كان النوى شي حخول لا فديته الى والا يقتضيني وداعا
وقفت احلي الارض من دار ادمعي فجا العذاري يلتقطن المدامعا
يعزن على الليالي لانها بقية ما اودعن مني المسامعا
وما كان ذاك القرب الا الذي النوى فيا ليت ان الدهر اصبح مانعا

وقال من قصيده

٢ اضحى معنا وامسى والها قلقا وراح مصطحبا بالدمع مغتبقا
ان فاض سيل نقلا اجفانه درفت او لاح برق فقل قلب له خفقا
فيا طلوعي لقد اشعرتني لهبا ويا دموعي لقد انذرتني الغرقا
هذا حديثي عن يقيني وذا خبري بالله من كان سل يلبقل صدقا
استودع الله من ودعته يوما وقد لتشرب مني قلبه حنقا
وكم شرقت بدمعي عنده كرها من ليشرب الدمع معدورا اذا شرقا

وقال في ارمد

رقت كل عين عين مالك الشكوى وقبل عيون الناس عيني ومن يهوى
ويا رب محمل بالشفا لمقلة تغض عن الفحشا في السر والنجوى
وما الرمد العادي عليها بمسبغ اذاها ولكن قصده شرف الماوى
فهلا نهاه الحاجبان نظالما نهى الحاجب الجاني فهل قبل الرشوى
وكم ادري الذي مسه عينا لسايل الكل اخي فقصد لذلك الذي يجري
ومستترك الالفاظ في العين عبرة الى ان غدا يستمطر في الجدوى

وقال

اما وقد ود السمر غير الذوابل ولكنها ما ماس تحت الغلايل

وسود عيون لو لقيت بها العدى اتثنيتهم عنى بيض المناصل
لقد راعنى لما الكثيبة منزل غدا مقفرا من اهله غير اهل
وقفت به والدمع خار مسايلا فلم ار في اطلاله غير سايل

وقال ياساقى الراح ووجدى به اورث لونى صفرة زايده ٢
ارث لحالى في الهوى واسقنى من كل كاس جرعة واحده

وكتب الى الامير فخر الدين ابن الشيخ في يوم مطير ٢
لا تدع يومك هذا عاطلا بالله يذهب واد رفيه كوسا من مدام تتلهب
حيثما سفرا ما دام اد يم اليوم اشهب فلعين الكاس لا يعجب الا وهو مذهب
والهب العيش فقدا فلح من للعيش ينهب

وكتب اليه
ما ترى الروض وما احسنه من نبكى ورض بضحك ٢
فهي ارواح الندامى والتى من كل زق بسفك

وقال من ابيات
خذ واحذر لم من طرفها فهو ساحر تلبس بناح من دهته المحاجر
فان العيون السود وهى فواتر تنقل للسيوف البيض وهى بواتر
ولا تخدعوا من رقة من حديثها فان الحميا للعقول تخامر
من القاصرات الطرف غارت لحسنها ضرايرها والنيرات ضرايبر
بعيده ما بين المحلحل والطلا يرى الطرف عنها ينثني وهو حاسر
اذا ما انتمى لخال اخبار فرطها فيا طيب ما تملى عليه الضفا ير

وقال
لم انس ليلة زارنى والليل ممدود الجناح ٢
في ليلة قصرت فكان عشاوها يبد الصباح
لم التفت للقايه حتى تلفت للرواح
لو كنت حاضرنا رايت فنون خد في مزاح
ورايت سلطان الغرام اسير سلطان الملاح

خوفت فيه من الفضيحة ما الهوى لولا افتضاح
وسمى اللواحى عن هواه ولا كرامة اللواح

٢ وقال بنتم فصبرى بعد لم معوز وسلونى ليس اليهما سبيل
يا جفونى اين الكرى ويا فوادى اين صبرى الجميل

وقال
مذ فارقته لرها واعوزنى ان افارق عنفوان ٥
طرفى والكرى طرفا بغض ودمعى والحيا فرسا رهان

وقال من ابيات
حذار سيوف الهند من اعين الترك فما شهرت الا لتوذن بالفتك
ورب غزال بات منهم مضاجعى وقد عبقت منهم المضاجع بالمسك

وقال
٢ يا من لبست عليه اثواب الضنا صفرا مشهوره بحمر الادمعى
ادرك بقيه مهجة لو لم تذب شوقا اليك نفيتها عن اضلعى

وقال
٢ مذ فتلت الخلق ما ملك الملاح وليس عليك فيهم من جناح
بذابل وحسام لحظا اما اصبت من حمل السلاح

وقال
عانقته فسكرت من طيب الشذا غصن رطيب بالنسيم
مذا غتذى
نشوان ما شرب المدام وانما اضحى بخمر رضابه متنبذا
كتب الجمال على صفيحة خده يا حسنه لا باس ان يتعوذا
يا ناظرى اما وقد شاهدته والله لا رمد ايخاف ولا قذا
مهما اشتكت بجفنه وعذاره لم يلق الا عسجدا وزمردا
اضحى الجمال باسره في اسره فلا جل ذا ل على القلوب استحوذا
وانى العذول يلومنى فيه من بعد ما اخذ الغرام على فيه ماخذا

لا انثني لا ارعوي لا انثني عن حبه فليهذ فيه من هذا
اني ليعجبني تلافي في الهوى ويلذ لي ما قد لقيت من الاذا
والله لا خطر السلو بخاطري ما دمت في قيد الحياه ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان امت وجدا به وصبابة
يا حبذا

وقال من ابيات اوليها هز والقدود والهوى حواسم القنا

شبهته بالشمس قال ظلمتني يا عاشقي والله ظلما بينا
البدر بالبدر ينقص والكمال لطلعتي فلذاك قد اصبحت منه احسنا

وقال

بحقك حدث الاحباب عني وشاهدهم بما شاهدت مني
وقل لهم لقد حلف عني لموت جوى وحبي بالتمني
وكم اشكوا الى من ليس يرثي ولا يلوي على فرحي وحزني
عدو لي اسميه حبيبا اميل اليه وهو يميل عني
جفا وقلا واعراضا وصدا هوانا بالهوى لم ذا التجني

وقال من ابيات

خذوا قودي من اسير الكحل فيا عجبا الاسير قتل
وقولوا على اذا اختم طعن القدود وجرح المقل
وفي قمر ما بدا في الدجى وابصره البدر الا افل
وقد خجل البدر الشمس من حسنه الم تر فيها اصفرار الخجل
وقد عدل الحسن في خلقه على انه جار لما عدل
فعمم معاطفه بالنشاط وخص روادفه بالكسل
احن الى الغور من خصره واصبوا الى نجد ذاك الكفل
وجاد الزمان به ليلة وعما جرى بيننا لا تسل
فاخلت قامته بالعناق واذللت مرشفه بالقبل

83 وكم بت في غور خصر له واصبوا الى نجد ذاك الكفل
واذنت حين تجلى الصباح حي على خير هذا العمل
وقد علم الناس اني امرء احب الغزال واهوى الغزل
وها اثر المسك في راحتي وها في فمي فيه طعم العسل

وقال من اخرى

٢ انظرت ام فوقت سهما فلقد اصبت القلب لما
لا يا معذب مهجتي والله ما احرمت حرما
يا عاذلي واخو الصبابه لا يليت اصم اعمى
لو كنت بالبيا وقد زار الحبيب عجبت مما
وبدا الحيا بخده حتى خشيت عليه يدمى
ووددت من شغف ان اعطفه المشوق ضما
ولو استطعت جعلت من لثمي على شفتيه ختما
بل لو قدرت اكلته وشربته عضا ولثما
ولو انما عاطيته راحا يفوق سنا وشما
كانت نفسي كانما اودعت منها الكاس نجما

وقال

قال العواذل قد شاه عذار راحل من صده
فقلت وهم مهم فان الذي خلعت العذار على خده

وقال من ابيات

تعشقته حلو الشمايل والل ما فريد صفات الحسن اجيد اعيدا
رايت بخده بياضا وحمرة فقلت لي البشرى اجتماع تولدا

وقال

٣ لك العمر ما انت سلوتي ورقادي وبعينيك ما اشتت صبوتي وسهادي
وشنع اني قد سلوت لحاشر نعم صدقوا لكن سلوت فوادي

وقال من ابيات

وقال من ابيات

اما تخاف الله فمن يرى حبك توحيدا وايمانا
يا من حوى الرقة في خصره ارث لقلب فيك خزانا

وقال

من عجب الدنيا وما تنتهي عجايب الدنيا ولا تنقضي
تغاير الورد على خده فامتزج الاحمر بالابيض

وقال الا لا ارى غمرا ادري من احبه كان لم تضق الا به وجه الارض
وحلو اللما غض الشباب فشبيه فيا من راي حلوا اقال له غض

وقال دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى وقبلته في الجو لسعين او احدى
وابصرت في خديه ماء وخضرة فما املح المرعى وما اعذب الوردي

وقال

ولما جفاني من احب وخانني حفظت له الود الذي كان ضيعا
ولو شئت جازيت التجني بمثله ولكني ابقيت للصلح موضعا
وقد كان حسن العهد بيني وبينه اليا ولكني رعيت وما رعى
سعى بيننا الواشي ففرق بيننا لك الذنب يا من خانني لا لمن سعى

وقال في ضو البدر على البركة

انظر الى البركة مملوة والبدر في احشايها يلعب
كانها مراته فاغتدى لما راى صورته يطرب

وقال في النوفر

كانما النوفر الغض غب قطر السحاب
انامل العيد ضمت فيها بقايا خطاب

وقال في النرجس

كانما النرجس الذي وقد بانت تعذيه درها السحب
جواهر في رؤسها ذهب تحملها من زمرد قضب

وقال في ناعوره

84

ناعوره اضحت بالربى كافله لتربة عنها الغوادي غافله
كانها طالعة وافله وحوت قفر من ضوارها فله
فارقة طوارا وطورا حافله لها حنين لرعاء القافله

وقال في يوم مثلج

انظر ترى وجه البسيطة ابيضا لم يبد فيه شامة سوداء
كرم السحاب فعم بالثلج الثرى ان الكريم له اليد البيضاء

وقال ولنه في سيف

الاماني والمنايا بين حدي ومتني سقي الاعدا سكي وبروق العين حسني
فتامل هل ترى قط ترى اعجب مني لم يدق جفني غراري وغراري ملء جفني

وقال في فرس ادهم

ومشرف الهادي رحيب الصدر يمشي على مثل طوال السمر
ادهم يزري بالدجى والحبر ذي غرة قامت مقام البدر
فهو على ضو سناها يسري

وقال يستهدي قصب سكر من قاضي القضاه

نحن من ذاك في طرب ولها من ذا بها طرب
فعسى يهدي لنا قصبا فقديما اطرب القصب

وقال وقد اهدى من بعث وردا ونرجسا

بعث بنرجسة الى ووردة ففهمت ان لها حقيقة قصدها
لما تعذرت الزياره ارسلت بشبيه ناظرها الى وخدها

وقال في هدية التفاح

وتفاحة جات لنا هدية فيا حبذا المهدي ويا حبذا المهدى
وما ضره والغصن يشبه قده واهديه لو جا بتفاحة الخد

وقال مولاي قد ارسلت تفاحه اودعتها سرا وقبلتها
لا خلت خدك في لونه همت بها عجبا ونقطتها

ابن وداعه عز الدين ودبر فانك وامبر

بانك ولي الوزاره فلبس لبسه الناسك وجلس جلسه المتماسك شيخ به
العجب كانه بدوايب الجوزا ماسك ونفخ فيه الحمق وقال له اياك
ان تنطا من قنطا ام راسك وكان على هذا لا يدع ذي الفقرا ولا يظهر
عليه زي الوزرا مداوما على هذا غير مكاثر ولا يعد في لباس متكبر وهو لا يرى
السما الا بمؤخر طرفه ولا النجوم الا ما سقط من خروق كمه وفي هذا قال
السامري من ارجوزته وحكي انه كان يظهر التشيع ويبطل
اعتقاد النصيريه وكان عقله يملك فلتات لسانه فما ظهر عليه احد في اعتقاده الا
انه طال جلوسه يوما في مجلس فخدرت فيه رجله فما اراد القيام اتكا بيده
على الارض ليقوم ثم قال يا علي يا عظيم ثم قام وكان في المجلس رجل من العلما
المتكلمين فقال لهم نصيري والله تسمعها ابن وداعه ملا رصاحبه فقارد م
وجهه وانصرف ولم يتكلم ثم لم نسمع منه بعدها ابدا قلت
ولعل هذا كان الجامع وبين احد شيوخنا في الادب كاتبه علي بن المظفر الكندي
فانه هو الذي جذب بضبعه واسدي اليه بمعروفه وجذبه اليه واستكتبه
بين يديه ولزمه حتى فرق بينهما الموت المشتت وقطع حبال صحبتهما الدهر
المبتت وفي صحبتهما الطويله يقول الكندي

ولقد صحبت الصاحب ابن وداعه دهرا طويلا
فرايت منه ما راى انس وقد صحب الرسولا

وحكى لي والدي رحمه الله قال كان الصاحب بن وداعه يلازم الصلوات
المكتوبات في الجامع الاموي وكانت دار جوار الدار الفاضليه بحضره باب
الجامع وكان يصرف في كل يوم دينارا ابدرا هم حفافا يتصدق بها في مرورة الى الجامع
اذا ذهب الى الصلاه فان عاقه عايق عن الصلاه في الجامع يوما من الايام تصدق في اليوم
الثاني عنه وقضى النايب لا يخل بهذا ابدا وحكى ان الملك الظاهر لما ولاه
الوزاره وقع بينه وبين نايب الشام جمال الدين النجيبي فكان يهينه ويسمعه
كلاما مما يتعلق بالرفض فكتب ابن وداعه الى السلطان يطلب منه مسدا تركيا
وظن انه يكون في بصريفه ويستريح من النجيبي فرتب له السلطان عز الدين بن الشقيري

فوقع

فوقع بينه وبين الشقيري وبقي يهينه ايضا ثم كاتب فيه الشقيري فجاء الامر
بمصادرته فصودر وعصره الشقيري وضربه وعلقه في قاعه الشد وباع
املاكه التي وقفها وحمل شيا كثيرا ثم حمل الى مصر فمرض ودخل القاهره
مثقلا ثم مات في خرسنة سبت وستين وستمايه ولم يعقب وله اوقاف
ومسجد وتربة بقاسيون وكان المحدث علا الدين الكندي صاحب التذكره
ويكتب بين يديه قلت اليه ومنهم
الصاحب محيي الدين محمد بن يعقوب بن ابرهيم الاسدي الحلبي الحنفي عرف بابن النحاس
نشا على القراه والطلب حتى اشتهر على القضاه بحلب وهو ممن يعد في بيوتها ويزداد
به في ثبوتها وكان من اعلامها الشوامخ وندماء اهل افرادها الرواسخ ثم اتى
دمشق واقام بها متدبرا وفي رتبها معتبرا حتى جرمطار في الوزاره ووقع له
عن الملوك بالاشاره وحل في الدست محل الصدر من الجوانح والبدر من الليالي الكوالح
وسلك من الامانه سبيلا جهلت بعد مناسمها واضحى به عينا وقد كان مثى
رمالها شو ولد في شوال سنه اربع عشرة وستمايه بحلب وتفقه بها وسمع
الحديث بعده بلاد ودخل بغداد سنة اثنتين واربعين وجالس بها العلما وناظر
وتكلم وبان فضله وكان صدرا معظما جليلا وجيها اماما فقيها عارفا بالمذهب
وغوامضه علامه في فنون المتفاضل متبحرا في علم الخلاف والمناظره موصوفا بالانصاف
في البحث وولي قضا الحنفيه بحلب في الدوله الظاهريه وكان صدر اصحاب ابي حنيفه
في زمانه وانتهت رياسه المذهب بدمشق ودرس بدمشق بالمدرسه الريحانيه والظاهريه
وكان يحب الحديث والسنه ويعظم السلف وكان يقول انا على مذهب ابي حنيفه في الفروع
وعلى المذهب الاحمدي في الاصول اعني احمد بن حنبل وحج سنه خمس واربعين مع بني عمه
واستوطن دمشق وحج ثانيه سنة خمس وسبعين من دمشق فولي امير الحاج فساس
الركب احسن سياسه وحمدت امرته وولي الوزاره في عاشر جمادي الاولى سنة اربع
وثمانين وكتب له تقليد عن المنصور قلاوون من انشا تاج الدين ابن الاثير فمنه
الحمد لله على كل نعمة يوليها ورتبة يعليها وسياده يربيها وسعاده يربيها على دست
الوزاره بمحيي علوم الدين في الدنيا ومحييها ومنه وبعد فان الرتب شرفها بمتوليها
ومتوليها ثزيد والعقود ما امتازت على السلوك الا بواسطة حسن بها انتظام كل فريد

والمملكه مالم يوازرها د وار رشد يد وراى سعيد وقلم يقلم ظفر
الملك ويقوم بعبار المهم لما انخرمت الدوله وكانت مضطربه لولا
اسنا وها على الاقلام والاسل وكان اولى من عول على يد بيض واهتدى
فى الامور بنوره وتحاسدت الوزاره والاحكام عليه وكان لهما
منه دفع المكانه وله منهما تنوع المكان الى ان نالت الوزاره
منها مسره هو الحدحق بفضل العين احقها ولذلك رسم اعلاه الله
الامر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى لا زالت اوامره
مشرفه ومراسيمه فى الاقاليم با قاليم العلا مصرفه ان يفوض اليه الوزاره
الشريفه بالشام المحروس على قاعدة الوزاره فى النواهى والاوامر
والموارد والمصادر الى الاموال وتقريرها والمصالح وتدبيرها
والخيرات وتاثيرها والبركات وتثميرها والاستخدام وصرفها والحزم
الذى يطرف عن الاموال عن الخونه كل طرف وليف كل اف فليقبل
على ما استقبله به من هذا الامر العظيم وليبرز فى هذا الحلم الذى
حلم فيه منزله قدره التحكم والتحكيم ووصايا الاموال فلا يوصى بها
من اذا رضى قال انى حفيظ عليم وارباب الاقلام فلا نعرف بهم
وهو العارف بكل قلم واقليم ٥ توفى بالمزه سلخ سنة خمس
وتسعين وستمايه وصلى عليه عرة المحرم سنة ست وتسعين ودفن
بتربة له هناك وحضر نايب السلطنه والقضاه واعيان الناس والفقها
وخلق كثير رحمه الله تعالى ومنهم ٥
التقى توبة بن على وجدت الدول منه توبة نصوحا واونة
صادفت منه كافيا نصيحا وفى من دنيها العاليه صفيحا وخلق سمحا
كرم لم يزل بها صفوحا افضل بالمنصور قلاوون زمان الامره وخدمه
خدمة انفق بها فى عنفوان الشباب عمره وكان يشترى ما الرفيق
ما اضحت ماليكه ملوكا وافاده سلوكا فلما وطى الملك المنصور
بقدميه السرير ورضى لديه السفير وكان التقى توبة قد صار رتعا

للسلطان ومسعا لتجار الترك تنتد فوق فى بعد الاقطار الى غيرها مما
كان يساعده من انواع المتاع للخزانه العاليه وبملاصدرها بما
الوراى ومادون ماله لا رتاع مما آل به حالى هذا الحال الى التمتع
بطموحها والتنزه فى نظرها فلما انبسطت يد السلطان بعد سنقر الاشقر
بالشام حين نزل عن سلطانها ويد عن استبطانها ونسلم الكرك
من استبطانها بقيه البيت الظاهرى وصارت عقيلتها فى ملكه
وفريدتها فى سلكه ولم يبق الا ان يسيل من الحصص اولها وقبض
على اهل السابقه الاه القى اليه مقاليد الوزاره بدمشق وساير بلاد
الشام وحكمه فيها حكما اليه مقاليد الولايه وكان لا يراف
براجعها ولا يفرطها قرار الاحث يضاجعها وكان واسع النفس
وافر الكرم كثير التجمل مليح الهيبة حسن الشكل اصله من بلاد
تبريز وقدم البلاد كثيرا وتوصل حتى بلغ هذا المبلغ فولى الوزاره
فى العشرين من ربيع الاول سنة خمس وثمانين وستمايه وكتب عن
المنصور قلاوون تقليد مورخ بالتاريخ المذكور وكتب له المجلس السا بـ
الصاحبى الوزيرى التقوى وهو اول من كتب له بالبارى من وزرا الشام
والنقليد من انشاء محى الدين بن عبد الظاهر واوله
الحمد لله مصطفى من كان تقيا ومعلى درجه من رفع الى هضب العليا فا حسن
لها رقيا الذى يقبل التوبه عن عباده ويقبل على من قربه جميل ارتياده
ومنه خرج الامر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى
ان يفوض اليه الوزاره الشريفه المنيفه بدمشق المحروسه وما معها
من الممالك الشاميه وما معها من مضافات واعمال وولايات دواوين
وعمال وما بها وطهما من وجوه معالم ومتحصلات اموال والتحكم فى
العزل والتوليه والتعطيل والتحليه فى العقد والحل قال كل منهم دق
ارحل وفى الامضاء والوقف وفى المنع والتصريف وفى المصالح جميعها
واصولها وفروعها على حكم ما استقرت الحال عليه لمن كان قبله مبا شهرا

وفي هذا المنصب قبل موارد رتبه موارد زا وقد علم ان المجلس العالي الاميري
الحسامي لاجين المنصوري كفيل السلطنه المعظمه بالممالك الشاميه
حرس الله عزايمه هو من الاعمال الساميه وممالكها وثغورها وروح
جسدها ونظير يدها وهو القايم وهو القايم مقاما منافي تدبير امورها
وسداد ثغورها فليستصحب معه من الاتفاق ما يشكر على استصحابه
ولا يحاول الامعه ولا يحاول الابه فلبت وكتب له في الايام
المنصوريه الحساميه لاجين تقليد من انشا شيخنا القاضي شهاب
الدين رحمه الله قسمه وبعد فان اولى من دعي لتجديد تقليده بما
يحسد الدراري مطالع سعوده والدر جامع عقوده ونعرف
بالطاعه ولما كان المجلس العالي الصاحبي الوزيري وبقية
الالقاب ما برح يثمر الاموال من معادنها عبرته ونظهر المصالح
من مكامنها بما جبله الله عليه من فطنته فطرته وبصونها باشفاقه
وعمرها بحسن الضبط من صص المال وايفاقها فمن اراوتنا
الشريفه ان نجعل احضاره الي ابوابنا الشريفه مقرونا ببلوغ المارب
وادراك المطالب وتجديد السعود التي هي اجمل ما وفد عليه الوافد
منقلبا به الى اهله اللاتب فلعل هذه الرتب امنت بمحله من التعطل
وعل هذه المنصبه التي لا تثبت على المحافظه عليها الا بطل وهو دال
البطل وكان فيه ستر على الكتاب وارباب الديوان يعطيهم بدل الاقطاع
وقد بدت له ما بهم ويعفوا عن زلا بهم وكان فيه اقدام على الدوله المنصوريه
لسابق خدمته ولان اكثر الامرا مشتراه للملك المنصور حتى ورطه عرض مملوكا
على العادل كتبغا حين قدم دمشق وهو سلطان وكان في رقبته حسك
طوق فطلب العادل شيئا كان قد طلع فيه مثله حين كان في جمله المماليك
فقال له هذا يخشى منه فقال له لا هذا ما هو مثل الذي كان في رقبتك
فضربه على اكتافه وعزله وولى شهاب الدين الحنفي عوضه وكان الحنفي قبله
بدمشق وله عليه حقوق خدمه الا انه وله صادف شيارا ودعه لانه

اعصارا

87 اعصارا فان العادل لو لبث الا رجعا عاد من دمشق الى بد عرش ثم شرع
ولم من سرير ملكه العرش فاتى دمشق طريدا واقام بالقلعه والحنفي
ينفذ الامور ويظن ان الدايره له تدور وكان حساب الدهر غير حسابه وثب
الزمان بيده من اسبابه وخلع العادل واتى التقي توبه لا يحمد الا القبض
على الحنفي لولا ان علاء الدين علي بن معبد هربه وخلصه من يده وقد اعلق به
م مخلبه ثم باشر التقي توبه الوزاره من غير وصول تقليد له ولا مرسوم
له بالمباشره وعلم وسدد الامور ومشاها وكان يعلم علامة الشاد
عد الكل غلطه باقلام مختلفه وبدبير امور المملكه حتى استقرت قوا
الملك المنصور لاجين وبعث اليه بالتقليد والخلعه واستمر على اكمل
ما كان من الرفعه ومنهم نجم
الدين البصراوي بيت خرج منه جمله من الكبرا ودرج منه جمله
من القضاه والوزرا وسمت نفوس اواخرهم الى ان عدو من الامرا
وردوا رداء الجلاله في الدوله الغرا مطلعهم مدينه بصرى
صدورا في مدارسها وبدورا في مجالسها وارباب الوظايف بها جميعا
واصحاب العوارف الذين طال ما احسنوا صنيعا ولما حل الركاب
الاولي الناصري بالكرك حيث صرف عما كان عزم عليه من الحج ووجه
ركابه وفاض على ما جاورها عما مه بانسكابه الديه معرفه سابقه
نا وخدمه بقرب فيها بكل سابقه وكان من قصاد الخيل يرسلها الى
على مقاصد اعوانا ثم رام جهته واخوته في خفيه من المظفر بيبرس
ونايبه بالشام ارسل الافرم وطافوا بالكعبه طواف من حج واحرم
حتى ثم عادوا واتخذهم له بطانه من دون كل رداوالسن تبلغ عنه
صوت كل وبعث منهم الى اهل طاعته لنا كيد ما في اعناقهم من ايمان
بيعته فحطوا كل خطر وتخللوا كل صعب حتى عادوا بالوطر فلما رجع الحق
الى نصابه وعاد سرير الملك الى عاده اصحابه صارت هذه البيت بهم
سوقا واسمال حزهم سقوفا وفوض اليه بالشام اسرار الوزاره حين استقال
ونقل الى امره بقي عليها حتى مات بلا انتقال وكان زكريا رهونا

عالي الهمة بعيد العزمة صحب العرب واهل البادية وتخلق
باخلاقهم الكرام وسخا باهم في حب ذاتي الخيل والابل وانتخاب
الهجان المحمودة واشترى صوافن الخيل علائل المال واستولد منها
احاسن الجياد وجعل عليه رسما يفوده الى الابواب السلطانية
في كل وولي اكابر الوظائف بدمشق الحسبة ونظر الخزانة ثم
الوزارة كما تقدم ثم قلق لكلفة الملازمة والمباشرة بالنفس
والداب في التحصيل والانفاق وضاق عطفه بهذا ومثله وثقلت عليه
وطأته فاستعفى الخوندار المنصوري وكان اذ ذاك في نيابة
الشام وطلب دستورا من السلطان فاعطي فتوجه يفوده الى
الحضرة وسأل السلطان في الاعفا واخرج خطا كان السلطان
كتب له بالكرك مضمونه الوعد بالامرة فاعطي امرة عشرة كبير
يعوم بالطبلخاناه ثم نقل عن الاقطاع الى غيره ثم اعيد وجرت له
امور من حسد الامرا الترك له على كبر الاقطاع وكثرة تحصله
وكان يميل الى الشراب مغرى بحب الغلمان ولم يزل متنقلا ما بين دمشق
وبصرى وجهات اقطاعه وما قرب من البوادي حتى حان اجله

ومنهم الصاحب عز الدين ابو يعلى حمزة بن اسعد بن
المظفر بن التميمي بن القلانسي من بيت الرياسة القديمة والسياسة
العوسمة والاصالة في تميم والجلالة من منبت النسب الصميم كان
اباوه بعد بني الصوفي روسا دمشق وكبرا اهلها في دمشق ولابن
القيسراني الشاعر في بعضهم مدايح [illegible] معري وهي في مواضع سكنهم
وموطا موطنهم وكانت الملوك بدمشق اذا احتاجوا في حروب الفرنج
وامانهم واخذ ما لا بد منه لدفع ضررهم ومداراتهم طلبت رئيس البلد واستعانت
لسعاته ونزاهته وبث دعاته فوظف هو الطلب على قدر ما يسعه الاموال
ويقتضيه الاحوال وكان لا يزال من الايام السورية في هذا البيت بغيته من بلل الاغنا
وسادته من بلل الوطاه وولي منهم تجدد لهذا الوزير للافضل كتابة الانشا

وزاره

88

وزارة لم تطل له باع الرشا لبعضهم كتاب تاريخ الا انه كثير على مثله ممن
لم يجعل الطلب ديدنه والعلم معدنه وكان جلة اجلا هذا البيت يرجعون
الى عقاراتهم ولا يعدمون الملوك الا المداراة بهم حتى كان والد هذا
الوزير مويد الدين اسعد بن المظفر وكان من اهل الغنا وممن لا
يعد باحد من الامنا فاقامه الظاهر بيبرس لوكالة بيتها فوليها
على كره اعصته سناها واشرفه بما يخرج من كوسها المم خوف
عقباها وحكي من امانته ان رجلا عجميا قدم للحج فتفصل معه
مبلغ الف دينار رغبنا فسمع بامانته فاتى اليه والذهب معه رساله
ان يستودعه فقال ضعه في ذلك المكان واشار الى مكان من
الرواشن المطيلة على داره فطلع العجمي اليه ووضع فيه المال ثم نزل
الحج ولم يقدر له العود الى سنين فلما اتاها اتى مويد الدين في طلب الوديعة
وكان قد انسيها مويد الدين فقال له اي وديعة لك عندي فقال له
يا سيدي ارجع الى الله من قريب فغضب مويد الدين وقال له الى تقول
هذا ان كنت صادقا فذكرني بشي اتذكره فقص عليه العجمي القصة حتى
قال له وانا وضعتها بيدي في روشن في دارك صفته كذا فقال له
مويد الدين يا اخي البشر ان كنت صادقا فمالك مكانه فاني هنالك اضع
الامانات فاصعد الى الروشن فخذ مالك فصعد الى الروشن فوجد
ماله بعينه وقد علاه الغبار لم يلمس منذ وضع هناك الى يومه ذاك
فاخذ الذهب وانصرف قلت وتحكى عنه من هذا وامثاله اشيا
ليس هذا موضعها وانما جات هنا عرضا فاما ابنه هذا الوزير فكان صدر
وقته وسرا لاكابر ما في سحبه قدما الملوك والامرا بوداده واستغرق اوقاتهم
باستزاداته واستعد الجد في استلابه صفاتهم حتى حطم الدروس وهم
الروس وصار لا يقف قرن في طريقه الا نحي ولا يكتب بارايه اسم الا محي
وكان لا يقدر على تجوع صبره ولا يثبت جلده لخوايره يستزيد [illegible] بليل

ونطل فشا عمه بوبل ونوكل للسلطان بالشام في خاص ماله وسلك
به سلالا ماله ثم عينه السلطان للوزاره فوليها وهو كان قد شمر
الكره عن سه واعرق التحشم لمستقبها حينه وكتب له نظر ما كتب
للنايب الجناب العالي وقد روهو بها لايبالي وباشرها وهو لها غير مريد
ووليها وكان يود لو ان بينه وبينها جبالا من حديد وكان الملك المنصور
قد صادره على مال اخذه منه فيمن صادره من الناس طاد اثنا ايام
المنصور لاجين وكان له به سابق معرفه توجه اليه بهدايا من ثمار
الشام والطاف فاقبل عليه واحسن اليه وكان يحبس لدمشق وملك
انى منها لما تقدم من نبات فيها وتعرف اهلها فعوضه من الاملاك
المخلفه عن المنصور قلاوون بعضا رعما كان اخذ منه واستمر له مكاتيب
شرعيه تثبت له واتفقت فلما ولي كراي المنصوري بالشام النيابه اغتر
سخن صدره وشح خلقه وتحل له الذنوب واظهر منه خفي العيوب
وحصل هذه الاملاك سببا تعلق به عليه ونوصل منه الى مصر بنه
وغير عليه خاطر السلطان وكدر عليه موارد الاحسان واجج
عليه النيران ونبه له كان الحقد حتى امر به فحدث منه عنان الوزاره
وامسكه واعتقله في مكان ضيق عليه فيه الخناق وقامت رجال
كارقد مالامد ورهم احقادا وشحذ جوانحهم نار البغضا له ايقادا
تواجهوه بالبهتان واستنزلوه ليقطع وحوله حضر بان وعرضوا
له قولا ما قونا ونبشوا اما كان له من الستر مدفونا واراد كراي بنفسه
ولكن الله سلمه ونجاه واخذ من ظلمه بينما كان في تلك الضايقه التي التفت
عليه حلقاتها والشده التي رقت له قارصتها اذ ورد امر السلطان
بامساك كراي واعتقاله وربطه في اوثق من اعتقاله وادنت ضايقته
ودنت عاشقته من الاسلاح ونقل من المكان سدت عليه فيه منافسه
وسلط عليه فيه منافسه وترك بدار الحديث الاشرفيه حيث مشارق
الانوار اللامعه والانوار الهامعه والسنه الشريفه النبويه تتضح سبلها

وبطل

وبطل منها ونفس في مقامه بها عنه وثيق الخناق وشديد الحبل الملتف
بالاعناق ثم لم يلبث ان وصل امر الاشرف نايبا واتاه بالفرج مبشرا
وعم اطلاقه بالفرح اهل بلده فلم يبق منهم الا من بكى بشره ثم قصد
باب السلطان فوجد من عفو السلطان واسعاف الامير الكبير المجد ث
ابي سعيد سنجر الجاولي وكريم الدين وكيل السلطان ما امن روعته
وبرد لوعته وامضى السلطان له ذلك التفويض واعاده الى الوكاله
على ما كان عليه قبل الوزاره فاقام عليه مده ثم عزل عنها واجري
عليه راتب سلطاني دام عليه الى ان مات ووجد من السعاده الوافره
وحصل من النعم الظاهره ما كان محسودا عليه متطورا اليه ولقد
جمع بين وكاله السلطان ووكاله كافل الممالك وبيبرس الجا شنكير
راس البرجيه وكبير الامرا في وقت واحد ثم لما انقطع الملك الناصر
بالكرك وملك المظفر بيبرس استمر عز الدين حاجبا معا بين وكالتيهما ووكاله
سلار وطلبه الملك الناصر الى الكرك على انه يحاسبه وقصده ان يطيش
به الامور كان يعقدها عليه منها اخذ ذلك العقار منه في الايام اللاجينيه
وكان اورثه من ابيه واخيه الى غير ذلك فشفع له الافرم في كتب كتبها
على يده وجهز اليه فلم يسله لساه وخلع عليه واحسن اليه واعاده
مكرما على عادته ولم يزل في نفس السلطان منه لسبب هذا لا لقدر
العقار ولكن لما يرى ان عاميا اهتضمه في وقت واستضعفه واخذ
منه ملكه بيد القهر وعفا له عن هذا غير مره وكان خاطره لا يتنظف
له ولا يصفو له كدره حكى لي والدي رحمه الله قال كنا بين يدي السلطان
مره وفخر الدين محمد المعروف كاتب المماليك عنده فسالني السلطان عن
عز الدين فقلت له انه حي يرزق يذكر صدقات السلطان ويدعو له
فقال ذاك انسان يحسن اخذ منا ملكنا فقال له الفخر كانت
المماليك وكان زيدت على السلطان ذال الادلال ايه والله اخذ ملكنا
ومدابيله اوكاقال وكلنا نعرف هذا ونشهد به فقال السلطان لا انا تركته

له وكان والذي يتخوفها عليه دايمًا ويقول لا انزله يومًا بنية قلت
ولقد جرى مرة اخرى ذكره بحضوري وقال فيه نحو هذا الكلام
وقال الفخر نحوه ثم لما تضمنت المطالعة الوارده من الشام ذكر
وفاة عز الدين قال السلطان استراحت دمشق منه وكان عز الدين
من ذوي المروات والمواراه قايا بحقوق كل قادم يتقدم عليه ومريضا
بمرض وميتا يموت يتردد الى الناس على دبر مكانته ويمشي في حوايجه
بنفسه وحده ماشيا في المدينة على رجله يتردد الى دور القضاة والحكام
ويثبت كتبه الشرعية ويودي ما يتعين عليه من الشهادات هذا
على افراط شممه وإبا انفه وترفعه عن من فوقه فضلا عن النظراء
والاشباه كان يبعث الى الحجاج في كل سنة من يلقاهم الى معان وهم
قاربها بالحلوا والفاكهة ووقف املاكه وعقاره على بنيه وبعض معتقيه
واخذ منها جهات بر وكان من رجال الدهر نبلا وحشمة وسعة
باع وعلو همة ولد في وتوفي ودفن
بمزة تسيح قاسيون قرب الجهار كسته ○ **واما**
وزرا الغرب فنقول قد سالت الشيخ العلامه ركن الدين ابا عبد الله
محمد بن القوبع عن رتبة الوزير بالمغرب فقال ليست بطايل ولا
لصاحبها شي من الامر بل هو كالجاويش يخرج قدام السلطان يوم
الجمعة حقيقته دون السمعه ○ **فمنهم**
الوزير عيسى بن سعيد وزير لا وزر عليه ولا كبر لديه ولا فضل الا
لانا ربديه ضرب على السما مضارب المارب وسرق دكره في المشارق
وثوى في المغارب اخذ من السحاب عنان العنان وعرف من عرف ثباته
جنان الجنان ولا يعبر على منازل النجوم الا مارا ولا سحت ديمه على
المجره الا جارا وكلاه السعد في اقلامه وحمل السيوف خدم اقلامه وطالت
الرماح فقصبها اللداني وساعدها النصر والتابيد اللذان قال ابن
بسام كان فيمد دوله ابي عامر وحامل لوايها والمستقل باعبايها وملك

زماما

90

زماما اعادتها وابداها طلع في فلكها قبل دورانه ودل على ما في كتابها
دون عنوانه وساد حتى كان غروبه وطلوعه ومن اين انقض طيرانه
ووقوعه قال ابن مروان لم يكن له ماثره سلف ولا نعت تقدم خلا
انه كان يعرف بالحار من بني الحسن فاختلف الى الديوان وصحب المنصور
بن ابي عامر وقت حركته في دولة الحكم فبلغ به المنازل الجليلة ونجح
بعد هلاك ابن ابي عامر ثم تنكر له عبد الملك هو وولده وصنا بعه ولم
ينفذ توقيع الا بامره ووالى وجوها من اهل الدولة وصاهرهم ثم
صاهر آل ابي عامر ثم تنكر له عبد الملك بن المنصور بعد ابيه فنمي عليه
الى الغدر بالعامرية والانقلاب مع المروانية وراسل هشاما المويد واعد
رجالا للفتك بعبد الملك وكاد يتم له الامر فوشي به احد رجاله فاهتم
عبد الملك بمبادرته واستدعاه الى مجلس الشراب وهو لا يفطن
لشعوره فاتاه ثم غايته ثم صب عليه سيفه وشاركه اصحابه
في قتله حتى برد وحز راسه وعلقه على باب الزاهرة وقبض على
جميع موجوده وسجن ابناءه وعظم الناس قتل عيسى لجلالة قدره
وغلبته على صاحبه وقال فيه صاعد اللغوي

قلت هامته في الجو ناطقه تحدث الناس من اياته عبرا
مكتوبة الوجه بالهندي يقراه من ليس يقرا مكتوبا ولا سطرا

ومنهم الوزير ابو جعفر احمد بن عباس رجل
رجل افرط في الشح وافرغ جهده في القبح لو كان بيده البحر لا كدرا دواس
على منبع الماء لما انحدرا وصافح الغمام الممطر لحلاه جهاما او قابل الصباح المسفر
لاعاده ظلاما لو قدر على الفنا لسده على خيط السحاب لشده او مر بالروض
لاصبح حممًا او لامس المسك لعاد دما لو نفخ في الهوا لما نفخ او امسك بحجر
الزناد لما قدح لو كان في عصر لما دار لما ضرب به المثل في اللوم او سكن في المدن
العوام لصاحبه على ادجا بها اليوم اغل من رب كلب واكز من باب صب اشح
من باب التحبس واضن من الحمدي بالملا المسمومه لم يبن لا يبخ كفه ولو نعب

بمسمار ولا يجري البخل معه في مضمار قال ابن بسام كان ابو جعفر
هذا تبذ الناس اهل وقته في اربعة اشيا المال والبخل والعجب والحجابه
قال وقد ذكر عنه لو ان ابا عمرو راه لما ضرب في البخل مثلا ولا ذكر معه
في رسالته رجلا له فيها اخبار تخرق سجف العاده وتضيق عن قبول
الزياده وقال حدثت عن الوزير بن الجد وكان امر مصدق قال سافرت
ايام الشبيبه في معسكر المظفر بن ابي عامر قبل ان يظهر وليشتهر
بصحبة السلطان ذكرى فرحلنا في بعض الايام وقد خلص الى الاحشا برد
الاجسام وسوى برس السما بين السما والاكام حتى كان الارض صفحة
حسام او صبح غمام وعث مطر قد غادر الكثبان وعوثا وصير
المسالك تلاعا ميثا فكبت بي فرسي وقد تاخرت عن صحبي وساخت رجله
في بعض ذلك الخبار فصرعت لجبيني وكانت عندي فروه قبل اعدها
لايام الشتا فتطهرت بها يوميذ على شده ما لقيت فيه على الجهد وخففه
من عاديه ذلك البرد فاصابه من الطين ما كاد يسلكني في عيابه
واقمت عامة يومي على اصلاح ما فسد من شاني وشانه فوردت العسكر
وقد زاحمت الليل وبث الوزير المذكور في طلبي الخيل فساعة راني قال
ما غالك واي شي حبسك الى الان فطفقت اقص عليه امري وهو يضحك
وكان اخر ما راجعني به اما عندك الا هذا الفتك ثم انتفخ واستدعى
قهرمان ثيابه وقال كم اودعت عيابي واودجت في اثنا ثيابي في
سفري هذا من الاثقال نحاه نعد دمها ما ظننتها تجتمع لاحد ولا عبط
بها ملك يد قال ابو محمد ولم اشك في تحصيل فروه وجر ذيل كسوه
فوالله ما زاد على ان عدها وامر القهرمان فردها ثم قال يا ابا محمد هذه
ثياب سفري ومتهنتي وكيف لو رايت ثياب المدينه وملابس
الزينه وقال ابن بسام وقد ذكر عجبه والعجب فلم يكن الفضل ابن
يحيى ولا معله عماره بن حمزه ولا عبد الله بن طبيان ولا مطعم بن خبير في
ذلك الا بعض قويسبه وعياله واطى عقبه وقال وقد ذكر كتابته والكتابه

انك

اربعته وعلى كل حال فله بها يد ونفس ممتد وله فيها يد وعد وقد ذكر
ابن حيان كيف غرب وطلع وكيف طار حتى وقع ومما قال فيه كان
جامعا للاداب الملوكيه مونثرا للدفاتر مغاليا بها بلغت عنده اربعماية الف
مجلد واما الدفاتر المخزومه فلم يوقف على عددها على كثرتها وكان مع ذلك
اغنى ملوك الاندلس ورث من ابيه خمسماية الف مثقال جعفريه
سوى الفضه والانيه والحليه واما الامتعه في المخازن والكسوه والطيب
والعرش فيحسب ذلك ثم حاط هو تلك النعمه بالبخل الشديد القبيح وحماها
بالامساك الصرح وانماها بالتكسب والترتيح حتى صارت اضعافا مضاعفه
ولم يوثق فيها لبر مزلف ولا لصنيعه مشكوره بل اسمن جسمه واهزل
عرضه واشبع بطنه واجاع ضيفه بطوف في مفاخره على خمسماية
من متمنات القيان وربما لم يكن حظ الحسنا منهن غير لذع العفه
ثم لا يعود الدهر اليها فاما لهم بعهم الخلوة للذي شهر به من قله الجماع
الى البخل لا يكفا له يحمل الناس عنه في ذلك احاديث شايعه من اخصر
من حكاه لي ابو الوليد بن زيدون عن ابي الباجي كاتب الرسايل قال
دعاني ابن عباس يوما مع خواص من اصحابه الى داره فسونا الى المجلس فاهنك
به مثال الحسن في فرشه وستوره وآلته وانيته قد صففت فيه فواكه
غربيه وانقال ملوكيه على طوله ما وقعت عيني قط على اكثر منها ولا اغرب
من اجناسها ولا انفس اطباقها وقد غطي جميعها بمناديل شرب تبين صورها
من تحتها فتضرب العيون والقلوب اليها فاخذ في ملاعبتها بالشطرنج وطمى
من ساير ما اراد هنا اليه ووصل اللعب بها نهاره كله وبعض ليلته لا
يرفع راسه يدعو لنا بطعام ولا غيره الى ان رجعنا والحنا عليه بالانصراف
فانصرفنا ولم نر زاه شيا مما كان اعدلنا وما عنده زالينا وما مسنا الا
من اسى على ما حرمه مما كان بين يديه وتعجبنا من تحته وبخله واستخفافه
بمن دعاه ومن نثر قوله وكان هذا البكر وقد انفقت الكلمه
في وضع راس الاماره على كاهله وتقلب الامايه في نصابه واعونا

في وضع راس الامارة على كاهله ونصب الامانة واعدنا
الحق الى اهله واصفقنا على بيعة رضى واتفاق وطاعة لعبد الله امير
المومنين المتايد بالله ايده الله وطهرنا المنابر من تلك الدعوة اسنعما
وهتفنا هتف البشاير وقامت بها الخطبا على المنابر واعلنت العنايه
على فلق الصبح واقلعت الظلمة عن وضح الشمس وازاح الله غصة الشر
وسحى الافك والزور بكيفكم والاباطيل ولما استوسق الامر على منهاجه
واستتم الامر على ادراجه هززنا بكم هزة التذكير ورمينا البكر
بالتيسير ومنه قولـــــــه قرات الرقعة الاريجة باولمسها اليد
العزيزة وكان الدهر لي يدا اغتنمت بالنجوم الزاهرة او الدهر
اعطاني ما اتانا من خطوبه الزاهرة وعاينت وساسمته وابصرت
ربطا مستها وطعت النفس المجازاة واروم المباراة فاذا اشاوي حصير
وباعي قصير وفي ملجم ولساني منحجر لاني تعاطيت مباراة اسد العرين
وهو حادر وموج البحر وهو زاخر **ومنهم**
الوزير ابو ~~جعفر~~ الرئيس ابو عبد الرحمن محمد طاهر مادني ابن خاقان
في تعريضه وتقريب ما بعد ابرقه ومنبضه وتقرير ما لا ياتي الليل
والنهار بمثله وتفريع الدر بما لا يقدر ان يجي في معارضة كان به
بديع البيان وخند لديه بنت الاحسان وارتسم وعنه افتنان الزمان وا بتسنم
واستقر الملك لديه استقرار الطرس في يديه واختال التاج بمفرقه
اختيال اليراع في مهرقه ومن نثره قولـــــه تستدعي اقلاما
قد عدمت بعد القطر القلم الا قلام رولها بتنخص الكلام وهي حلية
البيان وترجمة اللسان عليها تقرع شعاب الفكر وذكرها منزل
في محكم الذكر واريد ان يرد الي منها سبعة كالاقاليم حسنة
السليم عضبة الا ديروا لا تعهد الاحلها والطوال اناليها واذا استهدت
من انفاسها اتاك الشكر من طيب انفاسها ومنه قولـــــه
كتبت الجد قليل والذهن كليل بما حدث من عظيم الخرق على جميع الخلق

فليتقم على الذين نواد به فقد حليه سنامه وغاربه وانفض عليه مدا معه
وعبراته فقد فقد مشيه حمامه وغمراته وكان منيع الذرى بعيدا
ان يلحظ او يرى بحميه المناصل البتر والذوابل السمر والمسومة
الجرد ومشيخة كانهم من مشيخة ما انتموا فردا في العدد الا ان
يفجع ما شيخ مدابنه ولا يترك له سوى سواحله ومنه قولـــه
ووافاني لديك كتاب كريم كما طرز البدر النهر او كما بلل القطر
الزهر وطوقني طوق الحمامة والبسني ظل الغمامة واثبت لي فوق
النجم منزلة واراني الخطوب بانيه عني ومعتزله فوضعته على راسي اجلالا
ولثمت كل سطر احتفا واحتفالا وفتحته واخذت منه للسعادة
فالا ومنه قولـــه اطال الله بقاء الامير منيعا حرمه رفيعا علمه
ان الدين بثبته الدنيا من سابقة العليا فتحلب منه افاصيها وتكللت
به نواصيها الجادب بحول احرارها وجالت صمت به الى ادراك همم
عوال كانها الرماح عوال كانها الحلوق تنفح مسكا وتشرق
وان الوشي ما حنطه وربما ازري به وخطه والخبر يغنيه عن الخبر
وتعلمه بالعين لا بالاثر وقالـــــ الفتح في ذكره وكتب الى
المنصور بن ابي عامر يخبره بخبر السيل الذي سال بمرسيه فعفى اثارها
وهد اسوارها وتحمل ديارها وقد كان ورد كتابه مستفهما عن
خبره ومنتهى عبره وردني ايده الله كتابه الكريم مستفهما عما طار
به اليه الخبر عن السيل الحائل الذي عظم منه الضرر وقد كنت
احدا في الاعلام بحوادثه العظام فانه ادهل الاذهان وشغل
البيان اذ اقبل يملا السهل والجبل والجنوب كما اضطجعت العيون ن
كما هوت للنوم وهجعت فمن ماض قد استلبه وناج قد خربه
وفازع قد اثكله والبرق عن فواده والودق يشرب مراده والكل
قد استسلم القدر واعتصم بالله تعالى جل من ونرحتي اراه الله ابه
اعجازه وبراهينه وغيض الماء لحينه وطلع الصباح على معالم

قد غيرها ولم يبق الا خبرها واكام قد حدرها لا ينقضي منها عجب لنا
ولا يسمع بمثلها في الزمن الغابر فالحمد لله على وافي دفعه وكافي غوثه
ونفعه لا اله الا هو وقال لسان من ذكره احد من جمع الحديث الى
القديم وارتقى من رياسة الاقلام الى سياسة الاقاليم واتفق لبني طاهر الفتنة
المطغية رياسة كون مرسيه كان ابو عبد الرحمن يحيب عن نفسه بهذا
الافق كالصاحب ابن عباد بالمشرق وله رسايل تشهد بفضله وتدل
على نبله ولاسيما اذا هزل فانه يتقدم الجماعه ويستولي على ميدان
الجماعة الصناعة لما خبط ابو بكر بن عمار رسمات ملوك الاندلس
بعصاه وتردد بينهم بمكايده ودهاه وانما كان يطلب سلطانا ينشر في
في يده ملكه وملكا يخلع عليه عطفه جعل ابا عبد الرحمن بن طاهر مرتع
همته ووجه امه ولما القى المعتمد بن عباد الى ابن عمار بتيل وقلده تدبير
دولته وبلده بعثه على حرب بن طاهر بغا الفتنه وبغا على اسه فاقبله وجوه
الجهاد واخذ عليه بالثغور والاسداد حتى نشب في غصنه وانتزع سلطانه
من يده ولما نال عزمه وفعل وقام وزن امره واعتدل مديده وبسطها
وكفر نعمة ابن عباد وعظمها وابرى من حبه على برسته وقدها مفقد
الروسا وخاطب سلطانه مخاطبة الاكفاء مستظهرا على ذلك بحر الادبار
وافساد قلوب الرجال معتقدا ان الرياسة كاس يسر بها وملا جنون
يسبحها فقبض له يوميذ من عبد الرحمن رشيق عدو في ثياب صديق
كان في ذلك الاوان فخلص عبد الرحمن خلوص الثريا من يد الادبار والتقى
هو وابن عمار ببلنسية بعد ذلك وقد استوى الغالب والمغلوب وضعف
الطالب والمطلوب واورد من نثره قوله قد تصرفت في
شهوب الاسهاب وقد تعلقت باطناب الاطناب وسلكت من
البلاغة مسالك لا تجد حيات الاذهان فيها نشبان ولا ارواح
الافكار في جرها مهبا فان فرعت بابها مغلقا وقد باشرت بذعاك
زاد في انغلاقا وكنت كالودن مع عتيق لا برحوله لحافا لا نجى بدنا الجحي

سلوك

سلوك سبيل الاختصار والانجاز اذ الابد من الوقوع تحت الاقتصار
والاعجاز والله يبقيات لاحياء رسم الادب فاقامه اود لسان العرب
وقوله مثلي ومثلك مثل رجل من العرب استقرى عقيله دبرت
بل سليله وفضل وحسب فاجزلت قراه واكرمت مثواه فلما اطمان ن
المجلس واطمان الانس سعته الى بعض اوطارها فرانه تما تحت ازهارها
فجعل ينشد يا خيرات البدو والحضار ماذا ترين في فتى فزاري
اصبح يهوى حره معطار اياك اعني واسمعي يا جاري
وكذاك يمثل المخاطب في تشورني وانت المراد والبلد الابار ونيل سيدا
القول ويتاد وانت ما اعطر خلالك واكبر اهبتك الا زالت ايا ديك
كالاطراف ومعاليك معطرة الافاق وقوله وتوفى فلان
عفا الله عنه وكان العقبه الذي يرضى ببقائها ويحني الى اصولها
فاختلسته المنيه وفجعت به الدنيا الدنيه فمن شانها ان تذهب
بالافاضل وتذهب على الاماثل نقله الله الى رضوانه وحفه بغفرانه
واحسن العزاء عنه وان عز العوض منه واما عهدنا فقد درس
منا العهد بخطوب يتمنى معها الفقد بلا دلحقها التغيير واستولى
عليها التدمير واكلت الجوعة بنيها وتعطل الشرع والدين فيها فلا
صلاة تجمع ولا منبر رفع والكل في حوض الردى ناهل ولينح على
الاسلام نايح وليحيه من جانب القبر صايح وقوله وفيما
ذكرت فرع من الطنابيب وشرع للانابيب وهرج ليشتمل البعيد
والقريب ومحض ودي وصحيح عقدي وما لا تشاء فيه عندي
عملني لك على الانتصاح سحا مني ورغبة في الصباح وحسما
لاسباب الفتنة التي تعظم معها المحنة فان وافق قولي قبولا وكان على
احسن التاويل محمولا فذلك الذي عرضت وله تعرضت وان
كان ما سواه فهي امور بيد سترها الله ○ ○ ○

ومنهم ابو بكر محمد بن عمار لطايفه الله

من نسيم الكرى وارق من النسيم اذا سرى وقوله اذ الزجاجه
الطف مما تشعشعه واميل بالاعطاف مما تضعضعه مثل الطيف
اذا سرى قوله والنجم قد صرف العنان عن السرى بل هي
بل هي ابدع استعاده وابعد من الحبيب النازح استزاره اذا
انشدت له هي او سواها من بدايع فطرته التي سواها قلت
الصباح اهدى الينا كافوره واستر الليل عنبره والاكل
والاكل من وقت السحر والمسا فهم مكنون سرها وعنبر ودس
الفتح حلقان قال اتى عليه حين من الدهر ثم لبسني بعدا شرانا ونورا
فاصبح راقي منبر وسرير وملمح ماشا بطرف حبر ضرير واصطفاه
العدو فاتفق به السكون والبدو وطاعت له اللبانات والاقطار
تعني راس بنده مير وحليش مجلس الامير ثم راى ان يرمي على موليه
وعرى بنوليه تحصل في قبضه المعتمد قنيصا وعاد يعني خلاصه
لهما عويصا الى ان طرقه الحسام طروقا وردته الحمام فما استعذبه ذوقا
قتله بيده واتركه ليلا في ملحد قلت ـــــ وكان له
فما لم يرضع به القلايد من الفوايد قوله من بدره وان كان هذا
الفعل لنوبة نضحت وطريقه من التقوى وضحت فما يصنع مولاي
من تلك الالات ومن يستعطف على الصلاات وهيهات لقد مرد
شيطانه وضعفت اسطانه وانما هو الان يرجى ليجتنب ويجتنح
لكي يثبت وقال الفتح ودخل سرقسطه فلما راى عباوه اهلها
وتكاثف جهلها علق على راحه معاقرا وعطف بها على جبين
الوحشه عاقرا فبلغه المقتدر واسربه ونوا بالكلام عن به
فقال ـــــ

يقسمن على الراح ادمى شربها ... وقلنوا فتى لهو ولبس فتى حد

ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى سوائي ومن اعطى الكثير ولم يكد

فديتكم لم تعلموا السر كله حمدي فما بعد [illegible] حمدي

ثم قال

ثم قال ـــــ واهدى الناس في يوم عيد الى المعتمد واخلفوا وقصوا
الفرض وتنقلوا واقتصر هو على ثوب صوف عربي هداه وكتب معه

لما رايت الناس يختلفون في اهدا يومك جيتهم من بابه

فبعثت بغرى الشمس شبه اهابها وكسوت فين البحر ثوبا به

وقال ـــــ يتغزل في غلام رومي للموتمن بن هود كان لبس درعا وهو
رنوا ابن جبسه وتعطو لبسوسنه

واغيد من ظباء الروم عاط بسالفته من دمى فريد

قسا قلبا وسمى عليه درعا فباطنه وظاهره حديد

وقال ـــــ وشادن نوابن جهمه وتعطو لبسوسنه ويبسم عن اقاحي

تشير الى قرطايه وتعطي خلاخله الى بغم الوشاح

وقال ـــــ

يا عضد الدوله المصفى من جوهر النبل والذكاء

ماذا ترى في اصطباح يوم مذهب الصباح والمساء

لسرقه من ندى زمان لم يقتسم الرزق بالسواء

قال ـــــ الفتح واستدعى منه في احدى سفراته منزوي
بموضع ليس فيه غير القتاد وعل المرتاد فبعثه وقرن معه نقا حنين
ورمانتين وقال ـــــ

خذ ها مثل ما استهد بثمرها عروسا ما ترف الى اللثام

ودونكم بها ثدى فتاه اضفت اليهما خدى غلام

وقال ـــــ يصف مركانا عليا جلس به

ومعارج ادت الى حرج حبى من الانوار والقطر

فاظن الجو اذ مردت به فحطته مرقاه الى اسر

وحسن تنافرت الوجوه به حتى اشتريت بصفحه البدر

فصعد [illegible] بين خافقتي بسرين من فلك ومن وكبر

متخير سال الوقار على عطفيه من كبر ومن كبر

ملكت عنان الريح راحته فجيادها من تحته تجري

ومنهم ابن العطار بدر الافق الغربي ومالك

عنان اللسان العربي المسك نا بجه مراعه والسلك مامدن صواعه اعلنه الدولة اعتلاء النجاد واعتلقته اعتلاق النجاد ومن نثره الذي اقطعه سري الافاق و مجري النجوم بين الغروب والاشراق قوله جددت يا حرى هذه اكرمكم الله العهد بكم ووجدت الزمان ثمرات اديكم ومن حرم بغنيس عصام حرم الاعظام وفلان ممن كان يلوذ بالفقيه الاستاذ ويقتدي به واخذ عن ذا به ما اقتبس من انواره وانس بجوار ثم حرمته الاقدار وننات به الدار فاهل ان يشرق بمقلته وان يوثق بنجوم ليلته وما اجراه ان يصلح من اخراه واخلقه ان يتوب الى من طلقه فيذنبه ذهب عنه من قربك نصيبه وان الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه انف ما هو اختبار النفوس من الفوت واعلى قدرا من نفيس الياقوت والله سبحانه وتعالى يغفر لمن عصاه ويدني تحوله من اقصاه فيقضي البين ويلقي عصاه وينشد قول الاول

فالقت عصاه واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

ومنه قوله

لقد كان رايي في دوحي عنه ونايي ولو علقت لما انتقلت عن قطر هو من رباه عن عطر ولا تركت محلا هو بنجوم محلا ولا فارقت سيدي الاستاذ ولو سمحت لي دنياي بملك بغداد فلطالما اتاد في من رباع الحلم مالي جوهر واورد في من رائع الكلام صافي نهر ولرب مقال تميز عن اشكاله واعجز لاشكاله تحرم عن الدهن الصقيل معنى ذلك القيل حله وعلة فاضحك ثغره ولمعت ثناياه وهو كل شعشعت ثناياه والله سعته للعلم تعلي اعلامه وعلى ظلامه وكتب اليه ابو عبد الرحمن بن طاهر في احاطتك الوافيه ودرايتك الوافره اني بك راجح ميزان الدهر فيهل ما الفخر نري ارض الود عطورا عهد العهد وان البشرا يي تنا بعث

ان هلالك في الوزارة طلع بدرا وان نداك بها صار شفعا وكان وترا فقلت سافقا شغفها وزانه شترقه لاشرفها فلبهنها حلولها بغرفه بها وحمل بين يديها وانك مقلدها من خلالك فذا وتواما ومليسها من صفاتك طرزا واعلى ما حسن بعين ومتابة دين وطيب خدم ورسوخ ورع وعلم وادبا كالروض بنفحه الصبا وكرما كالغيث تمهر الربا ولقد تعدت للتهنيه فاقبلت على هوادبها واسالت على من حاضرها وباديها فان تقدمت فلفرط الطبه وان تعظمت فلعظم الطبه

ومنهم ذو الوزارتين ابو عامر بن الفرج

ابكه عبد الله ايامه وادامها وثبت في السعادة اقدامها فذلت له المصاعب وانقادت له بجملتها انقياد الطائع فوطد وله ملك قربه وامضى له عزيمه نولت الملك لربه ولم يزل ايامه ثابته الدوائب شامخه الانف على النوائب لا تكلم الدهر الا بمنحوا جبها ولا تنقد م الليالي ولا للغيام بواجبها الى اخر من ايام وضا جاه ما كان بنو فقد من امامه وطالت ما لبس الا ايام انواعا وعد المرام فواني فاخذ من الايام حفلا وصحب الزمان في اول شبيبته وكان طفلا فالـ ـبز لبسا من بيت ريا سته وعمر نفاسه ما سهم الامين بالامارة ونزدي بالوزاره فما ومض في افاق الدولة وفض بين الحيل والحول وما فضر ابو عامر هذا ادبا ونبلا ورا راهم دما تخاله وبلا الا امر بعي وذهبوا ولعي من الايام ما هبو فعاين منكرها وشرب عكرها فجال في الافاق واستدرا خلاف الارزاق واجال للرجا مداحا من الباب الاحقاق وقد اثبت له بعض رحاله قد ادبرت والخطوب قد ابرت فمن ذلك

الشمسرانه وقد اطل طلوعها فاطلع وبين يديك فجر صادق

وكان له ابن مكبود قد اعيا علاجه ولقيا للفساد بذلك مزاجه فدلك على خمر قديمه فلم تعلم لها الا عند فتى وتسمم فكتب اليه

ارسل بها مثل ودك ادق من ما خدك
شقيقة النفس فانضح بها حوى ابي وبدك له
وكنت معتذرا الى تخلفه من جار منذرا له
ما تخلفت عنك الا لعذر وذليلي في ذاك حرص عليك
هل ان الفراق من غير عذر راز اه يكون الا لبيك

ومنهم ابو محمد بن العسرانتي عليه ابن خاقان
بجهل ووصف له حال حمول كفنه ببرده وحله بسهل الا انه قال
ما معناه انه اميل على ربه واميل نطق بيد كتبه وقال وقد وصفه
في الادب باعلى الرتب وقد اثبت من نثره المسحب ونظمه المستحل
المستعذب ما تعاطيه المدامه ولا يدانيه قدامه قلت وهو كما
وصفه به الفتح وفوقه تناول بيده ذهب الشمس وفضة القمر
وصاغ الثريا خاتمه والهلال طوقه وسرى الى الافق والنجوم رواكد
وانشا زواهرا على شرف الكواكب واخذ فرايده قال الفتح فمن ذلك ما
راجعني به من رقعة كتبتها اليه مودعا ووصفت فيها النجوم عد بري
من بيان حر بيان وبنا ترجمان ومظاهر ابداع واحسان ما كفاه
ان اغنا من الجواهر اغنيا ما وجلاها في ابهى مطالعها نثرا ونظما ما حتى
حسر الكواكب والاهلال وجيها كتايب من هنا ومن هنالك وقدما
حمل الله البنا هدوا اعجزا دوا البداهه ولبس العمر كالنزل رويدك ابا
النصر فما سميت فتحا لتفتح علينا ابواب المعجزات ولا سميت سرورا
لترتقي علينا الى الانجم الزاهرات فتاتي بها قبيلا وتريد منا ان نسومها كما
سميتها قود وتذليلا وانا ذليلنا ان لبيا جل احكاما وبناسل ابدا اما من
اندرحني على العزن وتحكم حتى في انتقال الفرقدين وقص قوايد النسرين
ثم وردا لمجرى وقد تسلسلت عذرانها وتفتح في حافاتها اقحوانها وهنالك
اعتقد النجم التحير واحد المراد الكريم حتى اذا رفع قبابه ومد ما احب
اطنابه سبح الدهما وصم المضا وانحم على العذرار واقها وقصم على

96

على الجوزاء وتغلغل في تلك الرجا واستباح ما شاء ان يستبيحه من نجوم
السما ثم ما انتقد من نهرها بادلاطه حتى دعرها بحيادا فؤاده وعمرها بالمرا د
سلساله فله ثم خيل وتسيل لاجلها شعرى من سوق التوميز ذيل وتعلق برجل
السفينه سهيل هنالك سلم المسالم واسلم المعارض والمقاوم منها الاسد
وان كسر الدبره تكلما واعد الهلال مخلبا وانما انتهض تحت صاعته وتنبض
على شبا اسنته وما الشجاع وان هال مقتحما وتعرض الدواهي فما وقد
اطرق ما داه ولا وجد مساعا بابا ه وما الرامي وقد انعكس عن مرامه
ووجبت لبنه لسهامه والسماك وقد فطر دنيا وعود رولته بدابله
وتحاور لمفتى وصغوي ومنعى بفلوي فقد رجع ثليلا ودع لي دهني
عسى ان يتودع ثليلا ودع لي دهني عسى ان يتودع ثليلا قلت
ولما انشاء ذكرت به الفتح وما اجابه ابن العسم من هذا الجواب كتب
القاضي عياض الى ابن القاسم رقعة مضمونها قد وقفت اعزكما الله على
بدايعكما الغريبه ومنازعكما البعيده القريبه ورايت رقيكما من
الزهر الى الزهر وتعلقكما الى الدراري بعد الدرفا عنتما حمى النجوم
وفدعتما هامن ثواقب انها سكنا بالرجوم ونزلتما ها بعد الطلاقة ذات
رجوم فحللتما لبسيطها بغاره سعوطها ما فوت اطلب العوا هنالك افترست
الفوارس ولم يغن عن السماك الرامي وعودرت النثرة نثارا واغنى الاو ها
تقنعا منارا كان لكما بها ثاوا واسعرت الشعريان ذعرا وقطعت
احداهما واصغر الاخرى تاخرت بالحرم العيود وبدرت حملكما وسلما
بالعبور وحذرت الهاق ان تعود عن مثلها العيون فحلفت اخيها جهدها
في الاخفاه ان الثريا حين قربتم بعطفها بعطفها التقكم بيمينها فحدمتم بها لها
وبذلت للخضيب اناملها فعندها استسهل سبيل الفرار فابعد يتيمه الغرار
وولى الدبران مدبرا وذكر العاد فوقف متحيرا وعادت الفوايد لشامها
والفت الجوزا اللاما ان بنطاقها ونظامها فهلا سكنتما غوغا الدهما فقد
دعوتما حتى نجوم السما من حرجا في مجدكما ثليلا واجلا بعدكما

للناس الى البيان سبيلا فقد اخذ بها افاق المعالي والبدايع لكامراها والنجوم والنجوم والطوالع مكتب اليه هذا ابن القاسم رسالة منها هبت انت هبوب زيد القوارس وقربت تقرب الاله المداعيس يومض في رجوم وينقض للنجوم فاستخرجها ومن هنال ضحت القبايل وتحت المعالق فادعى لبشر وطلب السرطان وازدحمت بالبطين خلقا البطان وثاد بالثريا وعصفت بالدبران الدبور وهكذا استغرضت واستنهضت للخطب النازل نثرتنا متنحوا الجنوب فواها للمعاصم والجنوب

لم يبق غير طريد غير منقلب او موثوق في حال الفذ منكوب استخرجت السفينة من لجها وحالت الناقة لصود جها وغودرت العيوق عفق فوادها ودعرت النعايم تخاطب طرادها ولما مسحت تلك الافاق ما تحت فيها وسددت الوثاق عطفت ذات الشمال وابتعت اسباب السماك ملا مطلع الافق اليك باليمن واستدارت حول الفلك فسميت فصعة المساكين وانتهيت الى القطب فكان عليه المدار وتبواته فغيه من جلالتك افتخار ومن نظمه قوله وقد كتب اليه بعض اصدقاىه

واحسن بالصديق ما له عوض ان بلت من هو لا يلقال معترض
القاه بالنفس لا بالجسم من حذر لعله ما رايت الجد ينقبض

وكتب اليه من قطعة

ناسدتك الله والاوصاف مكرمة اما الوفا بحسن الود مفترض
هب المرا لمعنى الريب مرتفع ما للوداد يظهر العتب ينخفض

ومنهم الصاحب ذو الوزارتين

ابو مروان عبد الملك بن رزين وهو من نوع الاول هو من الامرا ويعد من الكتاب والشعرا يرفع لبن الكتايب علمه وبين الكتاب قلمه وقد ذكره الفتح بعد ان الحد لكرمه ذكر سلفه وقد نشر شرفه

فقال شيد بناهم وتقبل غناهم لا يعرف جبنا ولا خورا ولا يتلو غير سور البدا اسورا وكانت دولته موقف البيان ومقعد الاعيان يرتضع فيها للكارم اخلاف وتدار بها للاماني سلاف فوردت الامال نداه غمرا ووجدا الاجمال في ذراه سميرا ومن نثره قوله ما زان القال بالود على البعد فاعلم مقدماته في الاعيا وان لم ارل بالعيان واستخبر الاخبار فاسمع ما نزع صفاه العهد وتصدع الى ان ورد فلان فاستفهمته عن حاله فذكر ارتع ازمانا لمثلك ان يعوذه مرارا ويتبوابه مقام تجردت عن ساعد الشفاعة عند القايد الاعلى فوقع الاعتذار بانه امر محظور وقد تقدم به حد محذور وانا اعرض ما هو الاولى والاليق في عزيمه تمكينه ورغبه ولابد من الانتقال الى جهتي وان يبق عليك الكون لها البرد هوابها وتعد اجانبها فها هي ستنتمو به افق ظاعنها عليك واصرف امرها اليك وعندي من العون على الارتحال ما يقتضيه لك رفيع الحال

ومن نظمه قوله

وروض كساه الطل وشيا مجددا فاضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه رواقص في خضر من العصب ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته وقد كسرته راحة الريح مبردا
وغنت به ورق الحمام حولنا غناء ينسيك الغريض ومعبدا
فخذها مدامـا من غزال كانه اذا ما سعى بدر تحمل فرقدا

ومنه قوله

برح السقم بي فليس صحيحا من رات عينه مراضا
ان للاعين المراض سهاما صيرت انفس الورى اغراضا

ومنه قوله يخاطب ابن عمار حين عتب عليه

تحقق ابا بكر ودادي وحقق وصدق ظنوني في ودادك واصدق
اعمل سعي في فساد ممزج وقد كان ظني صدقا وتحققي

ثنائي على مر الزمان يخلق عليك وان اذيت بعض التخلق
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

ومنه قوله

دع الدمع يفني الجفن ليلة ودعوا اذا انقلبوا بالقلب لا تان يدمع
اذا سلت الالحاظ سيفا حسبته وفي الحرب لا اخشى ولا اتوقع

ومنه قوله في شمعة

رب صفرا تردت في شحوب العاشقينا
مثل فعل منها نفعل الآجال فينا

ومنهم ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون

كان في الاندلس منتمر ذلك الحي وعاشق ولادة لا يجرا على مجنون ليلى وقيس لبنى وابن ابي ربيعة صاحب الثريا لا يعترف الا من صبابته ولا نزل هواه اخف من قلم من يار يحمل علم وله مع ولادة اخبار ما حكى مثلها ابن ابي عتيق ولا اصبهاني عن سكان وادي العقيق ولا الاصمعي عن ذلك الفريق اندى من نسيم الصباح وارق من ريق الغوادي في ثغور الاقاح وكانت ولادة ذات يوم بوادر يشيب طار اس الوليد وبوادر بدر يندر مثل لبيد كالبليد حكى ابن زيدون على ما كان عليه من الفضل لديه كان بسهم الحلوة انه هو الاملى فمرت ولادة يوما وفي البها ابن زيدون كان يبلغها يوما فما زدت حتى انشد

ما لابن زيدون على فضله يوسعني شتما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته كانني جئت لاخصي علي

وذكره الفتح فقال بهر ببطامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلد الهي نحرو ولم يصرفه الا بين ريحان وراح ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وافراح وقال ابن بسام كان من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع ادبه وجاد شعره وعلا شانه ثم انتقل عن قرطبة الي المعتضد صاحب اشبيلية سنة احدي واربعين واربعمائة

فجعله

فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن الي اشاراته وكان معه في صورة وزير قلت توفي سنة ثلاث وستين واربعمائة

ومن نثره قوله

اني وان سلبتني لباس انعامك وعطلتني من حلا ايناسك واظماتني الي برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الي تاملي وسمع الاصم ثنائي عليك فقد يغص بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفي به ويوتى الحذر من مامنه ويكون منية المتمني في امنيته والحين قد يسبق جهد الحريص

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

لا تجلد واري اني لا اتضعضع واقول هل انا الا يد ادماها سواها وجبين عفر به اهله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وهذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن كليلا تقشع

واي ترتيني ان سيدي وان ابطا معدور سعيه او تاخر غير صنين غناؤه فابطا الدلاء املاها وابطا السحاب اثقلها وانفع الغيث با صادق جدبه والذ الشراب ما صاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب ومن نظمه قوله

وليل ادمنا فيه شرب مدامة الى ان بدا للصبح فينا تبسير
وجاءت بوادي الصبح تضرب في الدجى فولت نجوم الليل والليل مقهور
فحزنا من اللذات اطيب طيبها ولم يعزنا قصر ولا عاق تكدير
خلا انه لو طال دامت مسرة ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير

ومنه قوله

وللنسيم اعتلال في اصايله كانما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كانما شققت عن اللباب اطواقا
يوم كايام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا
لو كان وفي المنى في جمعنا بكم لكان من اكرم الايام اخلاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا وافاكم بفتى اضناه ما لاقى

والان اوثق ماكانوا دكم سلوتم وبقينا نحن عشاقا

ومنه قوله

ولقد شكوتك بالضمير الى الهوى ودعوت من حنق عليك فامنا
منيت نفسي من صفاتك صلة ولقد تعز المرء يا رقة المنى

ومنه قوله

راحت تصح بها السقيم ريح يعطره النسيم
مقبوله هبت نسيما نعمى تعبق بالشميم
اهدا ابا عبد الاله نسيم ندا مغلوب الغريم
ذكرى لعهدك كالسهاد سوى فرح بالتسليم
عهدا لوف الرضاع يسو وذكراه الفطيم
ايام اعقد ناظري بذلك المراى الوسيم
والله يعلم ان حبك من فؤادي في الصميم
ان الذي قسم الحظوظ حباك بالخلق العظيم
لا استزيد الله نعمى فيك بل استديم

ومنه قوله

واني لبيها في نهاي عن التي اشار بها الواشي ويعقلني عقلي
انقض فيك المدح من بعد قوة فلا اقتدي الا بنا قصة الغزل
هي الغزل زلت بي فقل انت مكذب فقال العرفي ما الهها له الغل
الا ان ظلما بين فعلك واتق وقوفا الهوى بين القطيعة والوصل

ومنه قوله

كانا لم نبت والوصل ثالثنا والدهر قد غض من اجفانه واشينا
سران في خاطر الظلما يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

ومنه قوله

اما رضاك فشيء ماله ثمن لو كان يشترى في ملكة الزمن
يبكي فراقك عين انت ناظرها قد حرمها عن محرك الوسن

ان الزمان الذي عهدي به حسن قد حال عني وجهك الحسن
والله ما شانني حسن صفي لسانا ان شرى في الهوى علني
لو كان امري في شرع الهوى بيدي ما كان يعلم ما في قلبي البدن

ومنه قوله

يا ليل طل لولا نطل لا بد لي ما اسهرك
لو بات عندي قمري ما بت ارعى قمرك

ومنهم ابن عبدوس وزير ما تقلد
مثله عب ملك ولا اخرج نظيره خب فلك مما دار على شبيه ذكائه
الفلك الدوار ولا تفتح على مثل زهره الندى النوار الا انه لم يبلغ لي من
مختار نظمه وبديع شعره على عظمة البق بالتخليد مما اورد له ابن سعيد
وهو قوله في فرس ابيض في غرته لمعة حمرا

حسن هذا الجواد حين بدا في شبه لم يكن لدى سبق
قام حلية النهار مدعيا فاعترفت عرفه يد الشفق

ومنهم ابو عامر بن سلك الوزير في الايام
الاموية والمنير شمسا في افاقها الضوية والنمير في موارد كفها الروية والمساوي
لبدور اهله والجاري بالسوية لا ما زاد على سلفه وزان معا قد شرفه وزا
وذكره لم يزل في خلفه قال ابن لسان فيه من قوم لم يزالوا اقمارا في افاق
الكتاب وصدورا في صدور المراتب وكان ابوهما مرش بشر محضر منزله الغص من الحا
ومكان الستر من صدرها ثم قال لك العروس الاموية تجر الى المعتضد لا ملا
نديه كانت له بالبلد فعاش يعضل رند ومصون عن الخول في شي من
الاعين زياده الام ومنادمة في لعض الايام حذبه البها وعليه مضطرا عليها
ولم يزل يخادع له عز ذلك استدنا ما لسره ومدارا على نفسه عم حتى مات
مستورا باله سد على اشكاله ومما انشد له قوله

ابا شقيقي اخاي ويا شميم صفاي
ومن هما في ذوي الفهم جوهر الاذباي

تفضلا واحسانا الى يدي سداي
لتانسا عدني وقصوى وعنائي

وقوله

لا تسقني راح الكؤوس بل اسقني سحر العيون يقوم مقام الراح
فاما لي من لحظه ورضابه راحا وقام الخد بالتفاح

واما الوزرا بالديار المصريه فمنهم ابو الفرج
يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هرون بن داود بن كلس وزير العزيز
نزار وزير مخدومه كافور ورد ته واورد لسعي ابن الفرات عصبته وتردي بشعار
فترقى وعتب الاهانه عن بيضا الفضه وصفرا الذهب فتوفي ومضت
ايام الاخشيد وتمام بنايه قد شيد وانته الاقدار ووافته لمقدار ووافته
الاقدار وذلك باطلاله طبيعه الدوله العبيديه على مصر فانه سار حتى اتى برقه
وقدمت مقدمتها وجلت الانوار بتعبير الصباح ظلمتها فتجلى نظار ح بجوهرها
وتبدل كافور المسك بعنبرها فمن قائل انه استمر حتى اتصل بالمعز تميم وجاه
بالعزيمه في كيف فرد منهم ومن قائل وهو الاغلب انه حيث وجد مقدمه
جليته المطل مع القايد جوهر فاد تحت الويته ودرج سيفه المجوهر وزورق
اكليله الذي ذهب وهو ذهب ونما ونفذ بجوهر وتقدم المعز فاعز مكانه
واعد لسند قواعد الممالك اركانه ولم يصرح له بالوزارة الا انه كان هو
المتحدث وامره مصرف وقدره مشرف هذا وجوهر في الدجن
ومعز يري له في اعزازه الخيره فرتب دولة الخلافه ترتيبا جرت عليه وجرت
التصاريف وجرت التصريف اليه فلم يبق ليعقوب حاجه في نفسه الا قضاها
ولا عزمه ساط وسيفه المجوهر الا امضاها وزاد في ايام العزيز جلالا ورف سنا
ابن الفرات فلم يدع في ضمه بلالا وفوضت اليه الوزاره فردت اليه
الامور كلها وطاب به جناها وظلها وكان خفيف الاحمال
في بيوته كلفه عفيف الا انا مر عن الاموال الامراط صلفه متظاهرا بالدين
بدين الاسلام والتدين بشعار الاعلام يوثر خصاصته ويسمر من الشرا

بن عمر انه من ولد هرون اخي موسى بن عمران عليهما وقيل كان يزعم انه من ولد
السموال بن عاديا اليهودي ولد ببغداد ونشا بها عند باب القز وتعلم الكتابه
والحساب وسافر به ابوه الى الشام وانفذه الى مصر سنه احدى وثلاثين
وثلثمايه فانقطع الى بعض خواص الاستاذ كافور فجعله كافور على عمارة
داره ثم صار ملازما لباب داره فراي كافور من نجابته وشهامته وصيانته
ونزاهته وحسن ادراكه ما يقف عليه فاستحضره واجلسه في ديوانه الخاص
فكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الاعمال والحسبانات ويدخل يده في كل شي
ثم لم تزل احواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له ويكرمونه
ولم يستطع نفسه لاكتساب مال وارسل له كافور شيا فرده عليه واخذ منه
القوت خاصه وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان لا يمضي دينار ولا درهم
الا بتوقيعه فوقع في كل شي وكان بر ويصل من الكثير الذي ياخذ هذا كله وهو على
دينه ثم اسلم في شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمايه ولزم الصلاه ودراسة
القران الكريم ورتب لنفسه رجلا من اهل العلم شيخا عارفا بالقران والنحو حافظا
كتاب السيرافي فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرا عليه ولم يزل حاله يزيد وتتمواع
كافور الى ان توفي كافور فقبض وزيره على جميع الكتاب واصحاب الدواوين
وقبض ليعقوب بن كلس في جملتهم للحسد فلم يزل ابن كلس يتوصل ويبذل
المال حتى ابذل افرج عنه فلما خرج من الاعتقال اقترض من اخيه وغيره مالا وحمل
به وسار مستخفيا قاصدا بلاد الغرب فلقي جوهرا مولى المعز في الطريق وهو
متوجه بالعساكر والخزاين الى الديار المصريه ليملكها فرجع صحبته وقيل انه استمر
على قصده وانتهى الى افريقيه وتعلق بخدمة المعز ثم رجع الى الديار المصريه ولم يزل في
الى ان ولي الوزاره وزير للدوله الفاطميه بالديار المصريه وكان من جملة كتاب
كافور فلما وصل المعز احسن في خدمته وبالغ في طاعته حتى استوزره وقال
غيره كان ابن كلس يحب اهل العلم ويجمع عنده العلما ورتب لنفسه مجلسا في كل
ليلة جمعه ويقرا فيه بنفسه مصنفاته ويحضره القضاه والفقها والعلما
والنحاه وجميع ارباب الدول واعيان العدول وغيرهم من وجوه الدوله

واصحاب الحديث فاذا فرغ من مجلسه اقام الشعرا ينشدونه المدايح وكان في
داره قوم يكتبون القران واخرون يكتبون الحديث والفقه والادب حتى الطب
ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها وكان من جملة جلسايه الحسين بن
عبد الرحيم الزلازلي مصنف كتاب الاسجاع ورتب في داره القرا والايمة يصلون
في مسجد اعده في داره واقام فيها ايضا المطابخ لغلمانه وحاشيته واتباعه وكان ينصب
كل يوم خوانا لخاصته من اهل العلم والكتاب ومن استدعيه وينصب موايد عدة
ياكل عليها الحجاب ولا يخاطب احد منهم الا بالقايد وكان من جملتهم القايد ابو
الفتوح فضل بن صالح الذي ينسب اليه منية القايد فضل وهي بالاعمال الجيزيه
من اعمال ثم شرع الوزير يعقوب في تحصين داره ودروبها بالحرس والدرق
والسلاح والعدد وعمرت ناحيته بالاسواق واصناف ما يباع من الاطعمة ومن
المطعوم والمشروب والملبوس ويقال ان داره كانت في القاهرة في موضع مدرسة
الوزير صفي الدين بن شكر المختصة بالطايفة المالكية وان الحارة المعروفة بالوزيرية
التي بالقاهرة منسوبة لاصحابه لانهم كانوا يسكنونها وكان الوزير بن الفرات
يغدو اليه ويروح ويقرا عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويقول
عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما حبسه لمواكلته فياكل معه بعد ان جرى عليه منه
ما سبق ذكره وكانت هيبته عظيمة وجوده وافرا واكثر الشعرا مدحه ومن بر
قال ابن خلكان سمعت جماعة من المصريين يقولون كان للوزير
يعقوب طيور فايقة اصيلة مختارة للسبق تسبق كل طاير يسابقها وكان
لمخدومه العزيز ايضا طيور سابقة فاخرة فسابقه العزيز يوما ببعض الطيور
فسبق طاير الوزير يعقوب فعز ذلك على العزيز ووجد اعدايه سبيلا الى الطعن فقالوا
للعزيز انه قد اختار من كل صنف اجوده واعلاه ولم يبق منه الا ادناه حتى
الحمام وقصدوا بذلك الاغرا به وسكرا منهم لعله فاتصل ذلك بالوزير فكتب
الى العزيز

قل لامير المومنين الذي له العلا والنسب الثاقب
طايرك السابق لكنه جانى بخدمته حاجب

فاعجبه ذلك وسري عنه ما كان وجده عليه فقيل ان هذين البيتين لولي الدولة ابي
محمد بن خيران الكاتب وذكر ابو القسم علي بن منجب الكاتب ان سبب حظوة

الوزير

الوزير يعقوب عند كافور ان يهوديا قال له ان في دار ابن البلدي بالرملة
ثلثين الف دينار مدفونة في موضع اعرفه وانا اخرج احملها فاجابه الى ذلك وانفذ
معه البغال يحملها وورد الخبر بموت جبرا التاجر فجعل اليه النظر في تركته وانفق
موت يهودي ومعه احمال كان ياخذها وفتحها فوجد فيها عشرين الف دينار
فكتب الى كافور بذلك فسر به وكتب اليه بحملها فباع الخان وحمل الجميع
وسار الى الرملة وحفر الدار التي لابن البلدي واخرج المال وهو ثلثون الف
دينار فكتب الى كافور عرفت الاستاذ انها عشرون الف دينار وقد وجدت
ثلثين الف دينار وازداد محله عنده وتصوره بالثقة ووقعت رقعة
في دار الوزير سنة ثمانين وثلثمايه وهي السنة التي توفي فيها نسختها

احذروا من حوادث الازمان وتوقوا طوارق الحدثان
قد امنتم من الزمان ونمتم رب خوف مكمن في امان

فلما قراها قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واجتهد ان يعرف كاتبها
فلم يقدر على ذلك فلما اعتل علة الموت اخر السنة ركب اليه العزيز عايدا
وقال له وددت انك تباع فابتاعك بملكي او تفدى فافديك بولدي فهل من
حاجة توصي بها فبكى وقبل يده وقال اما فيما يخصني فانت ارعى لحقي من ان
استرعيك اياه واراف من ان اخلفه من ان اوصيك به ولكني انصح لك فيما يتعلق
بدولتك سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالسكة والدعوة ولا تبق على مفرج بن
دغفل ان عرضت لك فيه فرصة ومات فامر العزيز بدفنه في داره بالقاهرة داخل
باب النصر وامر بغلق الدواوين اياما بعده وكان اقطاعه من العزيز كل سنة مايه
الف دينار ووجد له من العبيد والمماليك اربعة الاف غلام ووجد له جوهر
باربعة الاف دينار وبز من كل صنف بخمس مايه الف دينار وكان للتجار عليه
ستة عشر الف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره
وكانت وفاته لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمايه وكفن في خمسين ثوبا
واجتمع الناس كلهم من القصر الى داره وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر
وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته لا يركب الا بها وصلى عليه وبكى

وتحضر مواراته ويقال انه الحق بيه ويقال انه لهز وحنط بما مبلغه عشرة
الاف دينار وذلك من سمع العزيز وهو يقول واطول اسفي عليك يا وزير
وبكا عليه القايد جوهر بكا شديدا وانما كان على نفسه لانه عاش بعده سنة
واحدة ووفد الشعرا الى قبره وقيل انه رثاه مايه شاعر واخذت قصايدهم
واجيزوا وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام والصحيح انه اسلم وحسن
اسلامه قال يوما وقد ذكر اليهودي في مجلسه كلاما السو اليهود سماعه تحريفين
عودا نفهم وفساد مذهبهم وانهم على غير شي وان اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوريه
وهم يجدونه وكانت ولادته سنة ثمان عشرة وثلثمايه

٥ **ومنهم امير الجيوش** بدر الجمالي وزير ذهب حلا
الشفق وذهب زمانه على نسق واسوق بدره في الدولة الفاطمية وكان من الرجال
المعدوده في ذوي الاراء والشهامه وقوة العزم استنابه المستنصر صاحب
مصر بمدينة صور وقيل عكا فلما ضعف حال المستنصر واختلت صورته
وصف له بدر هذا فاستدعاه وركب في البحر في السفاين وقت لم تجر العاده
بركوبه في مثله وركب الى القاهره في جمادي الاولى وقيل الاخره سنة ست وستين
واربعمايه فولاه المستنصر تدبير اموره وتمكنت بوصوله الحرمه واصلح الدوله
وكان وزير السيف والقلم واليه قضا القضاه والتقدم على الدعاه وساس الامور
احسن سياسه ويقال ان وصوله كان اول سعادة المستنصر واخر قطوعه
وكان يلقب امير الجيوش ولما دخل على المستنصر قرا قاري بين يدي المستنصر ولم
يتم الاية فقال المستنصر لو تمها ضربت عنقه ولم يزل كذلك الى ان توفي في اخر
سنة ثمانين واربعمايه وهو الذي بنا الجامع بثغر الاسكندريه بسوق
العطارين وبنى مشهد الراس بعسقلان ولما مرض وزر ولده الافضل ونوب معه
في حياته فلما توفي المستنصر اقام الافضل ولده المستعلي احمد مقامه وتم على
وزارته وقضيه الافضل مع نزار بن المستنصر واعلامه امدن الافضل واب
الاسكندري مشهوره في احدهما واحضارهما الى القاهره فاما افتكين
فقتل ظاهرا واما نزار فقيل ان اخاه المستعلي بنى ووجهه حايطا فمات

والنزار

والى نزار هذا ينتسب ملوك الاسماعيلية اصحاب الدعوة ارباب قلعة الالموت
وما معها من القلاع في بلاد العجم وكان الافضل حسن المدبر حسن الراي
ولما توفي المستعلي اقام ولده الامر مقامه كما فعل بابيه ودبر دولته وحجر
عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات لانه كثير اللعب فحمله ذلك على قتله
فاوثب عليه جماعه وكان يسكن مصر في دار الملك التي على النيل وقد صارت
دار الوكاله فركب الافضل من داره وتقدم الى ساحل البحر وقتلوه في
سلخ شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمايه وحكى صاحب الدول
المنقطعه انه خلف ستماية الف الف دينار عينا ومايتين وخمسين اردب
دراهم نقد مصر وسبعين الف ديباج اطلس وثلثين راحلة احقاق
ذهب عراقي ودواة فيها جواهر قيمتها اثنا عشر الف ومايه مسمار من
ذهب وزن كل مسمار مايه مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة
مسامير على كل مسمار منديل مشدود مذهب بلون من الالوان ايما
احب منها لبس وخمسمايه صندوق كسوة لخاصه وخلف من الرقيق
والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لا يعلم قدره الا الله وخلف
خارجا عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما بلغ ضمان البانه سنة وفاته
ثلثين الف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم
النسا والجواري وحكى ابن الاثير في ترجمة والده ما معناه ان علقمة
بن عبد الرزاق العليمي قال قصدت بدر الجمالي بمصر فرايت اشراف الناس
وكبراهم وشعراهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا
انا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرجت في اثره واقمت الى ان رجع
من صيده فوقفت على تل من الارض وبيدي رقعة انشد منها قولي

نحن التجار وهذه اعلاقنا ... در وجود يمينك المبتاع
واقال حملها اليك تجارها ... ومطيها الامال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا ... من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره ... هرم ولا كعب ولا القعقاع

وسبقت هذا الناس في طلب العلى فالناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر ابسم لو بك اعتصم الورى ولجوا الليل جميعهم ما طاعوا

وكان على يده بارى فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسرد الابيات وانشا
انشدها الى ان استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من يحبني
فليخلع على هذا الشاعر فخرجت من عنده ومعي سبعون بغلا تحمل حلعا وحملا
ثم امر بعشرة الاف درهم

ومنهم المامون ابو عبد الله

بن البطايحي وزير حلق الى مصر بين البطايح وحقن دمه بتهل الدما الطوايح
وساس اسباب التدبير وضبطه وعقد نظام الملك وربطه تيسرت له
الاسباب حتى نبه بجفنه الغضيض وطلع الى الاوج من الحضيض ومشى له
الامر مثل الامر وظهر كرمه مع وجود سحايبه الهامر وحذ رياسه والامر
مطل الظلما والمامون مع هذا الباس الشديد والمراس الذي يلين دونه الحديد
متوقد الجمرات مصلت السيف لا يرده في مرات بلسان مطلق وجنان على الباسا فطبق
الى ان نكبه الاسر في جمله اهل النكبه التي ضيق فيها على نعالهم لو جار ورفعهم لو كان مافيد
طهم بن بربط النجار قال ابن الاثير ابتدا امره انه كان من جواسيس الافضل بالعراق
مات ابوه ولم يخلف شيا نتروحت امه وتركته فقيرا فاتصل برجل يعلم البنا بمصر
ثم صار يبيع الامتعه بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار بدر الجمالي امير الجيوش
مرة بعد اخرى فراه خفيفا رشيقا سريع الحركه حلو الكلام فاعجبه فسال عنه
فقيل له هو ابن فلان فعرفه واستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكبرت
منزلته وعلت حاله حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا
للدما وكان شديد التحرز كثير التطلع الى احوال الناس من العامة والخاصة بمصر والشام
وكثر العياد وان تراسل هو وجعفر اخو الامر لقتل الامر ويجعله خليفه وتقرر
هذا بينهما فسمع بذلك ابو الحسن بن ابي اسامة وكان خصيصا بالامر واعلمه
الحال فقبض وصلبه هو واخوته وذلك سنة تسع عشره وخمسمايه
حكي انه وجد له الف دست كامل من القماش الفاخر من ملبس جسده
ووجد له جمل اموال لا تحصى من العين الذهب والفضه والجواهر الغوالي

النفايس

والنفايس والامتعه والخيل والبغال والجمال والبقر والغنم وانه كان
له كانون حجملا برسم الما من شاطي الولو النيل الى الدره التي بالقاهره
خارجا عن الدره التي بمصر وغالب الدره بمصر هنا مما كان يوصوفا به من
سعة الكرم والتخرق في العطا وان كان ربما يعطي في اليوم الواحد
الف الف درهم وكان يلومه خواص اصحابه وخلطايه على افرا طبه
في الافراط واللوم فقال سجيه طبيعيه عليها لا اقدر على ازالتها ثم يقول
لولا حملقه الاسد لاكثرت الحزن يشير الى خوفه من باس الامر ويقال
لا يري الآراي الاماميه وانه كان يريد تقلب الامور ليجعلها اماميه
والذي اقوله ان الكرم يستر كل قبيح رحمه الله وغفر له

ومنهم ابو علي بن الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي ورث
الوزاره وحازها وذهب ذهب في النفاق وسولت له نفسه امورا
له الحافظ فصبر جميل وطال عليه اعتقاده وفي قلبه له غليل حتى كان
حتى كان هذا سبب حتفه وموجب ما لم يفده معه تقليب كفه
ولم تغن عنه امواله التي اعدها ولا عزايمه التي اشدها ذكر ابن الاثير
ان السبب في قتله انه كان قد حجر على الحافظ ومنعه من ان يحكم في امر من الامور
واخذ ما كان في القصر الى داره واسقط من الدعا ذكر اسمعيل جد هذا البيت
وابطل واخذ ما كان في القصر الى داره واسقط من الاذان حي على خير العمل ولم
يخطب للحافظ وامر الخطبا ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيد الافضل
سيد ممالك ارباب الدول الحامي عن حوزه الدين ناشر جناح العدل على المسلمين
الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره والقايم بنصرته
بماضي سيفه وصايب رايه وتدبيره امين الله على عباده وهادي القضاه
الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاه المومنين بواضح ارشاده
مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم السيد
الاجل الافضل شاهنشاه امير الجيوش قال وكان امامي المذهب يكثر ذم
الحافظ والسقص به فنفرت منه الشيعه وكرهوه وعزموا على قتله فخرج

في العشرين من المحرم سنة ست وعشرين وخمسمايه الي الميدان للعب
بالكره فاحمل له جماعه منهم مملوك افرنجي كان للحافظ فخرجوا من الخزانه التي كانوا فيها
وحمل عليه الفرنجي فطعنه وقتله وحزوا راسه وخرج الحافظ من الخزانه
التي كان فيها وامر الناس فنهبوا داره واخذ منها مالا يحصى وركب الحافظ الي
داره واخذ ما بقي ثم بويع الحافظ فخافه الحافظ وتخيل منه بانه قد تسلط وتجبر
الحافظ عليه بان وضع له طعاما في الطهارة ماسموما فاغتسل به فوقع الدود
في عرجه وقيل له متى قمت من مكانك هلكت وكان يعالج بان يجعل اللحم الطري
في المحل فيعلق به الدود ويخرج ويجعل عوضه فقارب الشفا فركب اليه الحافظ
فانه يعوده وقعد عنده ثم خرج من عنده فتوفي في تلك الليله قال ابن الاثير
وانما ذكرت الغايه تعجبا منها من حماقة هذا الرجل انتهى كلامه نايه قالت
واستوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد سنة ست وعشرين
وخمسمايه فتجري بسفك الدما وتغلب على الامر جميعه واستبد به ولم يبق
لابيه معه حكم وقتل من الامرا الكبرا كثيرا حتى انه قتل في ليلة واحده اربعين
اميرا فلما راي ابوه هذا منه اخرج له خادما من خدم القصر فجمع الجموع
وتقدم الي القاهره ليقاتل ابنه حسنا ويخرجه منها فاخرج اليه حسن
جماعه من خواصه واصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم واستقل الحافظ
وصبرت الجبر ثم اجتمعت بقيه الامرا على قتل حسن وارسلوا الي الحافظ
وقالوا اما ان تسلم الينا ابنك لنقتله او نقتلكما جميعا فاستدعى ولده
اليه واحتاط عليه فلم يرض الامرا الا بقتله فسمه ثم ادخل خواصهم
عليه فراده وخرجوا حتى تيقنوا موته وفيه قيل

لم يا حسن بين الوري حسنا ولم يرا ولم يري الحق في دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا حق ولا سبب والجور في اخذ اموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا ادب تيه الملوك واخلاق المجانين

كان في دولة الحافظ الا انه مالكها

وصاحبها الا انه تخلى به حالكها املك بيده اشرقها وقيم مسانها كما
شا ومشرها الا انه استغرسوتدبير ذلك الاوان وجا من العقاب ما عنده [illegible] وهو [illegible]
ولم يزل حتى اعزل سابق وعيد وجرالي مصرعه بحبل وديح وحمل اسه كانه هدية

دوكان

وقيل كان من شيعة السودان ذي حرش وما هو الا من شيعه اهل الطف
وزر للحافظ بابيه واستقنت له الامور وغلت ايدي معاندبه وكان السبب
في هذا ان الحافظ استوزر بعد ابنه حسن المسي الفعل اكثر منه واسا مورد وب
الامر وذلك بهرام النصراني ولقبه بالامير تاج الدوله فاستعمل الارمن على الناس
فاستذلوا المسلمين وامتدوا الي اموالهم وحصهم وتحكموا وجاروا واهانوا وكبر
الاقدار وهو الا من الذين ولا هم فطمعوا فيهم ولم يبق في مصر من انف من ذلك
الارضوان فانه قلق لهذا وجمع جمعا كثيرا وقصد القاهره وسمع به بهرام فهرب
الي الصعيد من غير حرب ولا قتال واتى اسوان فمنعه واليها من الدخول اليها
وقاتله فقتل كثير من الارمن ثم لما لم يقدر على الدخول الي اسوان ارسل الي الحافظ
يطلب الامان فامنه فعاد الي القاهره فسجن بالقصر فبقي مدة ثم ترهب وخرج من
الحبس واما رضوان فانه وزر للحافظ فجهد الحافظ في اخراجه فثار الناس عليه في منتصف
شوال سنه ثلاث وثلثين وخمسمايه فهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس
منها ما لا يعد ولا يحصى وركب الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقي في دار رضوان الي
قصره وسار رضوان يريد الشام ليستنجد بالاتراك فارسل اليه الحافظ بن مصال
ليرده بالامان والعهد انه لا يوذيه فقبل انه رجع فحبسه الحافظ وقيل بل انه دخل
الشام والي صرخد ونزل على صاحبها كمشتكين فاكرمه واقام عنده ثم عاد الي مصر
سنة اربع وثلثين وخمسمايه ومعه عسكر وقاتل المصريين فهزمهم واقام ثلثة
ايام ثم تفرق كثير ممن معه فعزم على العود الي الشام فارسل اليه الحافظ بن مصال
فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله فاقام في القصر الي سنة
ثلاث واربعين ثم نقب الحبس وخرج منه وقد اعدت له خيل فركبها وعبر النيل
الجيزه فحشد وجمع وعاد الي القاهره فقاتل المصريين عند جامع بن طولون
فهزمهم ودخل القاهره فنزل عند الجامع الاقمر وارسل الي الحافظ يطلب منه
مالا ليفرقه على عادتهم فانهم كانوا اذا وزروا وزيرا ارسلوا اليه عشرين الف
دينار فارسل اليه الحافظ بها ففرقها وكثر الناس عليه يطلب زيادة فارسل اليه
مثلها ففرقها وتفرق الناس عنه وخفوا عنه فاد الصوت قد ارتفع وخرج اليه جمع كثير من السودان
جهزهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم وقام ليركب فقدم اليه بعض اصحابه
فرسا فلما اراد ركوبه ضرب رجل راسه بالسيف فقتله وحمل راسه الي الحافظ فارسله

الى زوجته فوضعته على حجرها فالتقمته وقالت له هكذا يلون الرجال ثم لم يستوزر الحافظ بعده احدا بل كان يباشر الامور بنفسه ٥

ومنهم ابو الحسن على بن السلار المنعوت بالملك

العادل سيف الدين وزير الظافر العبيدي وعبيد الملك الابدي كان في تلك الايام التي اطلقت بدعها وملت بشيعها عله في تلك الدهما وحرا منافقا في ذلك الطلا ممن لا يرى اهل تلك الفرق المضله اعرض عنها منقصا بها واظهر الرضى بجانبها وقد عقد ضميره على ازالتها وعهد الى عزيه في اعلا السنة واذالتها واستقدم من الفقها من كان يسر بمجالسته ويديم مؤانسته ويستنصح برايه في ظلم تلك الضلال ويرد نصيحته في ضحى تلك الهوى حر كالظلال ولو عمر وساعد سنة الاقدار لكسر شعث الجماعه وتطهر مواضع تلك الطاعه ولكنه كان موقد الحنق لا يمرض عضبه ولا يخمد لهيبه ولا يستقر سيفه في التراب حتى يغاليه نوبته قال ابن خلكان رايت في بعض النسخ من تواريخ المصريين انه كان كرديا زرزاريا وكان تربية العصر بالقاهره وتعلقت به الاحوال الى الولايات بالصعيد وغيره الى ان ولي الوزاره للظافر في رجب سنة واربعين وخمسمايه ثم وجدت في ديوان اخر ان الظافر استوزر ابا الفتح سليم بن محمد بن مصال لخواص خمسين يوما وكان شيخا مقداما مايلا الى ارباب الصلاح والفضل عمر بالقاهره مساجد وكان ظاهر التسنن شافعي المذهب ولما صارت اليه ولاية الاسكندريه زاد في اكرام الحافظ ابي طاهر السلفي واحتفل به وعمر له هناك مدرسه فوض تدريسها اليه وهي معروفه به الى الان وكان ذا سيرة جابره وسطوة قاطعه يواخذ الناس بالصغاير والمحقرات ومما حكي عنه انه قبل وزارته بزمان وهو يومبيد من اجناد الاجناد دخل يوما على الموفق ابي الكرم بن معصوم التنيسي وكان يتولى الديوان فشكا اليه حاله من غرامه لزمته بسبب تفريطه في شي من لوازم الولاية بالغربيه فلما اطال عليه الكلام قال له ابو الكرم والله ان كلامك ما يدخل في اذني فحقدها عليه فلما ترقى الى درجة الوزاره طلبه فخاف منه واستتر مدة فنادي عليه في البلد واهدر دم من يخفيه واخرجه منه خباه عنده فخرج في زي امراه بازار وخف فعرف واخذ وحمل الى العادل فامر باحضار لوح خشب ومسمار طويل وامر به فالقي على جنبه وطرح اللوح تحت اذنه ثم ضرب المسمار في الاذن الاخرى وصار كلما صرخ يقول دخل كلامي في اذنك ام لا ولم يزل كذلك حتى

نفذ المسمار الى الاذن الاخرى التي عليها اللوح ثم عطف المسمار على اللوح وبقي ازانه شقه بعد ذلك وكان قد وصل من افريقيه ابو الفضل عباس بن ابي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وهو صبي ومعه امه فتزوجها العادل المذكور واقامت عنده زمانا ورزق ولدا اسماه نصرا فكان عند جدته في دار العادل والفا عنوا عليه ويعزه ثم ان العادل جهز عباسا الى جهة الشام بسبب الجهاد وكان معه اسامة ابن اسعد بن منقذ فلما وصل الى بلبيس وهو مقدم الجيش الذي سار في صحبته تذاكرا طيب الديار المصريه وحسنها وتاسفا عليه وكونه يفارقها ويتوجه اللقا العدو ويقاسي البيكار فاشار عليه اسامة على ما قيل بقتل العادل وان يستقل هو بالوزاره ويستريح من البيكار ويقرر بينهما ان ولده نصرا يباشر ذلك اذ رقد العادل فانه معه في الدار ولا ينكر عليه بذلك فحاصل الامر ان نصرا قتله على فراشه يوم الخميس ٢ ذي المحرم سنة ثمان واربعين وخمسمايه بدار الوزاره بالقاهره وقيل قتل يوم السبت حادي عشر المحرم منها

ومنهم ابو الغارات

طلايع بن رزيك الملقب بالملك الصالح كان صنو السلطان لا الوزير والملك ودونه كل امير والخليفه وان كان غيره الجالس على السرير استنطق السنان وسط ذروع عيبه حتى في المنام وكان يضوا الندي ويهتم البرق ولا يبلغ له مدى احد دون ابن يماسد نجدا واوضح منه نادحا نجم هدي واسرى من الانوار بعب في السحب الدواح واسرع من الاضوا رطلها في تنسيب الهوادج وكان مجلسه مجال الادب ونجمال الادب ولا علوا من مديد مواهب وجديد على اتار ذواهب كان اعيد به زمانا زال جفنه وقد عثر وقام حسان زال عسان وقد نسي الحبر وكان الفاز معبد الدبكد يفارق الفوايل ولا يخرج مجلسه منه الانابيل قد ذهب دما شيعته يوم الباكيه يومه واذن عن الامر بعزله فتفرد الصالح ابو الطلايع بكل امضا وكل دونه كل مضا الا انه الف القلوب وما نفرها وتتبع حسنات زمانه سيبه كل دهر وكفرها ولعمرها ونظر في المصالح وساس الرعيه سياسة الملك الصالح وشرع في عماره البلاد حتى عادت كانت مدة ايامه تكتسي حلل الديباج وتتوقد بها في كل ناحيه سراج لا ترى الا بسط قضا فرشت بالازهار وبديع شقايق

خضر طردت بالابصار وعميم ان لا يتلمس فيه وجه المريب ولا يروع الشاه بيسا
هذا وسيفه لا يرى منه الا خلته وجواده لا يعرف منه الا حسن شيبته الى ان
اتت الاقدار ودهته حيث لا يمنع الاعزاز ثم ان الابتدان عباسا لما قتل الظافر
واقام الفايز ظن ان الامر يتم له على قدر ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده
فان الحرم اختلفت وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله وارسل من بالقصر
والخدم الى الصالح طلايع بن رزيك يستغيثون وارسلوا شعورهن على الكتب
وكان في سنيه بني خصيب واليا عليها وعلى اعمالها ولبيت من الاعمال الجليلة وانها كانت اقرب
الاعمال اليهم وكان فيه شهامه فجمع ليعضد عباسا وسار اليه فلما سمع عباس بذلك
خرج من مصر نحو الشام بما معه من الاموال التي لا تحصى كثره والتحف والاشيا لا يوجد
مثلها مما كان اخذه من القصر وسار معه ولده نصر واسامة ابن منقذ فلما سار
وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتفرقوا به وسار الصالح فدخل
القاهره باعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التي ارسلت
اليه من القصر على روس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فان الاعلام السود العباسية
دخلتها وازالت الاعلام العلويه بعد خمسه عشر سنة فلما دخل الصالح القاهرة
خلع عليه خلعة الوزاره واستقر في الامر واحضر الخادم الذي شاهد قتل الظافر
فاراه دفنه فاخرجه ونقله وذلك في ربيع الاول سنة تسع واربعين رحمهما به
الى مقابرهم بالقصر ثم ان الفرنج عباس اسروا ابنه فارسل الملك الصالح
بذل لهم مالا واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يلم احدا منهم
فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلم احدا منهم كلمة الى ان راى القاهرة فانشد

بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر

وادخل القصر وكان اخر العهد به وقيل انه قتل وصلب على باب ثم اخذ الصالح في استقصا
البيوت الكبار والاعيان بالديار المصريه فاهلك اهلها وابعدهم عن ديارهم
واخذ اموالهم فمنهم من تفرق في بلاد الحجاز واليمن وغيرها وكان قصد بفعل ذلك خوفا منهم
ان يثوروا عليه وينازعوه في الوزاره وتحكم في الدولة التحكم العظيم واستبد بالامر
والنهي وجباية الاموال اليه لصغر العاضد لانه هو ولاه وتزوج ابنته من العاضد

فعاد له

فعاد له ايضا الحرم فارسلت عمه العاضد الاموال الى الامرا المصريين ودعتهم
الى قتله وكان اشدهم في ذلك رجل يقال له ابن الداعي فوقفوا في دهليز القصر وضربوه
بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة وحمل الى داره وفيه حياة فارسل
الى العاضد يعاتبه على الرضى بقتله فحلف العاضد انه لم يعلم بذلك ولا رضي به فقال
ان كنت بريا فسلم عمتك الي حتى انتقم منها فامره باخذها فارسل اليها واخذها قهرا
وحضرت عنده فقتلها واوصى بالوزاره لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل
الامر اليه بعد وفاة ابيه في رمضان سنة ست وخمسين وستماية وكان لم يكن
فيه ادب ومعرفه وكان اهل العلم عنده نفاق ودخل اليهم العطا وله ببغدان
محمد ابن الدهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل شرح بيتا من شعره وهو

تجنب سمعي ما يقول العواذل ... واصبح لي شغل من الغزو شاغل

يبين

فجهز سنيه ليرسلها اليه فيقيل فقبل ارسالها وبلغه ان ابن ابن من اعيان الموصل قد اثنى
عليه عند ملكه فارسل كتابا بالشكر ومعه هديه وكان اماميا لم يكن على مذهب العلويين
المصريين لما ولي العاضد الخلافه وركب مع الصالح ضجة عظيمه فقال ما الخبر فقالت
انهم يفرحون بالخليفه فقال كاني بهولا الجملة يقولون ما مات الاول حتى
استخلف هذا ولما علموا انه من ساعة استعرضهم استعراض الغنم فاد عمارة اليمني دخلت
عليه قبل قتله بثلاثة ايام فناولني قرطاسا فيه بيتان من الشعر وهما

نحن في غفلة ونوم وللموت عيون يقظانه لا تنام
قد رحلنا الي الحمام سنينا ليت شعري متى يكون الحمام

وكان اخر عهدي به قال عمارة ومن عجيب الاتفاق اني انشدت ابنه
قصيده اقول

ابوك الذي يسطو الليالي بحده وانت يمين ان سطا وشمال
لرتبته العليا وان طال عمره اليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها حجاب شريف لا انقضى وحجال

فانتقل الامر اليه بعد ايام وفي سنة ست وخمسين وخمسماية حجرت عمة العاضد
على الصالح ابي الغارات من قتله بالسكاكين وهو داخل القصر فحمل الى بيته وبه رمق

فارسل لعمة العاضد نخلف العاضد انه ما علم بذلك وارسل العاضد عمته فارسلها
الى طلايع فقتلها وسال العاضد بان يولي ابنه رزيك الوزاره فولي رزيك ولقب العادل
ومات الصالح طلايع فاستقر ولده في الوزاره ولما مات الصالح دفن بالقاهره ثم نقله ولده
العادل في تابوت من دار الوزاره وهي المعروفه بانشاء الافضل شاهنشاه وركب
خلفه العاضد الى تربته التي بالقرافه الكبرى وفي ذلك عمل عماره اليمني قصيده
طويله اجاد فيها سنذكرها وكان التابوت موضوعا في جانب سفينه دونها وهذا
الصالح هو الذي بنى الجامع الذي خارج باب زويله **واما** ولده العادل
رزيك فكان الصالح اوصاه ان لا يتعرض لشاور ولا يغير عليه حاله
فانه لا يامن عصيانه والخروج عليه وكان كما اشار فان شاور من الصعيد على الواحات
فاخترق ودخلها ثاني عشرين المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمايه فهرب العادل
وابنه وحاشيته من القاهره ليله العشرين من المحرم منها وحمل من الذخاير معه ما لا يحصى
واستتر رزيك ونزل بيعقوب بن النبقي البحتي وهو من خواص اصحابهم وحصل
من جهتهم نعمه وافره فاظهر عنده وهو باطفيح وسار من ساعته الى باب شاور واعلم
بهم فندب معه جماعه مضوا الى العادل واخذوه اسيرا واحضروه الى باب شاور وبقي
زمانا طويلا ثم حبسه ثم قال شاور ولا بد من النقض لقد خبا الصالح ذخيره صالحه
لولده وانا الصالح احياك لولدي ثم تشفعه وبقي العادل في الاعتقال مده ثم قتله واخرج
راسه لامراء الدوله ومن العجايب ان الصالح ولي الوزاره في التاسع عشر وقتل في التاسع
عشر وقتل ابو شجاع في التاسع عشر وزالت دولتهم في التاسع عشر وفيهم يقول
عماده اليمني من ابيات

ولت ليالي بني رزيك وانصرمت والمدح والشكر فيهم غير منصرم
كان صالحهم يوما وعادلهم في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

ومن نظم الصالح ابي الغارات من قصيده

اذا ابل الغرب مالت له طرف في كل يوم بدا من حسنه طرف
تقول لما اتانا ما بعثت به هذا كتاب اتى ام روضه انف
رقت حواشي كلام انت ناظمه فيه فما لزهر الروض يقتطف

وودت

وودت بحر القوافي فاغترفت كما قد حل يوما بهذا النيل مغترف
قرطست رميا ولم ارم بسهمه اذا تحقق منه لم يسلم الهدف
اذا انطلع فوق الارض ذا ادب فانت منه على العيوق تشترف
لاعين الناس يهب من محاسنها كما القلوب بلا فيها فتختطف
اذا ذكرنا مجد الدين عاودنا شوق يجدد منه الوجد والاسف
ولو عرفت الذي في القلب منك لما ظننت عنا عن الاخوان تنصرف
ولا عجيب اذا ما خاف الزمان على حر وكل قضايا دهرها جنف
يا من جفانا ولو كان الى جفا بنا دون اهل الارض تنعطف
وحق من اته وفد الحجيج ومن طافت الى بيت الركان تعتكف
انا الوفي على حال العداد كما دنى نصه في فرقه كنف
ويغفر الذنب ان رامنا عفوا في جنب ينكشف
وان جنى من راى انا نعاقبه بردنا الصفح اذ يعنا فنا الانف
نعم وتحفظ عند الغيب صاحبنا وليس يدركنا بر ولا صلف
فلا نعادنا يوم الوغى ولا قيل لموعودنا ويوم الندي خلف
ونداحينا الى ما انت طالبه فالان ذيف فيه او تقف
فان يبالغ اناس في الثناء على اوصافنا فلم قصروا في كل ما وصفوا
وكتب الى اسامة بن منقذ قصيده ميميه منها
الا هكذا في الله تمضي العزايم وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارم
نذرنا مسير الجيش في صفر فما مضى نصفه حتى انثنى وهو غانم
وما صبل من رمل الحفا فاذا انطلا عجيبه مسوب من العطف حاجم
لبشرنا صرعا من اي كل مارق ولما يصحب الضرغام الا الضراغم
ويرهبه ... سموا السيوف فلم يبق له رغما في ساحة الشام شايم
وسيلبس قد شاد المعالي بفعلهم وليس لهم الا العوالي دعايم
ويعليه اصحابنا قد تاسوا وانما هم في المشركين مقادم

وان حزما لم يزل قط منهم ندبا لحمل الثغر بالشام خادم
اذا ما اثاروا النقع فالشمس لبس وان جردوا الاسياف فالشمس باسم
لذا لم تنفك تهتدي الى العدى وللوحش اعراس بنا ومآتم
وقوى طمرا لدونا ارادنا وجيوشنا بداهية يبيض منها القوادم
فقولوا للنور الدين لا ذل جمعه ولا حملت فيه الليالي الغواشم
تجهز الى ارض العدو ولا تقف وتظهر فتورا ان مضت منك عازم

فاجاب اسامه بقصيدة منها

لك الفضل من دون الورى والمكارم نحجا تترما بال دا الجو حاتم
وصلت فاغنيت الانام عن الحيا وصلت فانت في نطال الصوارم
رميت العدى بالاسد في اجم القنا على الجرد تقتاد الراي وهو اعظم
سل انى السيف ضاق به الفضا وضاقت على الاعدا منه المخارم
ساديني سهب القذف يجل مثلها في المنف للباغي الرحيم دواجم
تعرض منها فوق عرض عارض سحاب المنايا فوقه متراكم
تلبس لواح مثل عقول ملجا وليس لعارض له بيت مثل عاصم
ترهت عن اموال من انت نائل فقد جملت بين الجيوش المقاسم
فمثل ارواح تنقلها الظبى وسمر العوالي والبلاد مغانم
فلا يورد الا بازهد مورد ولا مرتع الا رعته المناسم
تسيغك للخصم المعاند كاهم وعدلك للشكوى وللجود شاكم
لطلت السطايا لعدل حتى بالفت اسود الشرى المطفلات الروائم
ليثني ابو الغارات تمادت جوده على ما له دهر المضيع المسالم
وبيعتها شعب النواصي كانها ذباب رياب الغضى غدي عليها الضراغم
فرح العدى من بأسكم انهم يرى اليها ولم يشعروا دى واداهم
فلما ابادتهم سيوفهم واغلقت على الارض منهم طلة ورمطا لهم
غرونهم في البحر حتى كان الاسماطيل فيه موجه المتلاطم
بغرهنا تجرفوق دهم كانما على الماطير ما لهن قوادم

تصرفها فرسانها بأعنة جرت حيث لم نوصل بعض الشكائم
اذا دفعوها بالت فرسان غارة سروا بجياد ملطهن قوائم
لسوق اساطيل الفرنج البهم حامر وطير للفرنج ابشائم
دما وهم في البحر حمرا سواح فها هم في البر تحمر حرائم
لم يغف في بحر من الارض هادب ولم يخ في لج من البحر عائم
وعاد الاسارى يردفين وسفنهم تقاد كما قادة المهاري الخزائم
وقد شمر الملكان في الله طالبا رضاه بعزم لم تعقه اللوائم
وفا ما بنصر الدين والله قايم بنصرهما ما دام للسيف قائم
امير الجيوش استخلفه تاج لشكره يبدي مثل ما هو كاتم
ولولا رجا الملك الصالح الذي بدولته الدهر المقطب باسم
واني امني النفس لتبر بانه وما كان تبلى للسحايب لاثم
قضيت لبعدي من دياره ندامة ولا عجب ان بات بالهم نادم

وكتب ايضا الصالح الى اسامه قصيدة

تالله الفتى من الحواجب ترمى باسهمها الصوايب
لما انتضت بنو رهن لمن في ليل الذوايب
وكذا البدور التم لا يبرزن الا في الغياهب
من كل انسة بجلل شعرها تبض المناكب
ما زال يجلف طالع منها بافق المجد غارب
وتركلسا هنتا الصواهل والعواسل والقواضب
وظلال ارماح نمدت تغرا لغور لها مسارب
شهدت لنا بالباس حين غدت تفلله المضارب
والسابغات تزد فوق شموسنا منها سحايب
ولنا اذا ما اظلمت اعراض قوم بالمنالب
نحن صون الشمس نور ملا المشارق والمغارب
ولقد اخذنا الملك باستحقاقنا لا اخذ غاصب

والحرب تقلماد تروع بعضها بعض الكرام عما
يطل لطعنة نصها بعضها و بطعنة فلذ اليسا ما
ما كان الا احمر اد لضعف و لسكر كال بها ر ما

ولرب وعد خامل بلغته اعلا المراتب
ورفعت منه فصار مرتفعا على اعلا الكواكب
غرحديث السن سن الغدر في كل المذاهب
قد فتنه حيا وماقات بمصرعه النوادب
والبك مجد الدين بكر المرتهن يوما الخاطب
نادى لرحب الباع بكرم عنده مثوى الغرايب

فكتب اليه اسامه قصيده منها

اطع الهوى واعص المناصب واصرف عن الواشي المراقب
وانظر الى الاغصان حاملة شموسا في غياهب
فحذار يا اسد الشرى من تلك الحاظ الربارب
غضبان ذا غديه على ما كان منه من مغاضب
دع ذا فما عذر الفتى في غيه والعود شايب
والاربعه تمنع الكرما ان يغشوا المعايب
والجمل ان يلوذ له اخوا السنين صاحب
قل للسيد الجزل العطايا والمواهب
الصالح الملك الذي منه تفرعت المناقب
فالبسط يمينك فهي عز لم يزل عذب المشارب
واعمرهم سدى يلوذ لهم اذا خانوك طالب
فاذا تساوي في ولايه شاهد منهم وغايب
فاحفظهم بهم سويك في الحوادث والنوايب
هذا وفي صدري شجون صفي عنهن التراييب
وابتلى ولاك تمنى داك تختلف المذاهب
اطنبته احدى ملوك الروم ارباب المناصب
هلا امرت بقتله بين الملا قتل العقارب
ام لنت قدما سمعتك فصدقت وهو افشى كاذب

ناهب

هلا الروانك صاهم بالنفاق لهم من آفات وعلام بلتى مر الروما كغا تر بالكتائب
افكله واسعفنا لو نعشم الفواكي والنواد ب واحبله موعظه لمن رام العظيم من الكتائب
هذا هوا الغمر الكلال تما عه بالسب لا عجب فتنا فس الاسل ع فيه فكاس عجب

109 ١٠٩

ومما كتبه الصالح الى اسامه من قصيده
ايها المنقدي انت على البعد صديق ونعم الصديق
واهم المهم امر جهاد الكفر ثم نشرع فيه فغدرنا التحقيق
واملتهم منا السرايا فما تشاهد تلو رمنها طهرو طروق
وانتظرنا ان جفننا برو نور الدين علما منا بانه شفيق
وهو الان في امان من الله وما نعترته انشر يعوق
قل له الاعداء راى وكان لايه دكل خير طريق
انت في حسمه ذا طاعته الكفار دال المرحو والمرموق

فاجابه اسامه

كم الى كم يلحى المحب المشوق وهو من سكره الهوى لا يفيق
حملوه وهو الضعيف من التعنيف بهم واللوم ما لا يطيق
شجعوه على القطيعه والصب من الصد والفراق فروق
ودعوه من ساحل البحر والمسلين في لجة الغرام غريق
واخوا الوجد مالى قلبه المحجوب بالحب للسلو طريق
واذا انفنه الدموع اسعمت وهمت وهي لولوي عقيق
مثل منهل انعم الملك الصالح يروي دانيه وسحيق
ملك زاده التواضع لله جلالا يروع شم يروق
ما امير الجيوش ما زال للاسلام والدين منك وكره وثيق
ملك عادل اثاريه الدين فعم الاسلام منه الشروق
ماله عن جهاد الكفر والعدل وفعل الخيرات شغل يعوق
هو مثل الحسام مصدر صقيل طرسه حدود لبيق
ناسلما للاسلام لهفين ما طرزت ثوم الظلام برق خفوق

وكتب الصالح الى اسامه اصدرنا هذا الكتاب الى المظفر المنصور
الكامل لما نجده قبلنا بعد توجه الرسل الساير من حضرتنا الى الملك العادل نور الدين
ادام الله له التاييد والنصر من تواصل العساكر الينا وتقدم الحشود المتواتره العدد

عليناو وفود الاجلين فارس المسلمين وركن الاسلام زاد الله في علاهما وكبت حسد
واعدابهما الي الباب في الجيوش التي سدت الفضا وملات البيدا وبهرت النواظر
عده وعديدا واوسعت المباهي المكاثر خيلا مسومة وحديدا وجا النفير من العربان
والرواجل التي غصي قبل احصابهم وبتنزه مختبرهم وقايدهم عن ان يسوقهم سوق
العصاد في نهار يوم الاحد لاثنتي ليلة خلت من رجب استخرنا الله تعالى وبرزنا
عميلين ضاله منتظرين الفتوح براس الطالبه مستميين لما خلعنا عليه من النهوض المتقدر
في الجنود وتفرقة العطا الموفر في سائر العربان والحشوه طالبين بذلك وجه الله وثوا
الذي هو اكبر غنم واجل قسم وكان بنا والله المشيه قد نهضنا بانفسنا وسرنا بجموعنا لاثرنا
فضل الجهاد على لين المهاد ومشقة العمل بالعرض على طيب الدعه والخفض وكنا قد
اصحبنا الرسل الي الملك العادل فقصرناه عن استنهاضه وضرب ميعاد بيننا وبينه
الي مكان معلوم في وقت محدود نجتمع معه فيه ونستعين بالله جميعا على استيصال
هذا العدو اللعين وانقاذ الشام من ايدي الكفرة الملحدين وحلفنا له يمينا موكده على
انا لا نخلف الميعاد وانا وامرنا ولا نتكل او نقصر في جهاد من جاورنا وتاخذنا ولا يثني
عزمنا عما شرطناه ولا ينتهي وجهتنا التي نتوجه لها دون ما قصدناه وقصرناه
والامير يعلم ما يلزمنا في الكلف في هذه الحال الذي مد طرق الافرنج هذه البلاد لم يتكلفها
احد من ملوك الديار المصريه سوي لافضل ما خزن من الذخاير وبذل من الاموال الجمة والعساكر
وقد تعاطينا نخله معونا اخر الزمان واحين انا ان شا الله في عليه ونجري من الغاية القصوى
الي ما لم يجر اليه فليصو عند الملك العادل هذه الحال ليصورها ويقررها لحسبانها وليستا
في المطالعة لنا بما يجد دقيله وحدث في البلاد من الامور التي يطلع الي معرفتها فانه قد اخل
به واهله نحو يعلم لرسلونا اليه ونمو بلينا في المهات عليه لفرط رغبتنا في السمر يقرب الاستقفار
فضمنا ما تضمنه كتابنا الي الملك العادل في تفسيره لموتر اسير لذلك واشهر لامر وقد حملنا
ثني هذه المكاتبه ليقف عليها ويصلح خللا ان كان فيها وتعيرها بتوليته لاذاعتها
جالامر يريدها بتكلفة لاشاعتها دواء وحلالا ناسمع الاذنا اليه اسرع ومنه اسمع وايراده
لها فيها عاوله المغ وانجع والامير لا يعب مطالعتنا ولا يهمل مهنتنا ومراسلتنا فهو عندنا
القوي الامين وله من انفسنا المكان المكين فليعلم ذلك وليعمل به فكتب اليه اسامة

جواب

جوابا ه وينهي وقوفه على المثال العالي المشتمل علي انعامه الضافي عليه السابغ
وفضله الذي حيث حمل فهو واصل اليه بالغ ما بيته وهو جوار الصعب من كتب وبلغ اذا
تباعد عنه واغرب في الطلب ينقب عنه في البلاد ويباري اليه سبيل العهاد فهو عيثه
الهامي وعوثه المانع الحامي نعقل ثناه بشوارد الفضل ويمرح جنابه في ازمة الحمل
نشكره وتمليك رقه لا يتوفيان بالبير حقه لله درا وراق تضمنت منا مثقلا للا عناق
لكنها خرقت العادة في الملوك وعدلت من السنن المسلوك يوم فيه بالملوك مجلس
المولى الملك العادل ومفاوضته في ميعاد يضربه للقا علي مناجزة الاعدا وكان الملوك
من اهل الشام في ذلك الوقت لمرض المولى المالك في عدد الاموات لا يفرقون بين ما مضى ومن
ما هوات الناس بهم حايره وقلوبهم طايره والعدو عليهم كلب وحالهم مضطرب
مكان يقصر الملوك لهذا السبب الذي احمد الله فيه العاقبة والمنقلب وقد خابر
المجلس العالي من ذلك على البعد ما اشتهر وظهر من تاسفه وتوجعه ما ما ظهر فكيف
بالام المملوك على تلطفه وتشعب فكره وولهه على من ملاك بفضله رقه وطوق بانعامه
عنقه وعالي طله والخطوب بكربه والحوادث تطلبه فاجله راس عمدان وجعله ينظر
من علي الي الزمان وداس جماجه الكبير وانقصه وعم من انعامه ما نقله كان عبده
ومسيره الي الجهاد بالعديد والعدد وقد ندب مملوكه الامير نجم الدين الاحضار الامرا
الارتقيه وعساكرهم وهو الجم الغفير والعدد الكثير وسير من الامرا الاماثل جماعة كبيره
كل واحد منهم الي جهة ليستدعي العساكر وظهر من شريف الاهتمام وماضي الاعتزام
في انفاق الاموال وجمع الرجال واستدعا الامرا الاكابر ارباب الممالك والعساكر
ما لو كان يفيد من السنين الخاليه ما كان يبقي للكفرة باقيه والله تعالى يمده بنصره
ويجعل الملايكة من اعوانه وجنوده فهو في هذا الجانب فيه الاسلام التي يلجا اليها ونصرته
التي يعتمد عليها وهذا وقت ارتهان العزايم المليكه الصالحيه امضاها الله واعلاها
ومكن سيوفها من هام اعداها ومواصله بلاد العدو لعنه بالمقانب والعساكر وتجهيز
اول في دكره اخر حتى يقطع الله دابر اولي الكفر والعناد وليسترجع لسيوف الملكين الصالح
والعادل البلاد والله تعالى ينصرهما ويقرب بالاعدا ظفرهما ينهي انه قد شاع

في بلاد الشام ان العساكر المنصوره لاتغب الغارات على العدو وطروق بلاده في الرواح
والغدو والايدي بالدعا لمالك الرق مرفوعه والادعية الصالحة مجابه مسموعه على ان
الامال في الهمم العاليه متطلعه الى اكثر من هذه الاحوال الجارية لما في النفوس منهامس
الاجلال والاعظام وما جمعه الله تعالى لمجلس العالي من الورع والكرم والاقدام فلهذا
يستصغر له الكبير ويستقل له العظيم الكثير وقد تيسر المطلوب واتفقت النيات
والقلوب بما عذر الصوارم عن مد القضب الى الجماجم وما احجام الاسد الضاريه عن الكلاب
لعاديه الذين هم سور السيوف وبغيه صرعى الحتوف فاذا شرعت فيهم السيوف
المالكيه الصالحيه من هناك والملوك العادليه اوردتهم موارد الهلاك وان تربت
ذلك بمشيه الله تعالى ولا يتاخر وهو تعالى يتعجل منه ما يتوقع وينتظر والمملوك يتشوف
الى همنا من مطالعته لما تضمنت الاجابه الكريمه المكيه العادليه فانها تشتمل على ما
يتطلع اليه ويفصح عما يقول عليه وللاراء العاليه مزيد العلو والقدره ○

ومنهم ابو شجاع شاور بن مجير بن نزار من ولد ابي ذويب عبد
الله وهو والد حليمه مرضع رسول صلى الله عليه وسلم وزير لم يتهيا له امر غالب
مدته ولا اضطفوا في نفس من خناق شدة التشعث في مال تدبيره الخروق ووسعت
في زمانه اكثر من ملئها الفتوق واحوجته غير الحوادث وبلايا النوادث الى ان
انتجع حمى الشام ملتجيا الى اعانه مرتقيا لو عاد حتى اضر خدا اسد يقطع نياط
القلوب زئيره ويحرق لجج البحار زفيره سري بوم المقام النوري ويستوضح
بزناده الوري فرده عليه باموا عقابه وانهد معه الجيوش عسكا لعقد ذا به على ابود
ضمنها للشهيد نور الدين ثم مادى فيها الاذكار الى واثل والا قام لها الانيا من الوشاني
لاهل بال ماسا بهم حتى اذا استكتله دهما مصر واغاله بارق النصر منعهم حتى
موارد الافوات واستردل حتى كاد بطالبهم بالفوات ودافع بالجيش المطل سبيته عاد
فحان بالسيف الصلاحي سبب اذنا اجله رطل به حيث ام عاقبته وجعله قال ابن خلكان
كان الصالح بن رزيك قد ولاه الصعيد الاعلى ثم ندم على توليته وكان الصالح بعد لنفسه حين
جرح واشرف على الموت ثلاث غلطات احداها توليته شاور وثانيها بنا الجامع
خارج باب زويله فانه صار عونا على من يحاصر القاهره وثالثها خروجه الى بلبيس

بالعساكر
ورجوعه

ورجوعه بعد ان انفق اكثر من مايتي الف دينار حيث لم يتم الى بلاد الشام
ويفتح بيت المقدس ويستاصل شافة الفرنج وقد تقدم في ترجمة الصالح
ابن رزيك قدوم شاور من الصعيد الى القاهره وهروب العادل بن الصالح ولما
قتله اخذ موضعه من الوزاره واستولى ثم توجه سنة ثمان وخمسين وخمسمايه
في شهر رمضان منها الى الشام مستنجدا بالشهيد نور الدين محمود بن زنكي لما تغلب
عليه ابو الاشبال ضرغام بن عامر الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري بجموع
كثيره وغلبه واخرجه من القاهره وقتل ولده طيا وولي الوزاره مكانه كعادة
المصريين وانجده اسد الدين شيركوه وتردد معه الى القاهره دفعات وقتل
شاور في ربيع الاخر سنة اربع وستين وخمسمايه ودفن في تربه ولده طي
بالقرافة الصغرى وذكر صاحب تحفة الخلفا ان السلطان صلاح الدين اوقع
به وكان اذ ذاك صحبة عمه اسد الدين وان كان قتله كان في منتصف جمادى
الاولى من السنة المذكوره وذكر ابن شداد في سيرة صلاح الدين ان شاور
المذكور خرج الى اسد الدين في موكبه فلم يتجاسر عليه احد الا صلاح الدين فانه تلقاه
وسار الى ركابه واخذ بتلابيبه وامر العسكر بقصد اصحابه ففروا ونهبهم
العسكر وانزل شاور في خيمة منفرده وجاء في الحال توقيع على يد خادم خاص
من جهة المصريين يقول لا بد من راسه جريا على عادتهم مع وزرائهم فحز راسه
وانفذ اليهم وسير الى اسد الدين خلع الوزاره فلبسها وسار ودخل القصر وترتب
وزيرا وذكر ابن عساكر ان شاور لما وصل الى نور الدين مستنجدا اكرمه واحترمه
وبعث معه جيشا فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفا بما وعد من جهته ثم ان شاور بعث
الى ملك الفرنج واستنجده وضمن له اموالا فرجع عسكر نور الدين ثم انه جهز اليها
عسكرا فلما سمع العدو بتوجه جيشه رجعوا خايبين واطلع من شاور على المخامره
وانه قد راسل العدو وطمعه في الطايفه الاخيفه من شره تمارض اسد الدين فجاء شاور عايدا
فوثب جرديك وبرغش مولايا نور الدين فقتلا شاور وكان ذلك براي الملك الناصر صلاح
الدين فانه اول من تولى القبض وامد يده بالمكروه اليه وفوض الامر لاسد الدين فظهرت
السنه بالديار المصريه وخطب فيها للدولة العباسيه وللفقيه عماره اليمني في شاور مدا

منها قوله صخر الحديد من الحديد وشاور من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر
ه
وحكى الفقيه عمارة انه لما تولى شاور الامر وانقرضت دولة بني رزيك جلس شاور وحوله
جماعة من اصحاب رزيك وممن لهم عليهم احسان وانعام فوقعوا في بني رزيك تقربا الى قلب
شاور وكان الصالح بن رزيك وابنه العادل قد احسنا الى عمارة عند دخوله الى الديار
المصرية قال فانشدته
صحت بدولتك الايام من سقم وزال ما يشتكيه الدهر من الم
زالت ليالي بني رزيك وانقرضت والحمد والذم فيها غير منصرم
ه كان صالحهم يوما وعادلهم في صدر ذا الدست لم تقعد ولم تقم
كنا نظن وبعض الظن مأثمة بان ذلك جمع غير منهزم
ه فمذ وقعت وقوع النسر خانهم من كان مجتمعا من ذلك الرخم
وما قصدت بتعظيمي عداك سوى تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم
ه ولو شكرت لياليهم محافظة لعهدها لم يكن بالعهد من قدم
والله يأمر بالاحسان عارفة منه وينهى عن الفحشاء في الكلم
قال فشكر في شاور وولده على الوفاة لبني رزيك واما الملك المنصور ابو الاشبال
ضرغام بن سوار اللخمي فانه لما وصل شاور بالعساكر من الشام خرج من القاهرة وقتل
في جمادى الاخرة وقيل في رجب سنة تسع وخمسين وحزوا راسه وطافوا به على رمح
وبقيت جثته هناك ثلاثة ايام تأكل منها الكلاب ثم دفن عند بركة الفيل وعمرت عليه
قبة

ومنهم اسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان ابو الحرث

الملك المنصور اسد لا يقدر على الغابة ولا عيد لمن عدم ابقاه قاد الجيوش وساسها
ووطئ البلاد وداسها حتى ولج من مصر عرينه ودخل من دار الوزارة جيشه كان الامراء
النورية واهل الادار النورية معروفا بقوة الجلد موصوفا بالشجاعة التي هي من صفات
الاسد وكان مثريا من المال موريا نار رأيه في محل الليالي انتهى من الملك والعقار ما استقطع
موانع الامطار حتى ظن نور الدين انه ربما ظلم وحصل هذا بما صدع به زجاج الرعايا
وتألم فبنى دارا ليجلس فيها بعض الايام ويحكي فيها شكايات الانام وسماها دار العدل
جعل من سمعها ان نور الدين يجلس فيها مجلسا عاما لا يمنع عليه فيه والج ولا يعترض

داخل ولا خارج وكان باطن قصده ان يتوصل اليه من له شكوى على اسد الدين
وهيهات ان يخلص من الاسد فريسته او يغلب عليه حشيشه وتفطن اسد الدين
لمراده وفهم قصده فاصدر له قبل ايراده وجمع وكلاءه ونوابه فاطلعهم على ما
هجس في خاطره وراى من لوامع البرق النوري قبل مواطره وقال اقسم بالله
لئن ترتسموه بتبليغ املا او يقف له من يشكو اليه لتسيبنا ضعفا او تطلا
لآخذن مما فيه لئن ترسموه بلغ فلما تمت تلك الدار وجلس بها نور الدين لم يرفع
اليه فيها بسبب اسد الدين قصة ولا نفثت له بالشكوى عليه غصة فما زاد على ان
قال الحمد لله الذي جعل اهل دولتنا ينصفون من انفسهم ثم قام من جماعته عنه
ولم يعد الى مجلسه ولما استغرب كلاب الفرنج على مصر وشامر هم الدنية وزلزلوا
صاحب القصر ركانه المبنية انفذ شاور الى الابواب النورية مستنجدا فانجدهم
بجيش تقدم عليهم من شيركوه اسدا لما سكن باهل القصر الزلزال ودفع عنهم النزال غدر
شاور وخنز وقطع مواد الجيش الاسدي ومرى فعاد اسد الدين بحنق وجهه
من الغضب وعاد اشر الفرنج موقد جمرهم وكان قد فتر فكر شاور راجعا يستنجد
نور الدين فانجده بيبرود لك الاسد الضرغام واردفه ليدرا عن غيله بالاقدام
واخرج معه كاده صلاح الدين اخيه لامر اراده الله تمامه والقى اليه زمامه فكان
من امرهم الكره ما كان وقتل شاور وطل دمه وهان وخطب العاضد اسد الدين ب ن
للوزارة وقلده طوقها وحمله اوقها ثم لم تطل ايامه حتى دهمه ما كان يتوقعه فتحه
من حمامه وكان قد … والموت كامن في سوالفها الاسد القسورة والنقد تقدم من حديثه
نبذة في ترجمة شاور وقال ابن شداد كان اسد الدين كثير الاكل المواظبة
على تناول اللحوم الغليظة متواترا عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة
شديدة عظيمة فاخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله يوم السبت
الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة ودفن بالقاهرة
ثم نقل الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه ولم يخلف
ولدا سوى الملك القاهر ناصر الدين محمد ولما مات اسد الدين اخذ نور الدين منهم
حمص في رجب سنة اربع وستين فلما ملك صلاح الدين الشام اعطى حمص لناصر

الدين المذكور ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفه في احدي وثمانين وخمسمايه
ونقلته زوجته بنت عمه ست الشام بنت ايوب الي تربتها التي بمدرستها
بدمشق ظاهر البلد ودفنته عند اخيها شمس الدوله توران شاه بن ايوب
وملك بعده ولده اسد الدين شيركوه ومولده سنة تسع وستين وخمسمايه وتوفي
في رجب سنة سبع وثلثين وستمايه وكانت له ايضا الرحبه وتدمر وما كين
من بلد الخابور وخلف جماعة من الاولاد فقام في الملك مقامه ولده الملك المنصور
ناصر الدين ابرهيم ولم يزل حتى توفي في صفر سنه اربع واربعين وستمايه
بالنيرب من غوطه دمشق ونقل الي حمص وترتب مكانه ولده الاشرف
مظفر الدين ابو الفتح موسى ومولده سنة سبع وعشرون وستمايه ولما بشر
به والده قال للملك الاشرف يا خوند قد زاد في مماليكك واحد فقال له
سمه باسمي فسماه الاشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى وكانت وفاة الاشرف
هذا بحمص في صفر سنة اثنتين وستين وخرج شيركوه سنة خمس وخمسين
وستمايه من دمشق على طريق تيما وخيبر وكانت ولاية اسد الدين للوزاره يوم
الاربعا سابع عشر ربيع الاخر سنه اربع وستين وخمسمايه واقام بها شهرين
وخمسة ايام رحمه الله تعالى **ومنهم الوزير صفي الدين**
بن شكر وزير يعلو من العلا وبعساايامه امتدا دالظل اعرق في نسبه الفخار وضاق
السحاب حتى تمنى منه القرار الي سعه في المهام ودفعه عن المرام الا انه كان يحب
التقدم عند الملوك لا يبالي بما يعمل ولا يعبا بسحاب الدم ولو احتفل وكان اقوى
من الصخر الصم لمسا واشد من الحديدة الخشنا مسًا ولي اولا النظر وبصره شل
قلبه صويد وباسه شل بوسه شديد وذلك على العهد الناصري الصلاحي فكثر
في تشكيه الالحاح ورايي انه مما في زمن ذلك الصلاح وكان الفاضل بغضه
مقت المريض الدوا وبغضه بعض الكلاب الما كان يقصد تقبيد قوله وتقليل كلمه
والفاضل يرجع تلك الدوله في يمينه وقمع تلك الفرق بتمكينه وكان على هذا لا يقدر
على هضمه ولا يعد له فقال مرة وان ابن شكر فهو الذي لا يشكر واذا ذكرت الاشيا
فهي الشي الذي لا يذكر وقال مرة اخري وقد بلغه انه وزر وكان خبيرًا طابخًا

الا انه اهضه

الا انه اهضه وحل وما تحقق صحته وجهه فقال واما ابن شكر فقد قال اناس
وزر وقال اناس كلا ولو زر انتهى كلامه قلت كان ابن شكر من
الفقها العلما اشتغل على مذهب مالك بن انس رضي الله عنه وتقدم فيه
وحضر الدروس وناظر الفقها وافتى ثم علق بخدم السلاطين وباشر امور
الدواوين وكان يقول انه من قريش وسمعت بقا يا بنيه يقولون انهم من بني
مخزوم ورايت بخط من يوثق به في علم النسب انهم من العرب وليسوا من قريش
ولا عصر في الان الي من يشبههم ولا من اي الاخرين يلبس وبين حسبهم وترقى في
المباشرات الى ان ولي نظر الدواوين بمصر سنة السلطان صلاح الدين
وشرع في قطع الارزاق واحداث المطالبه وكان الفاضل يقصد عزله ويصفه موز
بالظلم والقوة ولا يقدر لان الملك العادل كان ظهيرا لابن شكر ومشيا له
وكان ما فيا في عمله يسد الاعمال ويثمر الاموال وينهض بتكاليف الكلف واعبا
المهمات وكان يحب السلطان منه هاتيه ويلبسه على علاته وكان سمحا
جوادا لو بما صنف كتابا في الفقه وجعل لمن يحفظه مايه دينار افغرضه
قلبه زياده على مايتي نفر واعطاه واجمل لهم وبني بالقاهرة المعزية مدرسة
على المدرسة المالكيه وهي من مدارس مصر الجليله المذكوره معني وصورة وكان ممدحا
مجزلا في جوايز الشعرا وكان مغرما بالنسا والجواري كثير النكاح مخارفا في اتيانهن
قال به لذة النظر في هذا العمى وولي الوزاره بعد العهد الصلاحي وعظم مكانه وكان
على هذا انه اذا سافر السلطان وخرج معه يخرج ببغله واحده يحسب معه وركب
هو على جمال الثقل تو طاله على بعض الحمول ليركب ولا ياخذ معه غلاما ولا طباخا
بل غلمان السلطان تخدمه وتنصب له الخيمه ويا تيه الطعام من مطبخ السلطان
والشراب من شراب خاناته على هاتيه لا يجاوز قدر ما يحتاج اليه يكتفي بالزبديه
الواحده ولا يزيد عليها ولم يزل على علياته وهبوب رياحه الى ان كف بصره واخذ
من سواد عينيه جوهره وكان مع هذا يحضر عند السلطان ويخرج ويباشر
الديوان وقد اخذ عاده بالطريق التي يسلكها حتى يجلس بين يدي السلطان ويده
على كتابه ما يحتاج ما يحتاج الوزير الي كتابه مثله من المهمات الي ان نبه السلطان على

نجله حبا لدوام الرياسه فانكر السلطان هذا وقال لم افقد شيا منه حال صحته
فقيل له لو اختبره السلطان لظهر له هذا بالعيان فقال كيف فقال ان يقعد
السلطان في موضع غير مقعوده الذي جرت عادته به فجلس ثم طلبه فاتى على
عادته ثم جلس في مكانه الذي كان يجلس فيه بين يدي السلطان فقال له
السلطان ما انا هناك قم الي فقام لا يعرف كيف يمشي حتى اخذ بيده من حضر
ثم قال له السلطان اكتب الى كذا وكذا وامرح عليه لسيا مطولا يكتبه
فلم يقدر فتحقق السلطان ما قيل له فقال له ما حملك على ما صابرت
نعسك عليه فقال حبا لقرب السلطان فقال له هذا حاصل وابدا بهما
فيه الراحه لك توفي ابن شكر ودفن بقبة بناها جوار مدرسته

ومنهم شرف الدين الفايزي واسمه هبة الله بن صاعد وزير
عنه لا نسل ادا اعسق الاسل دونه الملك الكندي المغترب وصاحب الصمصامه
عمرو بن معدي لولاقى بن الصمه لاصمه او ذا الخمار لقتله ووهب
الخمار امه وكان على هذه الشجاعه والسطا التي بامرها سباع الطير المجاعه
لا تحصى فوايده ولا تحصر في الكرم عوايده لا تطوي للقرى موايده ولا تطفا به للقراع
نار لا مست مثلها ولا يده كان خرق اليد بن طرق الغمام لو وطي هام الفرقد
افتني من الغلمان الاتراك ما اصبحوا امرا وامسوا من السيوف الاتراك
وكان يغالي فيهم اثمانا وسعى منهم اعصانا تثمر اغصانها اقمارا وتقل كثبانا وكان
على هذا الابيت ضجيعه الا العفاف ولا رضيعه من عامية الاسوا لف السلاف
وكان اعرابي الكرم في طعامه زعيم بره وانعامه رحابه معموده بالمناهج
مملوه بالدبايج كان كل ايامه ايام منى وكان كل اوقاته اوقات هنا الاتراك
لياليه شريفه وبده للدما مريقه وساحاته رياضا زواهر كانها كلها شقيقه
وهو جد الصاحب تاج الدين بن حنا لامه وبه كان يفتخر من جدبه ويملا
اذا ذكر يديه فقد كان واحدا لا تخلف له مواعد وكريما لا تنزحر له مواعيد
وعليا لا ينكر له وجده كابيه صاعد هذا الي سنر بسبل على الجرايم وسبع على
الرعايا اسباغ مثله منه على اللايم ولم يستطع مماثل ان يجيء اقله ولا وكد

الزمان

الزمان بعده مثله قال ـــــــــ ابن اليونيني كان في صباه نصرانيا ويلقب بالاسعد
وهو منسوب الى الملك الفايز ابرهيم بن العادل لانه كان خدمه اولا ثم اسلم وترقى
وكانت عنده رياسه ومكارم ونفسه تسموا الى الرتب العاليه وخدم الكامل بعد
موت الفايز ثم خدم ابنه الصالح وتنقلت به الاحوال حتى استوزره المعز بعد
قاضي القضاة تاج الدين العلائي ابن بنت الاعز وكان عنده حتى كان في خواص الامور
وتقدم على الجيش في الحرب قلت كان الركن الهرمي عند اختلال الدوله واعلال
الصوله قد خرج بالصعيد واستمال اكثر سكانه وساير عربانه وتلقب بالمنصور ودام
الملك ورامى فما اخطاه الملك فخرج اليه الفايزي في الطايفه من العسكر وقدم قدامه
مملوكه شهاب الدين جلدك الى الشريف فغلب لسرده لدنوا فرا العربان ومهد المقدمه
فانجح سعي جلدك ومهد له المسالك فقال ـــــ السراج الوراق في ذلك
نجحت اذ بعثت تلك الرساله وعلى نجحها اقمت الدلاله
مثل من لم يؤمن بها وكفى الله بها من هديت شر الضلاله
وسللت الامعان من كل صدر فيه نفس محتاله مغتاله
ورد الجهل ما استعار وما امهله الدهر ان يطيل مطاله
كلما احال في حياله كد لسواه مادته تلك الحباله
ان من عانه السعاده ما اظهر الاخونه واختلاله
للوزير بن صاعد ما نه الله سعودا اجرت على النصر فاله
ونجاح يلوح في كل امر وفلاح سني في كل حاله
ولقد انذر العدى بشهاب تتلظى شجاعه وبساله
قلت لما انتهى الى المجد مسعاه اجل ما ورثها عن كلاله
ثم اتى الصاحب في جيش يضيق به الفضا ويحى به القضا فالت ملك الهرمي الى الهزم وترك
ولده وانهزم فقال السراج الوراق لما صحت عزمه الوزير البجاحا وارسامح الفلاح فلاحا
واختلينا وجها علاه السرور تغنيا ما سقاه قلاحا
واجتنينا ثمار ما غرس النصر وليس الغصون الا الرماحا
ان للعزم موقعا من نفوس لم يجد في ركوب هول جناحا

كفساد سابها للمسلمين صلاحا
النفاق بسهم لم يزل سهمه المعلى قداحا
النفس حتى مس الملك وادعا واسه احا
عاقد اللواء مرتشر السماسنه جناحا
من عجاج بليل ما ادانا الا الصفاح صباحا
الحسين ملا السطين حالا ونحل وتماحا

عضد الله شافه
ورمى عصبته
ما الذي جد سعب
عرف والنصر
سترا لشمس
واستفاد

فهان البطاح سا لنحورا وكان البحور سالت بطاحا
ركبوها جردا وملكا سلوت فاستطارت بوارقا ورماحا
وبك سانيك لا اقلته ارض كيف قد دام السما نطاحا
وحمو من اعلى لبساح فلما زاد الك مان يحمى النباحا
ولين ما دولى بنه نمى الاحسام دعوا ما فاد الارواحا
وكمينا لو اسماحك صفحا لتداركت بالغمود الصفاحا
ابدا ابن صاعد جدك الصاعد فاصحب في كل امر نجاحا
علا وطال دله لا اباها الله من يك السعيد انتزاحا
سقها نحو غنايم من خيل ومال سدا الفاني الفياحا

قال ابن اليونيني وكان المعز يكتب اليه المملوك وكان في الفايزي كرم طباع واريحيه وحسن
تطريه حتى من يصحبه ويتمنى اليه ولم تزل منزلته عند الملك المعز في تزيد الى ان قتل
وتملك ولده فباشر وزارته وهو مضطرب متحيل متوقع للنكبه فقبض عليه قطز وكان
مدبر دولة المنصور ابن المعز واخذ خطه بماية الف دينار لنفسه وبقي معتقلا وكان يتهم
بالاموال الكثيره وحكى عن البرهان السنجاري انه قال دخلت اليه في محبسه فسالني ان اتحدث
في اطلاقه على ان يحمل في كل يوم مباح الف دينار فقلت له كيف تقدر على هذا فقال اقدر عليه
الى تمام سنه والى سنه يفرج الله فلم يلتفت المعز اليه الى ذلك بل عجلوا هلاكه فخنق وحمل الى
القرافه ودفن بها وذكر ابن اليونيني ان بطريق مصاهرة فخر الدين محمد بن حناله لتزوجه ابنته تزوج
ابوه الصاحب بها الدين الوزاره قال ونالت ابنه الفايزي من السعادة في الايام ما لا يوصف
وتوفيت وكانت كثيرة البر والمعروف مفرطه في السمن قال وقد آل الحال بابن الفايزي لما ان رغب
ان يخدم في بعض الزوع بالاسكندريه وانشد لبعض الشعرا يهجوه واظنه ابن بها منيه في اول حاله
خلق الاسعد ما جاز وقد شهدت افعاله المستبهه
بعد ستون تهذا عدوا عن سمات الرشى منزهه
فالبغال الشهب من انزله والجوادي الترك من اي جهه
وانشد الخطيب ابن المسرفه مد من غزله
الا ايها البدر المنير واني لاخجل ان شبهت وجهك بالبدر
لئن غبت عن عيني وشطت بك النوى لما زلت استحليك بالوهم في فكري

يا قرينا دونا لا قارب مني ووليي من ساير الاولياء
خدعروس الرثا مني محلا في ثياب من صفوتي وولاي قلت ولم ال الوزاره بمصر بعد
شاور والى زمانه مثله وكان واسع النعمه عريض الجاه كثير السعادة في كل الامور لا سيما
بتوجه اليه وكان له العدد الكثير من المماليك الكفاه الاعيان وتامر منهم جماعه منهم الحاج
طيبرس وطمنكي وجلدك وبيليك وساير المسميين بالوزيريه وبالفايزيه وحكى انه لم يبع مملوكا
في مدة عمره الا مملوكا واحدا طلب منه البيع مره على مره وكان قد اشتراه وهو على حد البلوغ
بثلثمايه دينار فقال له ويحك انا اشتريته وهو صبي ما ينفع بثلثمايه دينار وربيته حتى كبر
وجا نفعه ما عيب الا ماية دينار فقال له الدلال يا مولانا واي عيب له اكثر من الكبر فقال
له ولم قال لانه كان ان طلب وهو امرد لذلك العمل وبقي الان كلما له في نقص فقال او يفعل
هذا قال نعم فقال هو حر لوجه الله لا كنت واسطة سببا في ذلك ببيع ولا غيره وكان محبا
للعلما مقربا للصلحا مقبلا على الشعرا مدحه الجزار والسراج الوراق ومنه غرر القصايد وله
شعر فيه وحين ولي الوزاره الله وطد ابن صاعد رتبه مدت له فوق السهى اطنابا
شرفت نواحي الملك بالشرف الذي سحت يداه على البلاد سحابا
اقسمت لو نادى الزمان لامر ابى عاصمت به لاجابا
بذل الصنايع والمواهب للورى انديه مصطنعا لهم وهابا
متهللا بشرا وجود يمينه متهلل مثل السحاب وغابا
يا سيد الوزرا دونك مدحه احرت قوافيها اليك صوابا
خطبتك حين رات انك كفوا العلى فسعت اليك وردت الخطابا
وكذلك قوله فيه ويذكر الصلح بين الملك الناصر صاحب الشام والملك المعز صاحب مصر
وكان سعيا المتسبب له والمسعى لعقده نثني عليك الملك والدول والله والاملاك والرسل
تثني على افعالها هما ما للزمان برد ما قبل
وعزايم لك قد بلغن مدى لا البيض يبلغها ولا الرسل
ووزارة بلغت ما لكها ما شاحتى ماله امل
ان الذي استرعاك دولته لعليك بعد الله يتكل
في دولة بلغ ابن صاعدها علياء عنها النجم مستفل

ابن الزبير رين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد الوزير ابو يوسف وزير لا
يوازن في عظم الفضايل ولا يوازي في كرم الفعايل البحر ما ضمته يمينه والبدر ما اشابه
جبينه والامل قريشي والفضل كاتب ندب باح موسى سيدا لا زد وسد العظايم بالتي وسد بر
لو قذفت به الحمايب لعللها او السباسب لسدطها وكان سهل الساحه برمكي
السماحه لو باري بقلمه السيوف لقطعها او بعزمه الجبال لصدعها او اعار الليالي سعاد
لما استترت اقمارها او وهب الايام سعادته لما تناهت اعمارها يرجع الى نسب
زبيري لو انه لزبر الحديد لما لانت او لامنوا الشموس لما هانت هذا كله الى ادايه كانها
من بقايا العقود ولطايف كانها شربت ندى ورد الخدود واشعار كان زهوات العرب
نطقت او الزهر زهر الكواكب منها عمرت واتفق مولده سنه ست وثمانين وخمسمايه
وقيل غير ذلك وزر الملك المظفر وطرمش للملك الظاهر في اوايل دولته جدهم ثم صرف
بابن حنا الدين فلزم بيته الى ان ادركته منيته في ربيع الاخر سنه ثمان وستين وستمايه
بالديار المصريه وكان اماما عالما فاضلا ممدحا كثير الرياسه وله نظم جيد فمنه

لا مني والعذر مشتهر عاد لها عنه خبر   وثنا ما قال واصفه انه بالوصف منحصر
وام غصن البان قامته فانثنى من ذاك يعتذر   واستعار الظبي مقلته واكتسى من نوره القمر
اشتهر سمار عاشقه بين اخبار الورى سمر   وامام في ملاحته واثق بالحسن معتمد
اهروا عقلي بسلوته انا عاص للذي امروا   لو نقلي مثله عشقوا وبعيني حسنه نظروا
لو اعنى به وشرا ولكانوا في الهوى عذروا   وقوله مررت بقبر الشافعي ازوره
فقلت تعالى الله ملك اشار من تشير بان البحر قد ضمه قبره   وقوله
جعلوه كا يشا معيدا فاكتسى بالجنون ثوبا جديدا   ليت شعري وللزمان صنوف اي شيء ابداه حتى تعيدا
اتراك مهي سلوا في الهوى لا والذي جعل السقام ضجيعي
والعاديات فانهن مدامعي والموريات فانهن ضلوعي
لا كان تفريط المحبه والهوى مني برأي ولا مسموع
داد اروواعي احاديث العلى فحدثهم من جملة الموضوع   ومن نثره قوله

وصل ما جهزه من الاقلام وبعثه من تلك الرماح تحمل الاعلام ه وجهزه من تلك
العوال العوال واستنده من تلك الاسل الطوال وارسله من ذلك الغاب الذي

وقوله

٨

ما سمح به الا لبث جاد بسكنه وانف السوا فسمح بوطنه وقال شكرا لتلك
السول التي انبتت هذه القصب ولتلك السما التي بوات مطالع الشهب ومرحبا
بتلك الهديه التي ما احتفل بها الا معنى بالادب فبعث ينابيع الحكمه ومد معين
السحب وقيل ان قبل واردها اعدها من ظفر ظفر من ارسلها ما ضاب الاسنه
وعقد لها اعلاما على كما اسدي لها من منه وحمل بها على جيوش الاعدا افرهها وا
ردينيات تعنت درر الكواكب واحدت من الهلال الطرزها وكان ممدحا وفيه يقول السراج

اهلا بطيفك يا امام وسولا ما لبث لولاه لا يبلغ سولا
واني وصبغ الليل حان نصوله والجو يشهر للصباح نصولا
والم والجوزا عقد نطاقها قد راح من سلك الدجى محلولا
اني اهتدى طيف الخيال لمدنف عادته مثل الخلال نحولا
ولقد يزيدني الملام صبابه ويزيدني برد الزمان غليلا
وكذا يلام ابن الزبير على الندى فتراه اكرم ما يرى معذولا
ولقد يجود وما سالت نواله عفوا فكيف بجوده مسولا
صلت الجبين يلوح من قسماته بشر يقوم على السماح دليلا
اومل يعقوب دونك ماجدا ادني نداه تجاوز التاميلا
والي ابن اسما ارتمت في وجهه طالت به اسمى الكواكب طولا
نزلت بمربعه الذي من دابه ان لا يضيع من اتاه نزيلا
رنا وحي بالخط او نظم نصابها من كل صب مقاتله
رهر لنا من معطفيه مثقفا يجور علينا ناظراه وعامله
لقد طلعت قد اشرقت تحت طرم سيد نهما البسه ما احاوله
كان نجح الليل قنديل ذاهب يمني وصدغاه عليه سلاسله
وليل لو ان البدر سار نجومه ليكمل فيه البدر ان منازله
وظلت الثريا كف سمح بشرطه بارامه واجيه منها وسايله
وما هو الا ابن الزبير الذي همت يجود على كل الانام انامله
اذا استسقت الامال عن سحبا بها تدفق طل الغيث منها ووا

عتقل منها
الوراق

ابن الموصلي الى دمشق فهاداي لكابه المعرب وصدحيا له المعترب بذكو مصر وايامه بها
وابن الزبير بعشاه بديمه السواكب وعلي في حومه حيث تزاحم الثريا بالمناكب فكتب اليه
لم اسر اسجع الغيث الشامي وندي الصاحب منهل الغمام
انما ميرت لعدى عوله لدنوي عنه من عن الانام
وارتحالي اليه من كل داي بانقلات من الايدي الحسام
سائرا اخذو بامداحي اذ اجمع السير ربما بالتحام
شانا ماجي عوفه سوق عند الدهر اطواق الحمام
سائلا هي جوده السرق من وجهه ماح لظلم وظلام
واجاري كل بحر بندى كم شفا غله ظام منه طام
وازيد الوفد شوقا لعتاعوضه في كل دام وذمام
الوزير المجتبي من حسب يتهادي من كرام لكرام
اشبهت اشبالهم اسادهم فوقدا لشح منهم في العلام
اسد يون لكلاحم من منا الحظ وظفر من حسام
يا بني اشما ما اصدركم بمحل من رسول الله سامي
اسم الصاحب ذكرا لكم لم يزل حيا وانتم في الرجام
وفيه يقول
يا بني الدين الكهم وشفو فهم تحري المواهب والدم المسفوكا
وابن الاهه من قريش فهم عرف الورى الماخوذ والمتروكا
وابن الاسرع والمنابر مهدت خلايف سلكوا الصراط سلوكا
الجاعلين قلوبهم ما صدبوا ادراعهم والمرهفات سريكا
لولم لعدهم وحدتهم في الفخر الا انهم ولدوا كا
ومنهم الصاحب
بهاء الدين علي بن محمد بن سليم عرف بابن حنا ابو الحسن رجل كان صديقهم غيرامن ورفيقه بتوقع مشاوره
ارقمه الكامن لا يتعجل معه الشارب ولا يامن المستقل دبابن عقربه الضارب دخل مع الملك
الظاهر بيبرس مداخل لا تحتملها ولا تحملها الظلما وجري منه مجري الدم من العروق ووافق منه
موافقة القلعة للعقوق وكان لا يقبل منه لومه لايم ولا يسمع فيه ملامه سام ومكنه
تمكين الظالم للظالم وطول له حتى استمري له حلب البلاد بالمظالم وكان هذا الوزير يحب الصالحين

وليس

وليس منهم ويتقرب اليهم وهو ناحيه عنهم بعمل هذا اقامه لناموسه وطرقا الى ملحظ الناس من
بوسه وكان اذا راي فقيرا نزل اليه وترامي على قدميه ويتعهد فقها المدارس وسكان الربط العقود
الدوادس ويظهر التقلل من متاع الدنيا القليل ويصوم الدهر ويقوم ليله المديد ويكابد نهاره الطويل
وله صدقه تتفرق ورقه قلب تظهر ولا يتحقق هذا على انه فرعون زمانه ونمرود ايامه وضحاك دهر اياميه
اكثر وضرا من ابن الزيات واعظم علاما من ابن العلقمي على التسيات بقلب اقسى من الحجر وباس اشد من كل من حجر
واستمر ايام السعيد على نسج هذا السلوك لا يعطله تقدم قرينه ولا يضعفه ذهاب معينه الى ان اتاه
اتيه وما عجله وجاءه الاجل وما ليته لا كان اجله قال بن اليونيني كان من رجال الدهر حزما وعزما ورايا
وتدبيرا استقلت به الاحوال وتنقلت به المناصب الجليله وظهرت كفايته ودرايته وحسن نايته فا ستوزره
الملك الظاهر في اوايل دولته وفوض اليه امور مملكته مما يتعلق بالاموال والولايات والعزل لا
يعارض في ذلك ولا يشارك بل هو المستقل باعباد الك والمحيا اليه فيه ولم يزل مستمرا على ذلك الى حين
وفاة الملك الظاهر فدبر الامور احسن تدبير وساس الاحوال في سابر المملكه واحمل خلقا كثيرا ممن باواه وكان
عنده حسن ظن بالفقرا والمشايخ يحسن اليهم ويقضي حوايجهم ويبالغ في اكرامهم فكان ارباب الحوايج يتوسلون اليهم اليه فلا
يرد لهم شفاعه قال وحكي ان بعض الصلحا المتورعين قدم القاهره في اخر شعبان فطلب الاجتماع به بسبب
شخص مصادر فاجتمع به وحدثه في ذلك فاجابه وقال له هذا شهر رمضان قد اقبل واشتهي ان تصومه وتفطر
عندي واقضي لك في كل ليله عشر حوايج كاينه ما كانت فنظر ذلك الرجل الى ما يترتب على اجابته من المصالح
فصام شهر رمضان وافطر عنده فوفي له بوعده وكان كل ليله يقضي له عشر حوايج من اطلاق محبوس وولايه بطال
ومسامحه من عليه مال وهو عاجز عنه الى غير ذلك واستمر به السعيد بعد وفاة ابيه الظاهر وزاد في اكرامه واعظامه
ولم تزل حرمته تامه ومكانته عاليه وكلمته نافذه واوامره مطاعه الى حين وفاته وله بر واوقاف كثيره منها مدرسه
بزقاق القناديل بمصر وكان يتصدق بالجمل الكثيره سرا وجهرا وله مناقب كثيره وابتلي بفقد ولديه الصاحب فخر الدين
والصاحب محيي الدين مولده بمصر سنه ثلث وستمايه وتوفي بها اخر يوم الخميس سلخ ذي القعده سنه ثمان وسبعين وستمايه وصلي
عليه بكره الجمعه ودفن بالقرافه الصغري بتربته ومات وهو جد جد وكان ممدحا والشعرا تتقرب اليه بمدحه
بالدين والورع ومما عضري فيه قول السراج الوراق يهنيه بعيد الفطر له ان هنا لاعياد يوم فللاعياد تم بك الهناء
مضى شهر الصيام عليك يثني وخير دعا بالمرء الثنا جبرت به الارامل واليتامى وعند الله في ذا الجزاء
فاحييت الليالي فيه حتى بدا في الليل من شفق ضياء وكذلك قوله فيه وقد فتحت صفد من قصيده
اردف الجيش منك جيش الدعا وتقرب الوايات بالاداء وتجافت عن المضاجع جنباك وادمت قرع باب السماء

اين ما يبلغ السما نهارا من سهام الدعاء في الطلقاء، ونعم تفعل العزائم ما لا تفعل المرهفات ذات المضاء،
وكذا الملك والوزير اذا ما اعدوا الملوك بالوزراء دانقادا وفي عابدي التثليث ويلاهم بشر العناء،
اسلمتهم مصفدين الينا صفد والشقوى هي الشقاء، واستطاعوا بشاهق مسيح النون لديه ومريض العواء
تحول الاسلام في حصون منظوبة في قلاده الجوزاء معقل شيب الليالي واعيا هما الملوك والخلفاء
فخاه ملك به تبدوا الاملاك فهو المرفوع بالابتداء في عمل لوانه صدم الاسواد لعادت لوقتها كالهباء
ودعا لي الى الخاقان منه وباس سندهم وحصن عليا، بين سمر تجوله الطرف بالنقيع وبيض مخضوبة بالدماء
يا وزيرا علا الزمان منه بالآلاء منه معنى البهاء ان تقرط فانت ارفع قدرا او تهني فانت فوق الهناء

وقال فيه ايضا

فعا انسا اتعاترات خيامها وهارامه والنفس ثم مراهبها خليلي من نجد عرام لمهجتي وهل محجه الا وبخل عرامها
احار لكم الحب دون وشاتنا وبحب حال لا يرام اكتمها واعرض عن ابياتها ويشوقني هوى مهجتي تسترها هيامها
كذاك متى وجدت القوم مدحة فخرها الذين تنمي زمانها هنالك امال الوزير تحكمت وتم على مال الوزير احكامها
كريم غدا اولى الانام بسودد كذلك سادات الانام كرامها تهن الذي شهر معظما ودونك من مر الامور عظامها
ودمت بها بالاهلة مطاعطا من الاسفار عنها لتاها واجد وفيها بالهنا اهله بنو رمحان الجليل تمامها

وقال فيه ايضا

تبارك من اعطاك يابن محمد معالي لا تسعك اثر معالي وحولك الدنيا طريقا لاحتها فاملت عن حق بزور ومحال
واصبحت للاسلام احصن جنه ولا تبالي العدى ستبالي وقت مقاما ما حمت ربك عنه فخافتك اسد بالفلا وخوالي
ارى ملك الاسلام حصلا منه ربانك عاف وكل نعقا وشلك في حفظ الوديعة مثل مخاف لما قد او دعوه وكال
الملك نطا ثمات يا بحر دونه فما انا مغرور بلمع ال الى عمرها علينا بمدحه فارضي به السني والمتوالي
وقال يهنيه بشهر رمضان وبالمدرسة التي وقفها بمصر على الشافعيه كثرهم الله تعالى
٢ فيا دليل حل الصوم ضيفا محببا فناديته اهلا وسهلا ومرحبا
وما حلته من قبل ارحاله وبوابه وبغا من الخير محصبا
ومدرسة خلنا بها وطناله فيا موقع الاوطان ممن تغربا
ذهبت بها على من العلى مذاهبا حيث لا بن ادرس مذهبا
وسدت على تقوى من الله اسها وانفقت مالا يرضي الله طيبا
ولم ار كالفسطاط زادت بوضعه طرازا من العلم المعظم مذهبا
بها بنيه تنسي النظامية التي لها العيس كم سرت وكم حلت الحبى
وما هي الا عزمة علوية اذا ما احكا ولت امرا انى منه ما ابى
سقيا لنادي الشهر في جنباتها كما قد تلى القرآن بها فاطربا
شيخ فيح اعلام العلوم فلم يرع صباح تقدم للشك غيهبا
سيجزى ثواب الله عن ذا كله اذا ما دعى داعي الجنان وثوبا
وقال يهنيه بشهر رجب
اخي عناب الصاحب ابن نخ ايها الراجي اكرم صاحب
وهنيه بل هني به رجبا الذي يعود من نعماه لثم الرواجب
وما عرفت منه الاهلة مشبها سوى انها من دونه في المراتب
ولولاه موصوف بفرط تواضع لما شبهوا اراه بالكواكب
ودبرها للظاهر الملك دولة تولى مباديها الخير العواقب

في.

محارب بترايب

بنى بوزير صالح اس ملكه وراح افاق السهى بالمناكب وما ملك كان الوزير وزرا يحتفل يوما بكيد
مناقب لا تعد واعليا واله ومن مثله في اله والمناقب الملك بها الذين عقد انزنته وكم من عقود جلت
بهنيك الشهر الاصم وانه لمصغ لمدح فيك جم العجايب سقط في خيخ الدجى عمره وسد اعالى كل هدب عاجب
وقال سعد الدين الفارقي وكان يوقع بين يدي الصاحب بها الدين المذكور ٥٥
يم عليا فهو تم الندى وناده في المطلع المعضل فرفد مجد على مجدب ووفده مفض الى مفضل
يشرع ان سيل ايداه وهل اشرع من سيل اتى من على ٥ وقال الشيخ رشيد الدين الفارقي
وقائل لي ابتغ عمرا فقلت ان عليا قد تنبه لي الي اذا كنت محتاج الى عمر من حاجة فليس حسبي اتباه علي
وكان بهنس الديح ويجيز الجوايز السنيه وكيلا قاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي له وقف على كتابا
تتضمن اقرار الصاحب بها الدين واولاده ابنه فخر الدين وهو الصاحب تاج الدين واخوته بمبلغ ستين الف دينار ٥
ومنهم الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن ابي الرجا التنوخي عرف بابن السلعوس وزير وزرائه في كرايه
وجل عن القياس الوزراء في علياته تاه به الشم وتصاوخ به الصم لو عرض له البحر ما رآه الاضحاحا
او الجبل لما جعله الاصحاحا كان او لعاله تاجرا الا ان همته تكلفه خوض الغمرات وطلب العليا ولوما
ذو نهاحسرات وكان مبذول اليد بالكرم مطلق العنان في حب التقدم خدم وزير الشام الصاحب تقي الدين
توبه التكريتي وجاوزه وترقى به وتلقى مبادي العليا بسببه ولديه الحسبه بدمشق فحفظ مضاعها وفخم عها
وتوكل بدمشق عن الملك الاشرف خليل وولى العهد اذ ذاك اخوه الملك الصالح علي فما مديه الخيلاء لائق
له وسنا وكرته من فعله الاحسان فبدت عليه انوار ذكرها عليه الاثر بالشام لا جرم فاحضر بداد
العدل وهي جافله الافاق كامله النطاق فاوقفه لديه لا مرشكي به اليه ثم امر به فضرب علي هامته وجر بهامته
متفاقلا من ثم سار الى مصر موقر الركاب حلو الاكاس المعلى عنو الجواب فاتى باب موكله الملك الاشرف وافام
به متسببا في اقباله متقربا اليه بما كان كرمه من قرابين ماله مادا الدعاء المباشرين لديه سادا الخلل وزواته
بما يقدر عليه وكان الملك الاشرف ضيق اليد لمرسله الا ما تحتمل من اقطاعه بما لا تقوم ولا يقوي بما يقدر عليه
اخوه ولي العهد وهو سيفق من ماله لا يخشى من لفقه فتكفل بالملك الاشرف بحمل كلفه وان جلت وترتيب نفقاته
نظير احبه والزياده عليها ان قلت فولاه امر دواوينه واولاه من القرب ما لا دخرله اضعافه ابدا وانه تعرض للبيت
ان صار العهد الملك الاشرف حسرتاب اخوه واضطر الى الذي يبعد اليه ابو فرح بن السلعوس في بدخه والملك الاشرف
في نحنه فعل ما لا يفعله كبرا الوزراء وادحى بعدى تطور الامرا فاهم ابوه الملك المنصور امره فامسكه وعاقبه واراد
التنكيل به فشفع له امير سلاح اليه فاطلقه على انه لا يأوي بلاده ولا يساكنه ببلده وان اوان الحج فتوجه اليه في غايه

من التجمل بالجمال والبخت والخيل فامهلت الايام الملك المنصور حتى مات ووقف ابنه الملك
الاشرف مملكه ونظم سلكه وكتب الى الوزير كتابا ارسله مع نجاب سبقه وكتب فيه بخطه يا شقير
يا وجه الخير حث السير تجا يطير في اهابه ويخرق سواط التهابه فقلده امر الوزاره تقليدا لم يكن لاحد
عهد بمثله ولا وصول الى اقله كان بن السلعوس هذا في اول امره من جمله التجار وكان ياخذ نفسه بالرياسه
والحشمه وكان اذا اطلع في متجر اخذ معه خيمه كبيره وقدرا كبيره فاذا نزل طبخ وعرف وجلس في
خيمته ومد الطعام بين يديه وطلب التجار ليأكلوا معه فكانوا يهزاون به ويقولون له الصويحب تصغيرا
للفظه الصاحب ثم غلبه حب التقدم على تبطيل المدخر والانضمام الى التقي توبه فنقله حتى ولي
الحسبه كما قدمنا ثم ولي الوكاله الاشرفيه ثم توجه الى مصر ودخل في عين الاشرف بالتقرب اليه واتفق
ان الاشرف اراد الخروج للعب الكره يوما مع اخيه ولي العهد الملك الصالح فطلب مباشري ديوانه
وامرهم بالاستعداد لذلك لما يحتاج اليه من الطعام والشراب والخلع والنفقه فبكى مباشروه وقالوا
من اين لنا ومن اين نجد نحو هذا وعلينا من الدين ما علينا تريد ان تضاهي اخاك وانت رجل امير وذاك
رجل ملك وكل واحد يمشي على قدر حاله فعظم هذا على الاشرف ووجد له وجدا عظيما واخرج من
الحواصل الذهب التي عنده ابتاع وينفق في ذلك ولم يود اظهار العجز قدام اخيه فبلغ هذا ابن
السلعوس وهو في بابه فاستاذن عليه فلما دخل عليه قبل الارض ثم قال ان بوز المرسوم الى تكفيه
هذا المهم وغيره كفيته من مال مولانا بالشام ففيه فضله تسع هذا واكثر منه فاعجب الاشرف قوله
وقال له اعمل وورد الاشرف الحوايص فقام ابن السلعوس وجهزها وزاده زياده كثيره واتى اليه بالبقج
فيها الخلع التمام وغيرها ومعها اكياس فيها من خفايف الذهب والدراهم قدر الحاجه بالفاضل فوقع فعله
منه بموقع عظيم ثم ركب للعب الكره فوجد ابن السلعوس قد هيا فوق ما كان في نفسه من الطعام والشراب
وانواع الطاري فراي الملك الاشرف ما ملا قلبه سرورا وتم له ما اراده من اظهار التجمل قدام اخيه الناس
وقدام الخلايق ليلا يراه وارضى الملك الاشرف القيام بكل ما يطلبه ثم لم يبعد المهل بالملك الصالح فولي الملك
الاشرف العهد بوساطه الامرا الكبار على رغم كافل الممالك طرنطاي وعلى كره من ابيه الملك المنصور
لما كانوا يعلمونه من باسه وشجاعته فزاد تعظيمه لابن السلعوس وزاد شيم ابن السلعوس به وصار
يركب ركوب الوزرا وينزل نزولهم وتحمل طغمه دواه جليله من الفولاذ المجوهر منزله بالذهب وفيها
عصا ان بك الاشرف ثم كان اذا جلس جات اليه مخفيه من المطبخ الاشرفي وتجي بعدها المشروب
وغير ذلك فضاق ذرع طرنطاي وارباب التصرف منه وبلغوا الملك المنصور عنه اقبح القول ووصفوه

حتى

حتى احضره وضربه وامر بان يحجر منه كلما وصل اليه من جهة ولده الملك الاشرف من الماكل والمشارب
والخلع والبغال تجا بحمله بين فعظم على الملك الاشرف موقع هذه المصيبه وركب الى امير سلاح
ونزل عنده وشكا اليه من فعل ابيه طرنطاي وطرنطاي فركب امير سلاح وارسل الى بقيه
الامرا وكانوا يحبونه ويبغضون طرنطاي واجتمع بالملك المنصور طلوه وقال له عنه وعن
الامرا ان الذي نقل عن ابن السلعوس كذب وساله فيه عنه وعن الامرا حتى امر باطلاقه
وطرده وقال له ليش طال لا يقيم بمصر ولا يجاورنا فلما اتى وقت الحج وكان قد قرب وخرج ابن السلعوس
حاجا وجهز امير سلاح وغيره من الامرا احسن الجهاز رعايه لخاطر الاشرف فتوفي الملك المنصور في
اثنا ثلث المده وال الملك الى الملك الاشرف فلم يكن عنده حال جلوسه اهم من طلب ابن السلعوس فكتب
اليه كتابا يطلبه فيه ويحثه على سرعه الحضور ثم لما قدم اليه الكتاب ليعلم عليه كتب في موضع العلامه
يا شقير يا وجه الخير حث السير فلما قرب بعث اليه من يلقاه بخلعه وبغله ثم انه حال وصوله
خلع عليه خلعه الوزاره واعطي الدواه وقدمت له البغله بالزناري وباشر الوزاره مباشره
لم يبلغها احد من الوزرا بعد شاور ولا الفائزي ولم يبلغها وكان رجلا قد مات من الحمق في راسه
وفرح وبقي الملك الاشرف كلما نفخ فيه انتفخ وصارت الامرا وارباب تقادم الالوف تاتي اليه
وتقف بين يديه ولا يقول لاحد منهم اقعد حتى يطول مكثه في القيام ولا يدعوا اكبرهم الا بالاسم
دون اللقب حتى كان يقول للاجين يا حسام الدين وللشجاعي يا علم وللدواداري يا سنجر ومن هذا
ومثله فامتلات الصدور عليه وعلى الملك الاشرف بسببه حتى صار الامر الى ما صار وال الى ما ال
حدثني عمي الصاحب شرف الدين ابو محمد رحمه الله وقد جرى ذكر حمق ابن السلعوس وترفعه
قال كان الرجل في راسه حمق وزاد الملك الاشرف وكان عاميا فطاسا وطاردا شرع عرت
قال كنت في الخدمه الاشرفيه بالنيل وقد نصبت خيمه السلطان على العين فمر بي كرت امير اخور
احد مقدمي الالوف فسلم علي فقمت له ورددت عليه السلام فراني الملك الاشرف فطلبني فلما جيت
اليه انكر علي فقال ها ها تقوم لكرت وتمشي له وتخضع له ومن هو كرت حتى تعمل هذا معه وانت
لساني ويدي واذني وعيني والله لولا انك شيخ كبير لقطعت راسك وان عدت الى مثلها قطعت
راسك فخرجت وانا لا اعي ما اراد ان يعلي عليه ثم كنت اذا مر بي احد تغافلت عنه ما امكني
فان لم اجد بدا اشرت له بتقبيل اليه او اكثر من هذا على قدر مراتبهم ولا اقدر اقوم خوفا لا
يراني فاذا كنت حيث امن انه لا يراني قمت وخدمته بما يناسبه فلم سو عل صدر ثم قال واذا

كان

هذا قبول الملك الاشرف لي وما انا ودين المتعرف ولا لي عليه خدمه سابقه فكيف كان يقول
لابن السلعوس ما حمل انتهى كلامه قلت وعلى الجمله فلقد احسن الى اصحابه الدماشقه وكان
يتلقاهم بالرحب والسعه ويقضي حوائجهم ويحسن اليهم وكان كامل الادوات محبا للرياسه الا انه
افرط حمق العاميه ولم يقع في ايامه اقبح من واقعه ابن بنت الاعز القاضي والحاله عليه ونكبته
له وكانت باغراء المصريين له عليه ولم يزل منه اقبح من انه كان تياها متكبرا كثير الخيلا
معجبا بنفسه معتزا بسلطانه وحدثني شيخنا ابو الثنا محمود الكاتب رحمه الله قال
رايت ابن السلعوس وقد جاء قضاه القضاه الى باب داره بدمشق وفيهم من خلع عليه في
يوم الجمعه فجلسوا في انتظاره ان يخرج فطال مكثه الى ان جانت الصلاه فخرج واستادنه
حاجبه عليهم فقال قد ضاق الوقت فليلحقوا بعد الصلاه وركب فعضده الدواداري
ومشوا في ركابه حتى اتى باب البريد فنزل ومشى وهم قدامه حتى صلى ثم خرج وهم قدامه حتى
ركب فمشوا معه حتى باب داره فنزل ثم اتاه حاجبه فاستادنه عليهم فاذن لهم
فاتوه وقبلوا يده وانا اراه وحدثني انه لما اهتم الملك الاشرف بالمصادر التامري امر الامرا
بالعرض فتضاهوا في التجمل وبالغ لاجين ونزل الملك الاشرف بالميدان وجعلت الامرا
تعرض بالنوبه اياما فلما اتت نوبه لاجين كنت قد خرجت اريد الخدمه بالميدان
ورايت لاجين على فرسه واقفا وهو ينتظر طلبه وقد جمله احسن التجمل ورتبه احسن الترتيب
فلما رآني ناداني فاتيت فجعل يتذكر ايامه بدمشق وطيبها وهو سار منشرح فاقبل طلبه كان
عليه رمضان برق او شعاع شمس فزاد ابتهاجه وسروره بها واتى الطلب حتى اتى ابن
السلعوس في موكبه معترضا فساق اليه لاجين واومى اليه بالخدمه والسلام فما زاد على
ان قال له حاشاك حسام الدين فاربد وجه لاجين ثم ساق ابن السلعوس حتى شق الطلب عرضا
فقطعه وشتته فزاد غيظ لاجين فلما مضى ابن السلعوس جاء استاددار ان يسأله ان يحدث ترتيب
الطلب فقال له بغيظ اعمله كيف ما كان لا لعنه الله واثر هذا في خاطري تاثيرا فاتيت الى عمي يعني
شرف الدين ابا محمد رحمه الله فاخبرته الخبر فقال لا حول ولا قوه الا بالله ما يزال هذا الجاهل حتى
يخرب هذه الدوله والله لا رجع لاجين حتى يخرب هذه الدوله او يقتل وهكذا كان وقد اختصرت
في هذه الحكايه ما ليس هذا ذكره موضعه وحكى لي غير واحد ان الملك الاشرف لما قتل كان ابن السلعوس
بالاسكندريه وقد رفع راسه الى السما وظهر بسيما الجبروت وهدد الوالي وتوعده بما فيه الاساه

روح

روحه فلما خرج من عنده وبعث اليه البطايق على جناح الحمام الرسايل بقتل الاشرف
ورسم له فيها بالقبض على ابن السلعوس فاتى الوالي الى بابه وقد نهض من مجلسه فقعد على الباب
وبعث يقول له قد دعت الضروره الى المثول بين يدي مولانا الصاحب فقال لحاجبه هذا
ما لا سبيل اليه فقال لا بد والح فاذنه بحضوره فقال ائذن له فلما دخل عاجله بالشتم
والاخراق وقال له لا تعجل يا مولانا ثم تقدم اليه فاقراه البطايق فسقط في يده وخاف بادره
الوالي لما قدمه من الاساه اليه فقال له لا باس عليك يا مولانا مني وانت غير ان شئت
جهزتك مع من يوصلك امنا وان شئت مكنتك من الهرب ودع روحي تذهب وان عزمت
على هذا اتجهت معك حيث قصدت فانه لا يكون لنا مقام بعد تمكيني لك من الهرب فقال
له يا اخي والله ما نريد وزاره هولا الاهم ما يخلونا فقال والله ما راي عليك الا ان تنجو بنفسك
فانك قد ملات بحقدك عليك الصدور رعبا ولا ذهاب لهم الا ان كنت تريد ان تذهب نفسك
فقال له دع عنك هذا تجهزني الى القاهره فنزل في داره فقبض عليه وضرب بالمقارع حتى مات ه
ومنهم تاج الدين بن حنا وزر كان عن الوزاره مترفعا وعن ورد الامامه سلفا تصدى عن
عقلها وتمنع عن وسيلها وزر وزاره صحبه في زمن جده ونفس فيها خناق بصيقه بجهده فكان
على ما عقد ويطوي ما وقدا لا ان ذلك الجبار العنيد كان لا يتهيا معه تمام معروف ولا اهتمام بمعروف
وكانت ولايته بعد ابنه الصاحب فخر الدين محمد حين اختطفه الحمام واقتطفه ولم يبلغ التمام ودام
مباشرا حتى مات جده في زمن الملك السعيد وطار به نعيه الى المرمى البعيد ثم كانت نكبتهم التي احاطت
بجمعهم واحالت مصيبتها حتى من جفونهم ودموعهم وامسك تاج الدين اول من امسك واخذ منه
اكثر ما يملك الا بقيه عقار من معامر قصب كان بها يعتصر وصابه مال كان بها يتجر تمت له
فيها بعد وجاهات بالاتعد وضرب في حال نكبته الا انه ما عدى له ثوب ولا امطر له صوب
وكان في حال هذه الاهمه مكوما وفي اوقات هذه الضعه معظما خرج في راسه الامر فمثلت
له وقوفا وشق الجند الى دار محبسه فانفرجت له صفوفا ثم تسنى خلاصه وخرج كالذهب
خلاصه فاقام ببيته منقطعا ولا وافر بعضه مهطعا الى ان سنحت له من ملك الامرا
طرنطاي بارقه داي بها محله بجاهه واوى بها الى جناحه فجعله من موقعي الدست يوقع على
القصص من غير معلوم له قرر ولا بتوقيع له سطر وبقي على هذا حتى هدات روعته وردت
لوعته ثم لزم بيته امنا الا انه كان لو فود عقله يتخوف ولا يامن من ان يتخطف الى الايام الناصريه

الاول حيث كان كتبغا هو الكافل والمشار اليه في ذلك الرشد الحافل وكان له
اليه التفات وعليه اشتمال رد عليه ما فات فاخضر وقلد الوزارة واجل
سبيلها منه القرار فباشرها باسم والم بها وكانه لم يطلها بتراب ولا واخذها
باكراث حتى زحزح كتبغا الناصر عن سريره وال اليه عمره فاستمر به احسن
الاستمرار واستقر بها كل الاستقرار وكان نجيه وصاحبه وملازم مجلسه ومواظبه
لما دهى وادي مصر عصيبه ذلك الغلا ومواسه ذلك الموت والجلا صرف الى الظلم
وجهه الملك العادل وحاول اكل الاموال الناس بالباطل فاستعفى الصاحب فاعفي واقام
في بيته كالملك الا انه المخفي حتى حل به اجله المنتظر ودنى منه ما كان انتظره ومنهم
فخر الدين عمر بن عبد العزيز بن الخليلي وزير بلا الرشد وبحجل البدر ان واسته لا يشبه به
السحاب الا وتعوت فرايض برقه ولا السيل الا على شعب الجبل من الى عنقه وكان
حليل الكرم داري العطر الا انه الذي لا ينسب على ضرم عنمي الفخار لا ما ادعاه الفرزدق
لدارم اوسي العمومه الا انه خروج المكارم ابن اب صالح ذي المجد لا نه حقيقته وسل
عن الخلافه وعرف بالشح فلم يتحرى في اهل الرساله طريقته فما رفعت لابيه راية مجد
الا تلقاها عرابته باليمين ولا عرفت له سيما صلاح الا وقد ظهر منها مرة في السن خدم
الملك الصالح حال ولايته للعهد في ايام ابيه المنصور وكان لديه موقرا واليه يخضع كل ذي
انفه مفتقرا ثم ولي النظر والامر كله اليه مرجعه واليه قرارته ومنتجعه حتى استعفى ابن
حنا في الايام العادليه زمن ذلك الغلا الذي انتهب الاجساد والهب شعل الفساد
وكان تاج الدين بن حنا لا يجلس لتصريف الامور الا ساعة من نهار ثم ينصرف الى بيته
ويتركه في عمرات ملك العادل لا يقر له قرار حتى يكفي دونه السلطان وحواشيه ويتصرف وان
غاب الوزير تصرف المستقل ولا كاشفه فقلد الوزارة فقلد طوقها وحمل اوقها وظهر فيها
بالكفايه وبلغ فوقها وسلك طريقا امن فيه التعزير ومن فلوله بعض من لما مل الا
ان هذا الوزير اعاد زمان سميه عمر بن عبد العزيز وبلغ فيها ما بلغ بن حنا الكبير من
وزارة بنيه واباته ما حاز حسنها ولا ذهب من يد الزمان المتد دلجها وكانوا يجلسون
وراءه ومعه ويقعدون دونه ويسدون موضعه واتصلت به وبهم اذ ذاق ما اتصل
اذ هابن حنا وبنيه ولا جا قبلهم ولا بعدهم من كان يناويهم في هذا ولا يدانيه فكم قاموا سنه

حلم في عموم

في عموم العفو وعظيم الجود الذي سع الورى فادعنت الرقاب لقدرهم الجليل
وسلمت منهم الى اولاد تميم الداري اعداهم كرم مجاورتهم للخليل وسدد كرهم وانعقد
عليه الاجماع وطاف البلاد فامسى له في كل ارض نوبه خليليه تطرب الاسماع
وعزل مرات ثم لم ترد رتبتها سواه صدينا ولا رضيت عقيلتها على كثرة الخطاب غيره
قرينا ثم مات الا وهو عنها قد انفصل وزي بنيه وخطاب سعادته قد نصل
وانقطع به السبب وكان لا يظن الا انه قد وصل ه ومنهم امين الملك وزير ضبط
الملك بقلمه وضغط الفرقد بقدمه وجاز على عنق العيوق محلقا وجال في فضا
المجرة محققا وولي الاستيفا مدة كان بانعا وحل مكان العليا على قمة الجوزا واضعا وكان هو
الوزير وان سمي مدا غيره والميمون وان زجر الفال طيره ثم تناوب النظر والوزارة مرارا
وتنا وبها الحطه اقبالا وادبارا وباشر الشام اخذنها سحايبه وملات ساحاتها
رغايبه وجرى بها منه النيل لكنه البحر الذي يحكي عجايبه وكان وزيرا تخلى له الرتب
اذا حضر وتتصور له مراي السيوف اذا نظر سطا بيت لها قلب الفرقد موتعدوند
حتفل الغمام ولا يقدر على انه مثله ستعد ولي الوزارة مرة بادا فعت النوايب
ووثبت بسداد ارايها الاسهم الصوايب وكان نعم الصاحب لو عرف حقه او
متع الدهر بان لا يتقدم فيه الا مستحقه لسره لا تخللها عيب عايبه وسرين
لا تسوبها لدن شايبه واستحصاد لا مور ممالك الاسلام من جميع ما يدخل تحت
الحدود لا يفوته فايت ولا يصح وغنه من مهامه بايت متفقد لا يد عيه الرامي اذا المطلق
ولا الطاعن اذا اخرق ومضا ربما اقدم حتى يقدمه التجريب ولا ابعد حتى دنا به
التقريب هذا الى رسم خط كانما نفس بالغوالي وقسم منه على صفحات النهار الليالي
لا يباين فيه المقادير ولا يراد الرهان المنمنم على ما فيه من حسن التصوير وعمل عليه
اعداوه مرارا عديده اذ كانت خفا فيهم لا تطير مع عقابه واحا بشهم لا تحاشر
على غابه فاخرج الى طرابلس ناظرا الا انه لمعرفاته لم ينقص وترك هناك وما فيهم الا خايف
منه يتربص به ثم حج واستاذن على بيت المقدس ليقيم به فاذن له في هذا المرام وحلى له ثم خطب
على عاداته من ذلك الركن الذي لاذ به والمقام ثم كان اخر امره ان احدر من دمشق على ظاهر
الاكرام وباطن الباس ومغربه ما طال ما ورد الرجال وبكا الشاد ه ومنهم الصاحب كريم الدين

وذيروان لم يسم بهذا الاسم وملك وان دخل في هذا القسم لا يقاس به احد من الكرما
ولا يقون نداه ولا ان ما اهون عنده بالدينار واحد لا يظفر منه بعين ولا بالدرهم
وان كانت الناس تاكل عليه بالدين وبالمعدنين وان صيغت الشمس من ذهب
والفضه من لجين لو ليم في الجوهر لقال هل هو الا حجر او في الدر لقال هل هو الا
مطر طالما سد خللا وافاض حللا وسمح بالجوهر وقال كيف نبخل بشي دونك وبالدينار وقال
كيف ينافس في عاريه مردوده زاد على كرما العرب وجاد بما لو قيس به مطر السحاب لسجد
واقترب وذهبت ايامه البيض بما لا كان لا يصرف وانقضى انعامه وطعامه لا يعد
لبني هبيره منه هبره ومضى وله من البرامكه اضعاف ما لال برمك وللجود المنيس ما ليس لبني
سهل منه مسلك وتبع الغايني الا ان ذاك عمرو وهذا فاذو ابن الزبير فما وجد
له في الزبير الا بعض الحجاز خدم عند الامرا ثم ترقى وسلم الى المسيه فتوفي واتصل
بالمظفر بيبرس جاشنكير ثم تملك قياده وصحبه حيث صرف عن الملك حيا ته واتهمه
سلطاننا بماله ومال بيت المال فحفر واحضر ما معه ولم يترك شيا الا ما لعله او دعه
ودخل في عين السلطان بما احضر من العين ودخل على خواص الامرا حتى اصلحوا له ذات
البين فافرجوا له عن املاكه وعلايقه افراجا وجد به سبيلا الى مسعاته وطريقا الى مراعاته
ثم لم يزل حتى ولاه السلطان امور خاصه ووكله لحقه واقامه لاستخلاصه ثم حسن
لراي السلطان المتجر وملا عينه بمدد الاكثر حتى اطلق له مقعد التوكيل وقال وقد
اختبره حسبنا الله ونعم الوكيل ثم كان هو المسلم حتى لامور الحرم والمقدم على الركب
المتوجه دكايهن الى الحرم وكان يخلع على الخواص والامرا فما منهم الا من يتشرف بملابسه
وبعده فخر اله على منافسه حتى ان وقت زواله واذن الله بتغير احواله فامسك
واخرج الى الشوبك ثم الى بيت المقدس ثم طلب وجعل مكان زندقته بالقرافه له كالمحبس
ثم بعث به الى اسوان وقد قرب وقت حمامه وان فجر عليه حتى اعزل عنه ولده وخنق
وعلق على انه شنق روحه وما شنق وكان رحمه الله انموذج الكرام واخر الطرام وبقيه
اهل الاحسان والدنيا على غيره حرام والله اعلم بالصواب ۝ تم الجزو العاشر بحمد الله وعونه
يتلوه ان شا الله تعالى في السفر الذي يليه ثم كانت وددا وقتا بعد من سميناه وبعدهم
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ورضي الله على الصحابه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم الجزو العاشر بحمد الله من مسالك الابصار